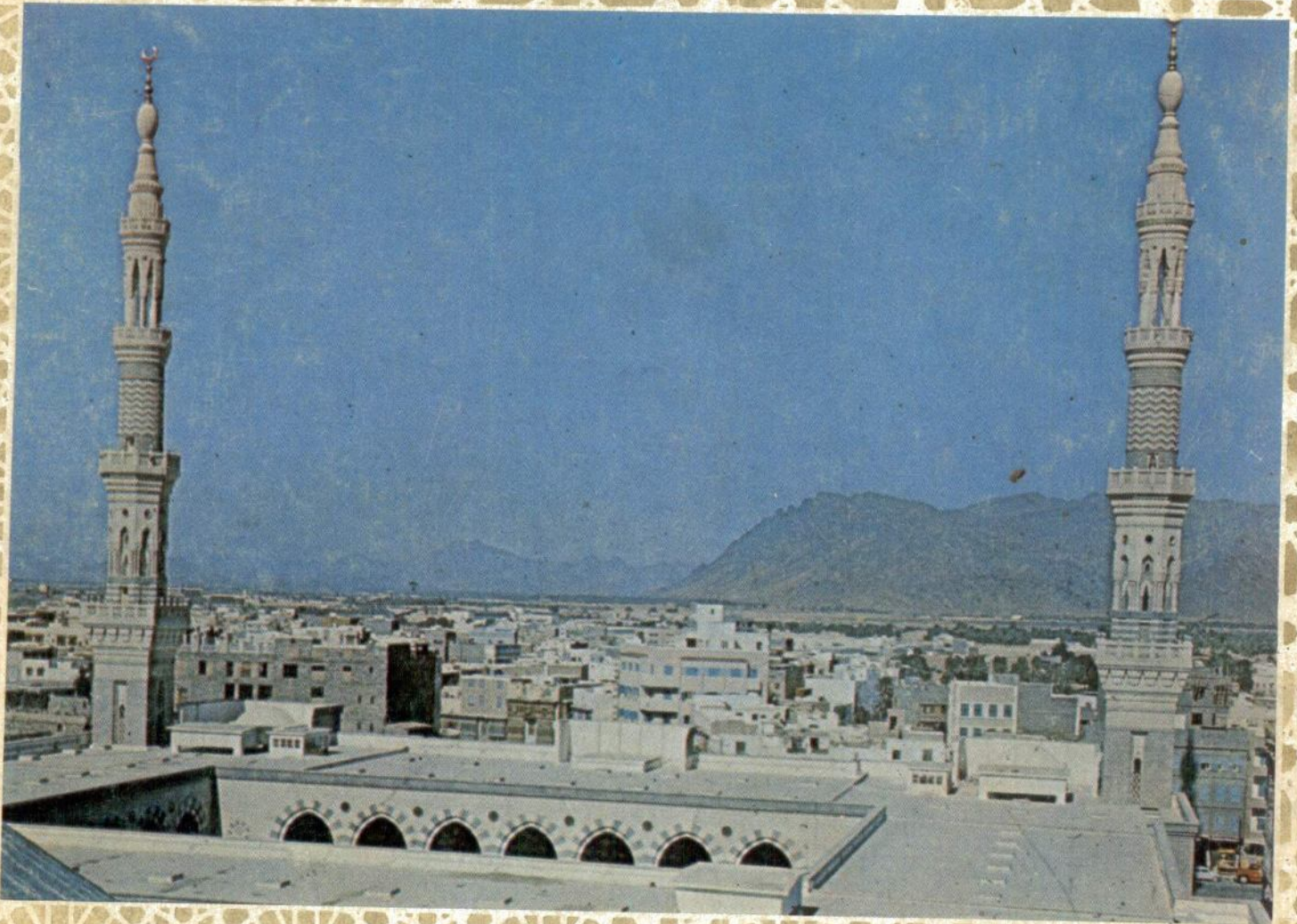


الوعيد الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

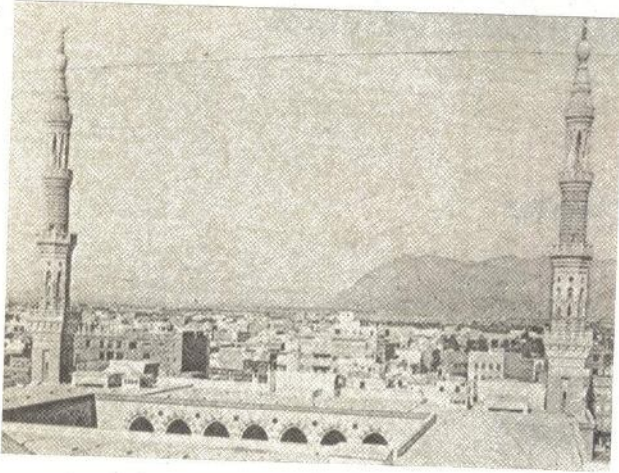
السنة الثامنة - ٨٧ - غرة ربيع الأول ١٣٩٢ هـ - ١٥ - ابريل (نيسان) ١٩٧٢ م



عدد خاص بمناسبة المولد النبوي الشريف



بعض أعضاء وفد المركز الإسلامي ببلدن أثناء زيارتهم للكويت ...



منبر المسجد الأموي ويعد تحفة
فنية رائعة من روائع الفن الإسلامي .

الثمن

٥. فلسا	الكويت
١ ريال	السعودية
٧٥ فلسا	العراق
٥. فلسا	الأردن
١. قروش	ليبيا
١٢٥ مليما	تونس
دينار وربع	الجزائر
درهم وربع	المغرب
١ روبية	الخليج العربي
٧٥ فلسا	اليمن وعدن
٥. قرشا	لبنان وسوريا
٤. مليما	مصر والسودان

الإشتراك السنوي للهيئات فقط

في الكويت ١ دينار
في الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلها بالسترليني)
أما الأفراد فيشتركون رأساً
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات

مدير إدارة الدعوة والإرشاد
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٤٢٢٠٨٨ - كويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة الثامنة

العدد السابع والثمانون

غرة ربيع الأول ١٣٩٢ هـ

١٥ أبريل (نيسان) ١٩٧٢

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وإيقاظ
الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية
والسياسية

حديث الشهر

أحاديث يجب تصحيح فهمها

نلفت النظر اليها ، وندعو الى التركيز عليها وتصحيح مفاهيمها في اذهان من غرر بهم - عن قصد او غير قصد - فاستمرعوا الذنب والتوبة طمعا في المغفرة ، او رضوا بالدون من الحياة اعتمادا على ان ما خف حمله خف حسابه ، او جبنوا عن الجهر بالحق والجهاد في سبيله ايمانا بالعزلة وخطا في تصور (عليكم انفسكم) .

١ - احاديث العفو :

وردت احاديث كثيرة تنبئ عن سعة رحمة الله ، وتدل على واسع مغفرته وواسع عفوه ، وانه - سبحانه - يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، وان هذا الفضل الالهى العظيم متاح للانسان ما لم يفرغر ، ومتاح للاناسى جميعا في طول الدنيا وعرضها ، وعلى اختلاف اجيالها وممر عصورها حتى تطلع الشمس من مغربها ، ويأذن الله

لعل خير ما يقدم للقراء في ذكرى مولد رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم - تجلية معاني بعض احاديثه الشريفة التي اشتبهت مفاهيمها على بعض الناس ، فبعثوا عن مراميها ، وفسروها على غير وجهها . اما لعدم احاطتهم بالأحداث والملابسات التي تلقى الضوء على المقصود بها ، واما لعزلها عن مرماتها ، وتحدد مسارها مما جاء به الوحي الالهى والهدى النبوى .

ولو ان هؤلاء المحدثين المفسرين ممن لا يستمع لقولهم ، ولا يؤخذ عنهم ولا يوثق فيهم لهان الخطب ، ولكنهم ممن تقبل ايديهم ، ويتحلق العامة حولهم وتتلقى اقوالهم بالقبول والرضا دون مناقشة ولا تردد .

ولو لم يكن لهذا الشطط في التفسير اثر بعيد في سلوك العامة - وما اكثرهم - اضر بهم وبامتهم في دينهم ودنياهم - لما احتاج الأمر الى هذا الاهتمام والتنبيه .

ونختار من هذه الاحاديث نماذج من ابواب العفو والزهد والفتن .

للحياة على ظهر الارض بالأفـول
والانقطاع .

وهذا الكرم الالهى الكبير الذى
تشير اليه هذه الأحاديث تسانده
الآيات القرآنية فى وضوح وجلاء ،
وبهذا أصبح عقيدة راسخة فى قلوب
المؤمنين ، فالله سبحانه غافر الذنب
وقابل التوب ورحمته وسعت كل
شئ ، ولا يتعاضمه شئ ، ولا حرج
على فضل الله ، ولو أن الخلق
جميعا أطاعوه ما زاد ذلك فى ملكه
شئ ، ولو أنهم جميعا عصوه ما نقص
ذلك من ملكه شئ ، ولو أن الانسان
أتى ربه بقراب الارض خطايا ثم لقيه
مؤمنًا تائبًا لآتاه بقرابها مغفرة .
ومن أحاديث العفو هذه قول النبى
صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن
ربه عز وجل قال :

« اذنب عبد ، فقال : اللهم اغفر
لى ذنبى ، فقال الله عز وجل : اذنب
عبدى ذنبا ، فعلم أن له ربا يغفر
الذنب ، ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب
فقال : أى رب اغفر لى ذنبى ، فقال
الله تعالى : اذنب عبدى ذنبا ، وعلم
ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب
ثم عاد فأذنب ، فقال : يارب اغفر لى
فقال الله تعالى : اذنب عبدى ، فعلم
ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب .
أعمل ما شئت فقد غفرت لك) .

ليس المقصود من هذا الحديث
قطعا - تيسير المعصية ، ولا الاغراء
بالخطيئة ، ولا التهوين من شأن
الجريمة ولا الغاء قانون الجزاء
والعمل ، فان الله سبحانه لا يأمر

بالفحشاء ، ولا يظلم الناس مثقال
ذرة : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »
و « كل امرئ بما كسب رهين » .

والحديث يشير الى نوع خاص من
المؤمنين الذين يلمون بالمعصية ،
فيخجلون فوراً من سقطتهم ويلتمسون
فورا من الله ان يقلبهم من عثرتهم ،
ويحسون بالضيق الشديد عندما تنزل
اقدامهم ، فيسرعون الى الله بالانابة
والتاب ، فدائرة عفو الله تحتضن
اولئك الذين اخلدوا الى الارض فى
لحظة نسيان او جهالة ، وطبيعة
الانسان الذى يمتزج فيها الخير
والشر ، ويلتقى فى ساحتها الملك
والشيطان تسمح بهذه الهفوات
والزلات ، والايمان لا يقتضى العصمة
(هو أعلم بكم اذ انشاكم من الأرض) .

ولا بد من أن ينزع المرء مرة
الى الحما المسنون ضربة لازب
ففهم هذا الحديث ، ونقل هذا
الفهم للناس على أنه استهانة
بالمخالفات واستباحة للمحرمات ، فهم
معوج لا يتفق مع الآيات والأحاديث
التي تشيع الرهبة من الذنوب والآثام
« ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكنت فى
قلبه نكنة سوداء فاذا هو نزع
واستغفر وتاب صقل قلبه ، وان عاد
زيد فيها حتى تعلق قلبه ، وهو الران
الذى قال الله فيه : « كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون . كلا
أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . ثم
أنهم لصالوا الجحيم » .
ان استمالة العامة بهذه الشروح

فى هذا الباب لا يقصد به التزهيد فى عمارة الارض ولا تجميد الفكر الاسلامى عن استكناه أسرار الكون ، ولا تقييد تحرك المسلم عن التسابق والتنافس فى تحصيل الغنى والاستمتاع بطيبات ما أحل الله من الرزق ، والامسك بزمام الحضارة .

ان من الأحاديث النبوية أحاديث أدوية وأشفية ، ولكل داء دواء ، ولكل مرض طب وعلاج وما يصلح من الدواء لمرض لا يصلح لآخر ، والأمراض الخلقية والاجتماعية بمثابة الأمراض العضوية ، فلا يقال للبخل أمسك عليك مالك ، كما لا يقال للعائل المعدم أد الزكاة ، ولا يقال للمترف أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ، كما لا يحذر المسكين من الترف والبذخ .

ان الذين يفسرون هذه الاحاديث على أنها تناول الجاف من الطعام ولبس الخشن من الثياب ، والرضا بالفقر والمسغبة ، بعيدون كل البعد عن المنهج الذى رسمه الاسلام للحياة وقد أصاب المسلمين من هذا الفهم الخاطيء ضرر كبير .

ان الزهد فى الدنيا ليس دعوة الى الراحة والفراغ من العمل الدنيوى الجاد ، بل هو دعوة صريحة الى اقتحام الاهوال وركوب المخاطر ، والتعرض للحتوف والتضحية فى سبيل الله لأن الدنيا أهون من أن يتشبت بها مسلم تشبثا يفقده كرامته أو يخل بمروته أو يقعه عن خدمة دينه وامته .

المتبوتة الصلة بمسئولية الانسان عن كل ما يصدر منه كما هو قانون العدل الالهى — تجعلهم لا يأخذون الدين والتكاليف مأخذ الجد ، فيقصرون فى الواجبات ، ويتهاونون فى الحقوق اعتمادا على أمانى خادعة كاذبة : ((ليس بامانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوء يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا)) .

٢ — أحاديث الزهد :

وفى مقام تذكير الذين شغلتهم الدنيا عن القيام بالواجبات والنهوض بالمسئوليات ، وردت أحاديث صحيحة كثيرة فى التزهيد فيها والعزوف عن شهواتها وامتعتها ، وقد شرحها غير الفاهمين لطبيعة الاسلام ، وغير العارفين برسالة هذه الامة شرحا يعزل المسلمين عن الحياة ، ويأسرهم فى المساجد ، وينفرهم من العمل حتى يدعوا ميادين الرقى والتطور لمخالفهم فى الدين ، ومن هذه الاحاديث التى ظلمها هؤلاء ما رواه مسلم عن جابر ابن عبد الله : ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالسوق داخلا من باب العالية ، والناس كنفية فمر بجدى أسك (صغير الأذنين أو مقطوعها) ميت ، فتناوله ، فأخذ بأذنه ، ثم قال : أتحبون أنه لكم ؟ قالوا : والله لو كان حيا كان عيبا فيه لانه أسك ، فكيف وهو ميت ؟ فقال : والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم)) .

ان هذا الحديث وغيره مما ورد

الأزمات ، وأصابها من نيران فتن
التفقاتل على الحكم والسلطان ما
جعلها مغنما لأعدائها .

وليس فى هذا الحديث دعوة
للاستسلام للشر ، ولا للنكوص عن
الجهاد ، ولا للسكوت عن الظالم كما
يرى بعض المتأولين .

ان الذين يدعون الى العزلة عن
المشاركة فى الحياة العامة ، ويروجون
للسكوت عن المنكرات بدعوى فساد
الزمان ، ويحرضون على الانسحاب
من المعركة المستمرة بين الحق
والباطل استنادا الى التأويل المعوج
والفهم الخاطيء لسنة رسول الله
- هؤلاء ليسوا أعلم بشرح الأحاديث
وفهمها من سفيان الثورى وسعيد
ابن المسيب والامام أحمد وابن تيمية
والعز بن عبد السلام وغيرهم ممن
تصدوا للظالمين ينكرون عليهم ،
ويصرخون فى وجوههم ، وينقذون
الناس من عسفهم وبغيهم .

وليست هذه هى كل الأحاديث التى
يخبط بعض الناس فيها على غير هدى
وبصيرة ، بل هناك غيرها كالأحاديث
الواردة فى التوكل والأحاديث المروية
فى القدر ، وكم جر سوء الفهم على
المسلمين من تأخر وتواكل وذل
واستسلام استغله أعداء الاسلام
فنشطوا وتقدموا ، واحتلوا وتمكنوا
.. على الذين يتصدرون لتربية الأمة
ان يكونوا أهلا لتحمل هذه المسئولية
علما وفقها والله ولى التوفيق .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

رضوان الببلى

ومن الاحاديث التى اسىء فهمها ،
وتأولها نفر من الناس على غير
وجهها الحق الاحاديث التى وردت عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
الفتن ، ومنها هذا الحديث الذى
رواه مسلم عن أبى بكره رضى الله
عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « ستكون فتن ألا ثم تكون
فتن ، : القاعد فيها خير من الماشى
فيها ، والماشى فيها خير من الساعى
اليها ، ألا فاذا نزلت أو وقعت ، فمن
كان له ابل فليلق بابله ، ومن كانت
له غنم فليلق بغنمه ، ومن كانت له
أرض فليلق بأرضه » ..

قال ، فقال رجل : يا رسول الله :
أرأيت من لم تكن له ابل ولا غنم ولا
أرض ؟ قال : يعمد الى سيفه ، فيدق
على حده بحجر ، ثم لينج أن استطاع
النجاء .. اللهم هل بلغت .. اللهم
هل بلغت .. اللهم هل بلغت ..

ان المعنى الذى ينبغى أن يحمل
عليه هذا الحديث هو حصر الفتنة
المسلحة التى تقع بين المسلمين
فى نطاق ضيق حتى يمكن أخمادها
والقضاء عليها لأن الاشتراك فيها
يؤدى الى امتداد شرارها واتساع
نطاقها ، وفى هذا تمزيق لشملة
الأمة واصابة أهل الحق بأضرار
جسيمة وعندئذ يمكن لأعداء المسلمين
القضاء عليهم ، فى يسر وسهولة ،
وقد تعرضت الأمة الاسلامية فى
عصور التاريخ المختلفة لمثل هذه

في
ذكرى
المولد
النبيوي

خاتم النبئين

واطمئنان .
ولاريب أن اختياره عليه السلام من
العرب مع اختيارهم جندا له وحملة
لرسالته ، انما هو فضل لهم لا يجده
الا جاحد وان جهلناه نحن الأخلاف
الذين ورثوا عن أسلافهم أكرم تراث
فأساءوا فيها ورثوا الصنيع .
والشرف الرفيع حين تتداوله أيدي
الجهالات والضلالات ، يوشك أن
يضيع ، ليكون به الذين ضاعوا
وأضاعوا سبة للأولين ومعتبرا
للآخرين .
فأما أن الله تعالى قد اختار محمدا
خاتما للنبوات ومتمما للرسالات فذلك
حيث يقول « ما كان محمد أبا أحد من
رجالكم ولكن رسول الله وخاتم

هداية الدين لاغنى عنها للناس
مهما بلغوا من الرقى والتقدم فسي
مدارج الحياة ، وقد تفضل الله تعالى
على خلقه تفضل المنعم الكريم بنعم لا
سبيل الى احصائها وتبيان وجوه الخير
فيها ، وفي ذروتها انه ارسل اليهم
من صفوة خلقه رسلا مبشرين ومنذرين
يدعونهم الى الله ويهدونهم الى
صراطه المستقيم الذي يظفر من سار
فيه بخيري الدنيا والآخرة .
ومحمد عبد الله ورسوله هو خاتم
النبين ، وقد اصطفاه الله من الأمة
العربية هاديا من ضلالة ، ومنقذا من
جهالة ، ومخرجا من ظلمة الى نور .
ومن باطل الى حق ، ومن شقاء الى
سعادة . ومن حيرة وقلق الى سكينة

للشيخ أحمد حسن الباقورى

فَالْمُرْسَلِينَ

وليس ينبغى لمنصف أن يسارع الى الحكم على هذا القول بأنه اتجاه قومى يتعصب للعروبة ويعتز بالعرب فى حين أن الناس أحوج ما كانوا الى اطراح النعرات القومية واعتناق المعانى البعيدة عن الاعتزاز بالأجناس والعروق ، وفى حين أن الناس أيضا يعلمون - أو ينبغى أن يعلموا - أن الاسلام دين لا يضيق بشيء كما يضيق بالدعوات العنصرية ولا يدعو الى شيء كما يدعو الى اعتناق المعنى الانسانى الشامل الذى تختفى فيه معالم العصبية لأنها فى اعتباره ضلال عن سواء السبيل . وذلك أن هناك فرقا بين العصبية التى هى طغيان واستطالة على الناس ، وبين

النبين » ، « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيما عليه » ، وأما أنه - سبحانه - قد اختار العرب لشرف الرسالة الاسلامية الخاتمة ، يحملونها الى العالمين فذلك قوله « لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون » ، وقوله خطابا له عليه السلام « فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » ، فالذكر الشرف الذى سوف تسأل عنه الأمة العربية يوم القيامة ، وعن قيامها بحقه ، وعن تعظيمها للرسالة التى نيطت بها ، وعن شكرها ربها على أن رزقها اياه وخصها به بين العالمين .

العصبية التي هي اعتزاز بفضائل القوم ، تمتهد بها السبل الى اقامة معالم العدل والحق والخير بين الناس . ومصداق ذلك ما يقوله رسول الله لسائل سأله عن العصبية ما هي ؟ فقال له النبي « العصبية أن تعين قومك على الظلم وأن تنصر أخاك ظالما ومظلوما » ، فاذا خلت العصبية عن هذه الحدود الفاصلة بين الخير والشر والنفع والضر ، فانها عندئذ تصبح عصبية حميدة يدعى اليها ويعتز بها ويحرص عليها على ما يقول النبي نفسه « خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم » .

قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام استقبلت الانسانية وليدا مبارك الثمرات ميمون الغدوات والروحانيات ، لم يكن أحد يظن ، لا من بيته ولا من قبيلته ، ولا من أمته ولا من المجاورين لأمته من أصحاب الحضارات العظيمة أن سيكون له شأن ، وأنه سوف يكون أماما للقومية في مثلها العليا ، ورسولا للانسانية كلها في قدوتها الحسنی .

ذلك هو محمد بن عبد الله النبي العربي رسول رب العالمين الى جميع خلقه من عرب وعجم ، ومن بيض وسود ، ومن سادة ومستعبدين ، وهو — مع كونه نبيا عربيا مبينا ورسولا من لدن رب العالمين الى جميع خلقه — كان راضيا بعروبته معتزرا بها ، يحمد الله لأنه ولد يوم أعز الله العرب ونصرهم على متربصين بهم طاغين على حوزتهم وقد استباحوا ما استباحوا من جوارهم ، فكان صلوات الله عليه يحب قومه ، ولا يحب أحد يبغض قومه ، فلا يكره العرب الا منافق ، ولا يكون مخلصا في عقيدته من لا يخلص في رعايتهم وعرفان حقهم ، فيقول لصفية ومشير

سلمان رضى الله عنه : يا سلمان لا تبغضنى فتفارق دينك ، فيقول له : وكيف أبغضك وبك هدانا الله ؟ فيقول له النبي تبغض العرب فتبغضنى .

كان محمد يحب قومه ، ويحب أن يحب الناس قومه ، وهذا غاية ما تبلغه النفس من القومية في شعورها وعاطفتها ، وكان حبه هذا هو الحب الذى يعمل ولا يقنع بأن يشعر وينطوى على شعوره ثم يستطيل على الناس في ظل من هذا الشعور بتغير عمل ، أو بعمل يناقض الاعتزاز الكريم فهذا الحب هو الذى جمع شمل العرب وألف بين قلوبهم وأخرج من شتات قبائلهم أمة مهية عزيزة الجانب رحيبة آفاق الفكر ، تتلقى عنها الأمم ذوات الحضارات العريقة رسالة الهداية باسم الله رب العرب والعجم والترك والروم ، رب العالمين ، رب المشارق والمغرب ، فلا فضل لعربى على عجمى ولا لأحمر على أسود ولا لقرشى على حبشى الا بالتقوى ..

تلك هي المعجزة الالهية لمن يشاء أن يتدبر المعجزات في حياة محمد رسول الله ، وهي أن تجيء دعوة الأمم الى المساواة ، والى فضل العمل ، والى كرامة القومية في غير مساءة الى أحد ، من ناشئ بين قوم بلغوا بالعصبية غايتها من الانفة لها والاعتداد بها والغيرة عليها .

ولو أنه صلى الله عليه نشأ في غير العرب ، في غير هذه الأمة التي لا ترى سوى القبيلة ، وفي غير هذا الجيل من الأعداء المتكبرين باللفة وبالسلف وبالمنعة ، لكانت رسالته بالمساواة بين آدم وحواء رسالة من معدنها لا تستغرب من صاحبها ولا من

أن يستقوا حديثهم من منابع القرآن العظيم ، لكى يتهاى لهم الربط الوثيق بين المنهاج وبين القدوة فى هذا المنهاج ، لأن القرآن مع كونه منهاجا اصلاحيا كاملا لم يبلغ غايته ، ولن يبلغ غايته من الاصلاح المنشود الا بالقدوة الصالحة ، ويكذب الذين يظنون أن المنهاج بغير قدوة يستطيع أن يفعل شيئا ، ويصدق الذين يقولون إن القدوة ولو بغير منهاج أقدر على الاصلاح وأيسر سبيلا اليه .

وفى القرآن والخبر يستطيع المتأمل أن يتمثله عليه السلام بشرا رضى الخلق ثقيل الأعباء داعيا الناس الى الاستقامة على الطريق بعمله أكثر من دعوته اياهم الى ذلك بقوله ، الى أنه عليه السلام حبيب الى قلوبهم مطاع فيهم فى المنشط والمكره وفيما يأخذون وما يدعون .

وأول ما يسترعى الانتباه من حديث القرآن عن رسول الله ، تلکم الآيات التى وصفته بأنه بشر ، يأكل ويشرب وينام ويستيقظ ويرضى ويغضب ويفرح ويحزن ثم يحيا ويموت « قل انما أنا بشر مثلکم يوحى الى » ، « فاصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم » ، « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد » ..

فهذه الآيات وأمثالها حين تصفه بالبشرية ، تقارن فى القرآن آيات أخر تصفه بالعبودية لله رب العالمين « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب » ، « سبحان الذى أسرى بعبده » ، « أليس الله بكاف عبده » وهذه الآيات وتلك الآيات — فى وصفها اياه عليه السلام بالبشرية والعبودية — تستهدف أمرين :

قومه ، ولكن محمدا كان فى الذروة من فخار النسب ، وكان نسبه العريق ملتقى الأنساب بين أقوى الأقوياء وأغلب الغلاب وأشرف البيوتات ، يجتمع معه فى مضر قبائل قيس كلها ، ويجتمع معه فى نزار قبائل بكر وتغلب ، ويجتمع معه فى عدنان من لم يجتمع من هؤلاء وهم جميعا فى الصفوة من ذوى العصبية الأعزاء فاذا كان فى مكة فهو فى بلد الكعبة التى كان يهدى اليها العرب أعز ما يملكون وأنفس ما يقنتون ، والتى اهدى اليها كسرى — فيما يذكر الامام السهيلي — الغزالين من الذهب اللذين كشف عنهما حفر عبد المطلب بئر زمزم ، واذا كان عليه السلام فى قريش فهو فى بنى عبد مناف ، واذا كان فى بنى عبد مناف فهو فى بنى هاشم ، واذا كان فى بنى هاشم فهو ابن عبد المطلب ، خلاصة من خلاصة من خلاصة ، كما يقول الأثر الشريف « ان الله اصطفى من بنى اسماعيل كنانة ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى بنى هاشم من قريش ، واصطفانى من بنى هاشم ، فأنا خيار من خيار من خيار من خيار » .

ان محمدا أكبر من أن تجلى كرائم صفاته كلمات ، كما أن دعوته أجل وأعظم من أن تشرح مقاصدها وأهدأها أقلام عجلي فى يد أذهان مجهودة تكتب الى قراء رهقتهم تكاليف الحياة ، وأحاطت بهم خبائث الدعايات الكواذب التى تعوق عن التأمل الصحيح والاستيعاب الواعى لفضائل المذاهب الاصلاحية والقائمين عليها وفضائح المذاهب الهدامة والمتعصبين لها .

والذين يطيب لهم أن ينتقموا بالحديث عنه صلوات الله عليه لا بد

أحدهما تبيان الحق وأخذ الطريق على المعاندين الذين يطلبون إليه ما ليس فى طاقة البشر ، وثانيهما تطهيره من الغلاة الذين قد ينساقون - خبثا أو جهلا - الى السمو به فوق البشر فيضعونه فى منازل الالوهية . وعجب فى هذا المعنى أن ترى من أمته من يرفعه بعض أتباعه الى منزلة الاله مع أنه صلوات الله عليه ظل على مر القرون فى منزلته من كونه بشرا عبدا لخالق السماوات والأرض ، فلم يتحدث عنه تاريخ الا بأنه عبد الله ورسوله وفيض رحمته للعالمين ، ومرد ذلك عند التحقيق الى هذه الآيات التى أدامت على الاسماع وصفه بالعبودية حتى صرف ذلك طلاب الغلو عن الغلو فيه ، وحتى وقفوا به عند وصف القرآن اياه .

ولئن كانت هذه الآيات قد أدارت على الاسماع وصفه بالبشرية فحال ذلك بين الغلاة وبين رفعهم اياه الى منزلة الالوهة ، لقد كانت هذه الآيات نفسها مجالا لعناد معاند وتكذيب مكذب « وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا » .

واما أخلاقه عليه السلام فحسبك منها فى القرآن قول الله « وانك لعلى خلق عظيم » ، « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ، وخلقته العظيم صلوات الله عليه - بكل ما ينطوى عليه من مفردات الصفات الكريمة - لم يتهيا له بعد الرسالة فحسب ، ولكنه كان خلقا ملازما له من قبل ومن بعد على ما يعرف ذلك كل من قرأ ما كتبه عنه الكاتبون عربا وعجما وأصدقاء وأعداء ، ومن ذلك

ما يرويه الثقات من اختيار زيد بن حارثة البقاء معه عبدا على اللحاق بأبيه وقومه حرا ، فى حديث طويل يرويه الثقات من المحققين وفيه يستبين قول الله تعالى « ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله » فان هذه الآية نزلت بسبب تبني محمد زيدا واشهاده قريشا على أنه ابنه وأنهما يتوارثان كما يرث الولد والده والوالد ولده ، وكان ذلك عرفانا من محمد لفضل زيد وتقديرا كريما لموقفه معه حين آثره على أبيه وآثر بيته على بيت قومه .

وأما ثقل أعبائه فى قول الله تعالى تبيان له « يا أيها المزمّل قم الليل الا قليلا » فقد فرض الله عليه قيام الليل ، وفرض على نسائه تبعاله ما لم يفرضه على سائر نساء المسلمين فضاعف لهن العقوبة فى الاساءة والمثوبة فى الاحسان .

وأما أنه كان قدوة للمؤمنين يدعوهم الى الخير بعمله أكثر مما يدعوهم اليه بقوله فما نرى أحدا يخفى عليه أن يجد لذلك مثلا لا تخضع لحرص ولا تنقاد لبيان ، وآية ذلك أنه يدعو الناس الى التقشف وهو سيد المتقشفين حتى تقول عائشة « لقد كان يمضى الشهر والشهران دون أن توقد فى أبيات النبی نار فليس له ولا لأهله من طعام الا التمر والماء » .

ويذكر الثقات أن بعض أصحابه - بعد أن فتح الله عليهم الدنيا - قدم بين يديه طعاما طيبا فلما هم يضع يده ليأكل رآه الناس يبكي بدل أن يطعم فسأله سائل ما يبكيك فقال : أبكى لأن رسول الله فارق الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير وهأنذا كما ترانى وبين يدي أطيب الطعام .

وأما حب الناس له وإيثارهم طاعته
على كل أثير ، فأمر يعرفه المتدبرون
تدبر الفاقهين المنصفين .

الذى يمضى بسالكيه الى مرضاة الله
سعادة فى الدنيا ونعيمها يوم يقوم
الأشهاد ، وليس حب المجاذيب
التافهين الذين يشترون بآيات الله
ثمنا قليلا فيقودهم هذا الحب المصنوع
الى سخرية الساخرين فى الدنيا والى
مساخط رب العالمين يوم لا ينفع
مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب
سليم .

كان بعض أصحابه - فيما يروى
الثقات من أهل الحديث - يؤم
المسجد ، وفيما هو فى الطريق اليه
سمع صوت النبى يقول اجلسوا أيها
الناس ، فحين أنتهى صوته عليه
السلام الى مسمع صاحبه جلس حيث
هو فى السوق أو على باب المسجد ،
لم يزد خطوة واحدة بعد أن انتهى الى
مسمعه الصوت الشريف ، ولم يزل
كذلك حتى خرج النبى ورآه على
هذه الحال فسأله : ما أجلسك هذا
المجلس ؟ فقال يا رسول الله انى
سمعتك تقول اجلسوا فجلست حيث
ترانى ، فقال له النبى « زادك الله
طاعة » ..

أسأل الله تعالى أن يرزقنا حبه
حبا يدعونا الى القدوة به والمسارة
الى طاعته ، وأن يرزق المؤمنين به
ايمانا يدعوهم الى صيانة تراثه من
عبث العابثين وتآمر المتآمرين وتربص
المتربصين ، ولئن فعل - وله الفضل
والنعمة - لقد أدركتنا رحمته فخرجنا
بها من ظلمات تلف الماضى وتحجب
المستقبل وتنذر بأكبر الاضرار وأشد
الآخطار .

فهكذا كان أصحابه يحبونه حبا
يدعو الى القدوة به ، وهو الحب

والله الهادى الى سواء السبيل .



السلوك

محمود

الأمم

للاستاذ الدكتور : محمد البهي

* هو محمد بن عبد الله عليه السلام .
* هو ذلك الانسان الذي تخلص منذ طفولته من تأثير الشهوة والهوى على تصرفاته . وما يروى عن أنس من أنه قد شق صدره في طفولته وأخرجت منه المصغة السيئة ليس الا تعبيراً حسيماً عن هذا التخلص ، او بالأحرى ليس الا تعبيراً عن مدى تجنبه منذ الصغر وقدرته على الحركة لما يؤذى الذات أو يؤذى الآخرين ، وعن التزامه بالسلوك الانساني الكريم في تصرفاته وفي مواقفه .

* هو الطاهر ، والأمين : لم يفعل الا ما هو مقبول عند الناس . ولم ينقل أو يتحدث الا من واقع ملموس .

* *

* كان معداً بصفاته الانسانية الكريمة لأن يتلقى رسالة من الله للبشر ، تجمعهم على الكرامة الانسانية التي تتمثل في الايمان بالله وحده ، وتهديهم الى الصراط السوي ، وهو صراط العدل والاحسان .
ولكنه لم يكن معداً لأن ينقل عن الآخرين من أهل الكتاب ممن أصابوا طرفاً من رسالات الرسل السابقين . اذ كان امياً : لا يستطيع الاطلاع

على ما لديهم بالقراءة ، كما لا يستطيع تسجيله بالكتابة ، فضلا عن اختلاف اللسان بينه وبينهم : « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا ، وهدى وبشرى للمسلمين . ولقد نعلم أنهم يقولون : انما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون اليه (أى يحيدون عنه ويكفرون به) أعجمى ، وهذا لسان عربى مبين (١) » .

* فاذا أضيف الى كونه عليه السلام أميا : ان القرآن « موضوعى » يستهدف البشرية وحدها وتخليصها من آثار الشهوة والحزبية ، وآثار الشعوبية والعنصرية .. يستهدف نقل المجتمع الانسانى من بداءة السلوك ، وقبيلية التصرف والموقف .. الى مجتمع ذى حضارة ترى فيها خصائص الانسان فى بناء العلاقات ومباشرة التصرفات .. اذا أضيفت الى أميته : « موضوعية » رسالته ، فان صدقه فى هذه الرسالة لا يحيد عنه الا جرىء فى الإنكار ، أو واقع تحت تأثير دفع العادة أو جمود الذهن وحركة التفكير .

وموضوعية القرآن تتجلى :

أولا : فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . والمعروف هو ما شاع فى عرف الناس قبوله واستحسانه . والمنكر هو ما راج لديهم استنكاره ورفضه . وما كان من المعروف أو المنكر على هذا النحو لا يختلف فيه فريق من الناس مع فريق آخر منهم . وبالتالي لا يمثل حزبية ولا غرضا خاصا . وانما يعبر تعبيرا واضحا عن « موضوعية » .

وثانيا : فى تحليل الطيبات فيما يستمتع به الناس : فى الأكل والشرب ، وفى العلاقة بين الرجل والمرأة . وفى تحريم الخبائث وتجنيب الناس اياها : فيما تشتهي النفس كأكل الخنزير أو الميتة ، وكشرب الخمر ، ولعب الميسر ، وكالربا فى المعاملات المالية ، والزنا فى علاقة الذكر بالأنثى .

والطيبات هى ما تنطوى على المتعة التى لا يصحبها ضرر للذات أو للغير . والخبائث هى ما يؤدى تناولها أو مباشرتها الى ضرر يعود على الذات أو على الغير ، أو عليهما معا . وتحليل الطيبات ، وتحريم الخبائث فى القرآن لا يستند الى التأثير بعادة فى مجتمع ما . وانما يستند الى « موضوعية » فوق كل الفروق فى العادات والتقاليد فى المجتمعات البشرية وتستهدف الصالح العام وحده لكل انسان .

وثالثا : تتجلى هذه الموضوعية للقرآن فى تحرير المجتمعات مما وراء ذلك من قيود على الاستمتاع بمتع الحياة المادية ، أو على المعاملات أو العلاقات .. تلك القيود التى وضعتها تقاليد معينة أو أعراف خاصة . وعلى وجه معين تحريرها من عبادة الاصنام وعبادة الانسان للانسان ، والاعتقاد فى الخرافات والاهوام .

وهذا كله بالاضافة الى أداء عبادة المال ، ووجوب مباشرة العدل ، والسعى الى سلوك طريق الاحسان : « ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم ،

فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون» (٢) .

ان (أمية) الرسول عليه السلام مع (موضوعية) رسالته ، هي الحجة القاطعة اذن في صدقه في الرسالة .

وموضوعية الرسالة يبعدها عن أن تكون طريقا للانتقام ، أو الانقلاب ، كما يبعد أن تكون الدعوة اليها لاثارة الاحقاد ، وهدم أو اصر الاخوة البشرية بين الافراد جميعا .

موضوعية الرسالة تجعلها تسلك مسلك التوجيه ، وتخطب منطق الانسان ، دون شهوة المعدة أو الفرج ، وتحتكم الى الارادة الحرة فيه . ولذا : ما يعرضه القرآن من أمارات محسوسة في الكون تشير الى وحدة الله في الوجود . . يقرها كل صاحب منطق سليم ، ويستخلص منها الدلائل كل من لا يعترض تفكيره تمسك بعادة أو تقليد خاطيء . وعلى نحو هذه الامارات في وضوح استخلاص نتائجها منها ما يضربه من أمثال . فهي توجه الى العقل البشرى وحده . نقف قليلا عند قوله تعالى : « وضرب الله مثلا رجلين : أحدهما أبكم لا يقدر على شيء ، وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير ، هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم » (٣) . . اذ من النظر في هذا المثل يصل العقل الى التمييز والمفارقة بين شخصين لا ينبغي أن يكونا في مستوى واحد . اذ أحدهما فاقد الارادة واستقلال الذات ، بينما الثاني يملك زمام أمر نفسه ، كما يملك شأن العدل بينه وغيره . ومن وصول العقل الى هذا التمييز بين موجودين في عالم الوجود يدرك : أن هذا العالم لا يستطيع أن يوجد الا من كان كامل القدرة على الأثبات والمتباينات . وكامل القدرة يجب أن يكون واحدا ، ويستحيل أن يكون متعددا .

وبقدر ما تخاطب الرسالة الموضوعية لدعوة القرآن العقل البشرى ، بقدر ما تعتمد كذلك على الارادة الحرة والمشيئة المطلقة في الانسان . أي تعتمد على الاقتناع الذاتي بها : « قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ، فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، وما أنا عليكم بوكيل » (٤) .

فالحق — وهو دعوة القرآن — معروض فقط وغير مفروض بالقدرة المادية أو بالتحكم في مصائر الافراد وأرزاقهم ، والانسان له أن يهتدى فيؤمن بها ، أو ينحرف ويضل فيكفر بها . والقائم بأمر هذه الدعوة ان هو الا مبلغ ومعلن لها . . ان هو الا موضع بعيد في توضيحه كل البعد عن أن تكون له ولاية أو سلطة على من يدعوهم .

ولذا اذا كان موضوع الدعوة القرآنية انسانية من حيث المبادئ والقيم العليا التي انطوت عليها . . فأسلوبها انساني كذلك ، من حيث : بعده عن الاكراه ، ومن حيث : اتجاهه المباشر الى عقل الانسان وحده . وبانسانية موضوع الدعوة ، وبانسانية أسلوبها مع ذلك : تقوم رسالة الرسول الامى عليه السلام للانسانية حضارة في مستوى رفيع ، تعجز البشرية حتى الآن عن أن تقدم لونا من الحضارة يخلو من أثر الحزبية ومن وسيلة العنف والاكراه . والقرن العشرون بما له من فخر الابداع في بحوث الفضاء والآلية ، والاعتزاز بالتوسع في التطبيق التكنولوجي . . فان ما استحدثته من وسائل التدمير الرهيبة يجعل من بعض الشعوب أمما

كبرى ذات نفوذ على حساب ماعداها ، ومن البعض الآخر أمما صغرى تدور فى فلك غيرها ولسيادتها ومصالحها الذاتية . كما أن ما يتصارع فيه من ايدولوجيات لا تعرف للقيم الانسانية العليا وزنا وانما تمجد نظم حكم معينة والقوة المادية وحدها ، كما لا تعير حرية الانسان اهتماما فى قبوله لما يشاء . بل تكرهه اكرهاها على قبول رأى معين بطريق مباشر أو غير مباشر . ولذا اذا كان القرن العشرون قرن الحضارة العلمية الصناعية فانه قرن مفلس بالنسبة للحضارة الانسانية الخالصة .

ومحمد الأمى عليه الصلاة والسلام فى بلوغه هذا المستوى الرفيع المعجز فى موضوع الرسالة وفى أسلوب الدعوة اليها ، انما كان له ذلك بنفضل اصطفائه من قبل الله لهداية البشرية . ولو لم يكن مصطفى ومختارا من الله لوجد قصور فى موضوع الرسالة — أو لكان قد التجأ ولو مرة الى الهوى أو الاكراه فى أسلوبها : « أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا (أى تناقض) كثيرا » (٥) .

لم يفرض عليه السلام دعوته الى الحق على أحد ، عندما كان يستطيع أن يفرضها بالقوة على المكين يوم أن دخل مكة فاتحا وكان له النصر المبين اذ ذاك وانما بقى ملتزما أساس الأسلوب فى الدعوة اليها : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » .

وأسلوب دعوته لذلك لم يكن أسلوب ثورة ، وانما كان أسلوب توجيه واقناع .

ولم يكن أسلوب انقلاب ، بل كان أسلوب تطور .

فالثورة والانقلاب — مع فرق بينهما — وسيلة لتمكن صاحب الفكرة من السلطة أولا عن طريق القوة المادية . ثم بعد أن يتمكن يفرض دعوته بكل الوسائل التى تصم الأذان بها ، وتعمى الأبصار عن غيرها ، وتغلق القلوب والعقول دون قبول ما سواها .

ثم شتان بعد ذلك بين موضوع دعوته عليه السلام وموضوع ما يسمى بالثورة أو الانقلاب فى عصر العلم والتكنولوجيا . فبينما الحق للبشرية كافة يتجلى فيها جاء به وحى القرآن . . اذا بالهوى والشهوة يسيطران على خطوط الايدولوجية الثورية وعلى وسائل نشرها .

ان الثورة أو الانقلاب من أجل السلطة فقط ، بينما دعوة الحق التى جاء بها محمد الأمى عليه السلام هى لاصلاح البشرية ، وتمكين الخصائص الانسانية فى العلاقات بين أفرادها . ولم يكن فى تصويره عليه السلام عندما قام بدعوته مبشرا ونذيرا وهاديا الى صراط الله : أن ينقض على عرش ملك أو نظام حكم ، ليرث الحكم وجاهه ، أو أن يكون ثريا يحيا حياة الترف عن طريق ثرائه الطارىء . وانما بقى فى تواضعه فى أسلوب الحياة قبل الدعوة ، ولم يتغير بعد أن دان له النصر ، وأصبحت له أمة متماسكة ، وقوة عزيزة الجانب تصد العدوان عن دين الله الذى اجتمع عليه من كانوا أشد فرقة فيما بينهم ، وأقرب الى الهاوية بسبب خصومة بعضهم لبعض ، فى لحظة من اللحظات : « واذكروا نعمة الله

عليكم « اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » (٦) ..

والاحتفال بذكرى ميلاد الرسول الامى عليه السلام هو قبل كل شىء فى ابراز موضوعية رسالته ، وبانسانية مبادئها وأسلوب الاقتناع بها .. هو فى تأكيد اصطفائه من الله . لأن القرآن بما له من موضوعية مطلقة يستحيل أن يأتى به شخص — وشخص امى — مهما تعاون معه المتعاونون وشد أزره أصحاب المعرفة والحكماء المختلفون : « قل : لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن (فى موضوعيته وتجرده عن الغرض والهوى قبل كل شىء) لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (٧) .. هو فى ادراك المسلمين فى حاضرهم أنهم باتخاذهم أسلوب العلمانية أو التبعية لايدولوجية أجنبية ، انها يستبد لون الذى هو أدنى بالذى هو خير . لانهم عندئذ يأخذون بجملة من المبادئ صاغها الحق والهوى ، أو صاغتها الأنانية ، بدلا من نظام يرى العلاقات الانسانية فى انسانيتهامودتها والاخاء بين أفراد الانسان جميعا . وانهم بعد ذلك يسخرهم الشيطان فى سبيل الطغيان وحده ..



-
- (١) النحل : ١.٢/١.٣ ..
 - (٢) الاعراف : ١٥٧/١٥٦ ..
 - (٣) النحل : ٧٦ ..
 - (٤) يونس : ١.٨ ..
 - (٥) النساء : ٨٢ ..
 - (٦) آل عمران : ١.٣ ..
 - (٧) الاسراء : ٨٨ ..



للدكتور على عبد المنعم عبد الحميد
الاستاذ في جامعة الكويت

سَيِّدِي رَسُولَ اللَّهِ

عن الصعب (١) بن جثامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« لا حمى (٢). الا لله ولرسوله » .

رواه البخارى

فقد روى أن هذا القول الشريف موجه أصالة الى شرفاء الجاهلية الذين كانوا اذا نزل ادهم أرضاً استعدى كلباً فحمى مدى عوائه لا يشركه فيه غيره ، وهو يشارك القوم فى سائر ما يرعون فيه ، فكان هذا التوجيه نهياً عن فعل ممقوت ، ضرره يقع على الاكثرين ، ويعود فضله على آحاد . ويستمر واجب التطبيق فى كل عصر ومصر حتى ينفخ فى الصور لا يقبل نقداً ولا تعديلاً ، لان مصدره من يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ، ومبلغه ومنفذه المجتبى المختار .
والاسلام فى حاجة ماسة الى اقامة الدعوة لمبادئه القويمية ، حتى تثبت فى الارض وتستقر فى النفوس ، وتصبح واقعا عمليا مطبقا فى أرضه ، فلا بد من تبصير أممه وشعوبه بمناهجه الصريحة السليمة البينة ،

كل عاقل يجب أن يستكثر من الخير ، وكل قوى يريد أن يبسط سلطانه على ما تؤهله له قوته ، ولا يخلو الامر فى كل حال من ظلم يحق بأخرين ، وتعد على مستضعفين ، وقد مر ويمر بالحياة قاهرون ومقهورون ، وغالبون ومتغلبون ، ولو أن البشر تركوا وشأنهم دون قيادة حازمة تضع كل شىء فى موضعه ، وتعمل على ايصال الحقوق لاصحابها لصارت أوضاع الناس فوضى حيث لا هادى ولا رائد ، ولا حامى ولا ذائد ، وفى هذا الحديث الشريف يوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم متزعمى الجاهلية الى ربهم القوى ويمضى بهم الى رحاب رسوله المصطفى ويعلمهم أن كل شىء لله وحده ولا يحق لعبد أن يخص نفسه بزائد يتجاوز به حدود رب العالمين ،

واحد وهو : لا ، والف لا ، يقولها التاريخ بملء فيه ، وتتردد أصداؤها في الدنيا بقوة قوية جارفة للباطل ، ماحقة للكفر ، وكيف يطلب دنيا ؟ ورب الدنيا يقول له في محكم كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا » وكيف يطلبها وهو يعلم : أن الدنيا خداعة غدارة ، مأكرة فاجرة ، عزها ذل ، وغناها فقر ، لا بقاء لها ولا استقرار : « لو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء » .

نعم : لقد طلبها في حدود أوامر الله تعالى ونواهيه ، واستقر فيها لحظات من عمر الزمان ليعلم البشر أن العاجلة مزرعة الآجلة ، وأن هنا سوق للبيع والشراء ، وهناك احصاء الربح والخسارة ، وقد رحل عنها يوم اطمأن على رسوخ أقدام الدعوة ، وثبات مبادئها ، واستقرار الأمر لخلفائه من بعده .

وكيف يطلب جاها ؟ وجاهه مستمد من رب كل شيء المبدىء المعيد الذي أوحى إليه ما أوحى بعدما أطلعه على جلاله وعظمته ربه مسير الفلك ، ومقيم الملوك ، ومبيد الظلم والظالمين ، أهلك فرعون وهامان ، وأسرى به في لحظات ، وطاف به الملكوت في لمح البصر : « علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالافق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى » .. الآيات من سورة النجم .. — كيف يطلب جاها غير جاه ربه الذى أراه منازل العتاة الجبارين في النار : « اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون ، في الحميم ثم في النار يسجرون » هناك

التي ترسى أسس العمران القائم على مجتمع متكاتف متحاب ، متحد متساند ، ولا ينمو ولا يزدهر الا بدعاة مخلصين مؤمنين بالله وحده وبرسوله الامين : « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » ووثقوا بقيوم السموات والأرض ، وعرفوا عن يقين لا يتسرب اليه شك ، ولا يداخله ريب ، أن الله الذى رفع السموات بغير عمد ، وبسط الأرض ودحاها ، ذلك الاله القوى القادر القاهر العظيم ، هو رب محمد النبي العربي الهاشمي القرشي ، سليل أمة شرفت به في دنياها وأخراها ، وقد رعاه في الجاهلية وتمهده وأدبه فأحسن تأديبه ، وأكرمه اذ حال بينه وبين الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، واختاره من بين خلقه أجمعين لحمل الرسالة وأداء الامانة الى الناس كافة ، وحفظه بعنايته من شياطين الجن والانس ، وجعله من أولى العزم ، تحمل الاذى من قومه وصبر عليه ، فقد أودى في سبيل الله فصبر حسبة لله ، القيت عليه الحجارة وبصق على وجهه الشريف ، وجمعت القاذورات على باب داره ، وأخرج من بين أهله وعشيرته ، فما وهن عزمه ، ولا ضعفت ارادته ، ولا أوغر صدره على أحد ولا قسا أبدا حين قدر : ولا تخاذل في القيام بالمهمة التي وكلت اليه ، بل مضى قدما في الدعوة الالهية وجاهد وجالد وصبر وصابر ، وكان جوابه الدائم للمعاندين ، والمؤذنين والمعوقين جواب الرحيم ، والاخ الكريم ، والرسول الحكيم ، « اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون » ..

وهنا نتساءل : هل كان رسول الله صلى اله عليه وسلم يريد من دعوته مالا ؟ أم هل كان يطلب جاها ؟ ، أم كان يسعى لدنيا في صورة أخرى ؟ والجواب على هذا التساؤل جواب

القوة فى التعاطف الاصيل الذى يمحو الفوارق ، ويبيد الفتن التى تنشأ من حقد الفقير على الغنى ، وما الغنى فى أمة الاسلام الا نائب عن الله فى ماله ، وليس له مما ملك أو مما ملكه الله الا ما أكل فأغنى أو لبس فأبلى ، أو تصدق فأبقى ، وأن يعرفوا تمام المعرفة أن من دواعى انهيار المجتمعات السعى فيها بالفساد فمحوها من بينهم الساعى بالنهيمية المفسد بين الناس بالوقية الخادع الغاش فكل أولئك لهم مكان فى سواء الجحيم ، فمجتمع الاسلام الحقيقى يوقن العائشون على أرضه المستظلون بسمائه أنهم كما هم سواسية فى هوائه وشمسه ومائه هم كذلك سواء أمام رب الهواء والشمس وخالق الليل والنهار لا فضل لأحدهم على أخيه الا بالتقوى ان اكرمكم عند الله أتقاكم .

لله أنت سيدى رسول الله ، حولت كل شىء الى الافضل ، فبدلت الظلم عدلا ، والجور انصافا ، والجهل علما ، والظلمة نورا ، والكفر اسلاما وايمانا ، والتنافر محبة ووثاما ، لقد حولت الحمق والعنجهية والجاهلية الجهلاء فى بعض أصحابك الى صرامة فى خدمة الدين ، ودفاع فى ايمان وصوفية فى قوة ، وصيرت من قصاب كسعد بن أبى وقاص قائد جيش وقاتح ممالك ، وبدلت من خالد ابن الوليد الحرب على الاسلام صديقا مؤمنا سييفا للاسلام مجاهدا فى سبيل الله حتى لقي ربه وهو عنه راض ، وجعلت من العبد ذى الراى المطروح والقول المتروك وخدن المهانة وقرين الذل ، عنوانا على الصبر ورمزا للجهاد فى سبيل الحق والعقيدة ، وقبل كل أولئك أريتنا كيف يصير الاسلام الرجل صديقا صدوقا ، وحبيبا مخلصا ، يفتدى صاحبه بنفسه ، ويقدم راضيا روحه فى

يقال لهم : ((ذوقوا مسى سقر)) ويقول قائلهم : ((يا ليتها كانت القاضية ، ما أغنى عنى ماليه ، هلك عنى سلطانيه)) فيجاب : ((خذوه فقلوه . ثم الجحيم صلوه)) . الآيات من سورة الحاقة .

وكيف يريد من الدنيا مالا وهو صلى الله عليه وسلم الذى أنزل عليه : ((ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا)) . الآية ٣٠ من سورة الاسراء - ويوقن بغنى وقدره من يقول : ((ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم ابوابا وسرا عليها يتكئون ، وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين)) الآيات ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ من سورة الزخرف .

هيات هيات ، ان تكون دعوة خير الخلق لدنيا أو لجاه أو لمال !!؟ وانما كان لبها وجوهرها ومبدؤها وخيرها ، وأولها ومنتهاها ، هداية الحائرين وارشاد الضالين ، وانشاء مجتمع اسلامى قوى قويم مستقيم ، فيه يتعاطف المواطنون ويتراحمون ، يعرفون لربهم حقه ، ولدينهم واجبه ، وينالون من طيبات الدنيا فى غير مخالفة ولا تجاوز لحدود الله : ((قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون)) . الآية ٣٢ من سورة الاعراف . دعا سيدى رسول الله الى تكوين أمة سداها ولحمتها الايمان بالله ، والتواصى بالخير والمرحمة ، أمة تتواصى بالحق وبالصبر ويعرف أبنائها أن لهم مكانا على الارض يجب أن يحموه ، وأن يشهروا السلاح فى وجوه أعدائه ، ويؤمنون بأن القوة كل

حملها رجال آمنوا بالله وزادهم
هدى ، وباب العمل مفتوح ، ولكل
مجاله الذى يستطيع فيه خدمة
عقيدته فلا تهنوا ولا تحزنوا وانتم
الأعلون ان كنتم مؤمنين .

وبعد : فان الحقبة التى نعيشها
الآن ، تطلب من كل فرد قادر ان
يتحمل المسؤولية كاملة وان لا يحاول
إلقاء التبعة على غيره ، فالحاجة
دافعة الى تضافر الجهود ، واستغلال
الخيرات ، واطراح الأنانية المقيتة ،
والتجافى عن الراحة والدعة ،
والسير نحو البناء المعمر الشامل ،
كل ذلك مع طاعة الله ، وانتهاج
الطريق الأقوم ، الذى نصل منه الى
قهر العدو الكاشح المتربص ، وبهذا
يظل الحمى لله ولرسوله مهابا
مصونا ، فمن لم يزد عن حوضه
بسلاحه يهدم ، ومن لا يحمى حماه
يهلك ، ومن ينكص على عقبه فالنار
مثواه والدمار نهايته ، والحق واضح
ابلج ، والباطل ضعيف لجلج ، والله
مع العاملين ولن يترهم أعمالهم ..

سبيله ، وحسبت هذه المعانى فى
نماذج كثيرة من اصحابك الاكرمين
على الله وعلى الناس .

هذه التركة التى ارسى قواعدها
سيدنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم والتى تهيجها فى نفوسنا
ذكرى مولده الشريف تحتاج الى
رجال مؤمنين موقنين بفناء الدنيا
وبقاء الآخرة يعملون لها (أى
للدعوة) ليلا ونهارا حتى تبقى وتثبت
وتطبق ، تريد عاقلا تعاف نفسه
طعام الزائلة ، ويدعو مخلصا لوجه
الله ، يقول مقالة نوح لقومه : « ويا
قوم لا اسالكم عليه مالا ان اجرى الا
على الله .. » ومقالة هود لماد :
« يا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان
اجرى الا على الذى فطرني افلا
تعقلون » وذلك ليثقوا فى اخلاصه
ولا يجدوا ثغرة ينفذون منها الى
عرضه وخلقه .. التركة تريد رجلا
حازما مجاهدا فى سبيل الله يتحمل
المشاق بقوة أولى العزم ، فقد بدأ
الاسلام بالدعوة المسالمة الى الله ،



(١) الصعب ، بفتح الصاد وسكون العين المهملتين ، وجثامة ، بفتح الجيم وتشديد
الثلثة ، لئى .

(٢) الحمى - لغة : المحذور ، وفى الاصطلاح الفقهى ، ما يعمى الامام من الارض الموات
لرعاة يعينها لهم ، ويمنع سائر الناس من النزول فيها ، ويطلق الحمى ايضا على محارم
الله تبارك وتعالى ، وفى الحديث الشريف ، الا وان حمى الله محارمه ، ومن هام حول
الحمى يوشك ان يواقعه .. الخ .

الطلاق

للشيخ : محمد ابو زهرة

١ - « ربنا لا ترغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ،
إنك أنت الوهاب » .
« ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن ، وما يخفى على الله من شيء في
الأرض ولا في السماء » .
ربنا اجعلنا من الذين قلت فيهم : « وهدوا الى الطيب من القول ، وهدوا
الى صراط الحميد » .

ربنا اجعلنا من الذين يستمعون الى كتابك الخالد من غير تحريف للقول
عن مواضعه ، واجعلنا من الذين يدعون اليك سبحانه .
ومن ينطبق عليه قولك الحكيم : « ومن احسن قولاً ممن دعا الى الله
وعمل صالحاً وقال اننى من المسلمين ، ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع
بالتى هي احسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما يلقاها الا
الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » .

أما بعد ، فقد قرأت في العدد الخامس بعد الثمانين من مجلة (الوعى
الاسلامى) التى أعرف أنها لا تنشر الا ما يتفق مع كتاب الله وسنة رسوله
صلى الله تعالى عليه ، قرأت فى هذا العدد مقالا مسهبا لأستاذنا على الخفيف ،
قد كتب بعبارة انسانية واضحة ، تنتهى الى ضرورة أن يكون الطلاق بعد
التحاكم أمام القاضى ، وأن من يطلق من غير تحكيم للقضاء يعاقب بالسجن
والفرامة ، وقد ساق المبررات لذلك فى نظره .

وكنت أود مع اخوانى أن يبدي هذه المقدمات التى ساقها أمام لجنة
الأحوال الشخصية التى قدمت مشروعها سنة ١٩٦٢ ، وكان من أبرز أعضائها
لكى يجنبها الخطأ الذى وقعت فيه وهو منع أن تقع عقوبة على المطلق ، ولقد
قررت ذلك بالاجماع ، ولم يعترض الأستاذ على منع عرض أمر الطلاق على
القضاء الا أن يكون بطلب المرأة مما نص عليه القانون فهو قد وافق مع الموافقين
ولم يخالف .

وكنت أود أن يقدم ذلك البيان البليغ لمؤتمر مجمع البحوث الاسلامية
ليهدى المجتمعين الى ما يراه الحق المبين ، ولكنه لم يقدم ، ووافق على ما رآه
أعضاء المؤتمر بالاجماع ، وهو منع وجود عقوبة على المطلق وعدم الحاجة الى
أن يكون تحكيم فى مجلس القضاء .

ولا ندري لماذا لم يقدم ذلك البيان البليغ فى الحالين ، ولماذا وافق مع المجتمعين ، لعله كان معهم ، ولما انفرد عنهم رأى ما رأى ، والرجوع الى الحق فى زعمه خير من التماذى فى الباطل ، وسبحان مقلب القلوب .

٢ - واذا كان أستاذنا لم يقدم ذلك البحث المزين بأحسن الالفاظ فى وقت الحاجة اليه ، ووافق على ما اجتمع عليه اخوانه ، فكان معهم ، فأنا لا نسأل لماذا غير ما اجمع عليه مع اخوانه ، ولكن ندرس البحث فى ذاته من غير نظر الى ما أحاط به ولا الى وقت تقديمه ، وان كان مؤخرا عن وجوب تقديم ، ولا نلتفت الى ما سبق ، فسبحان الذى لا يتغير ولا يتبدل ، ولا يجرى عليه البداء بأن يبدو له ما لم يكن فى اعتباره ونلاحظ ابتداء على بحثه أنه أحيانا يقتطع الآيات عما سبقها ، وأحيانا يقتطعها عما وليها ، فمثلا يقول : قال تعالى : **« تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون »** . والاشارة فى تلك الى حدود الله السابقة ، فلم لا يذكرها ؟ اليوم أنها ما يراه هو حدا من حدود الله ؟ .

ولنتم له الآيات بذكر ما اقتطعه مما قبلها ، حتى صرنا لا نفهم لفظ الاشارة فى (تلك حدود الله) يقول تعالى : **« والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ، وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك ان أرادوا اصلاحا ، ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم . الطلاق مرتان ، فامسك بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فان خفتم ألا يقيما حدود الله ، فلا جناح عليهما فيما أفنتت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون »** .

انظر قد قطع لفظ الاشارة عن المشار اليه ، فلم تكن الحدود ان تكون ثمة رقابة من القضاء ولكن كانت الحدود لمدة الطلاق ، وحق المطلق فى الرجعة وجوازها عند ارادة الاصلاح والفدية فى التفريق ان خيف ألا يقيما حدود الله . هذه هى الحدود وليس منها وضع الطلاق تحت رقابة القضاء .

وقد ذكر بعض هذه الآيات فى مقام آخر ليوهم فيه شيخنا مساواة الرجل بالمرأة الا فى حق القوامة عليها . وهى : **« ولهن مثل الذى عليهن »** والآية لو تأملها شيخنا لوجد أنها لا تتعرض لمساواة المرأة بالرجل ، بل هى تدل على تساوى حقوقها مع الواجبات عليها ، فالله تعالى يقول : **« ولهن مثل الذى عليهن »** أى لهن من الحقوق مثل الذى عليهن من واجبات بدليل التعدية فى الأول باللام ، التى تفيد الملك ، والثانى بعلى التى تفيد الالزام ، ولا نحسب أن ذلك كان يخفى على شيخنا صاحب ذلك البحث البليغ لو تأمله ، ولكنه نظر اليه نظرة عابرة ، وظنه يفيد مساواة الرجل بالمرأة وان ذلك مبدا خلقى وشرعى فلا واجب الا وفى مقابله حق ، فاذا كانت المرأة عليها تربية ولدها فانه يقابله حق الحضانة .

والحقوق الشرعية كما يعلم الشيخ هى للتمكن من أداء الواجبات الشرعية والشيخ حفظه الله تعالى يقتطع الآية عما يليها ، ومن ذلك أنه يستشهد فى الاصلاح فقد نقل قوله تعالى : **« وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو أعراسا ، فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير »** واكتفى بهذا القدر ، وما بعده يوضح المعنى أكثر ، ولكنه يريد الوقوف عند ذلك ، وفيما

بعده بيان أن شح النفوس محضر ، وأن العدل النفسى غير ممكن ، وأنه اذا حضر شح النفس بدل السماحة ، والظلم بدل العدل فالتفرق واجب ، ولنقرأ الآية كاملة ، لا كما اقتطعها شيخنا حفظه الله تعالى :

« وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا ، فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير ، واحضرت الأنفس الشح ، وأن تحسنوا وتتقوا ، فان الله كان بما تعملون خبيرا ، ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل . فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا ، وتتقوا فان الله كان عفورا رحيفا . وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما . »

ترك الشيخ حفظه الله تعالى ذلك الجزء الأخير من الآية ، ولا أدري لماذا أهمله ولم يذكره لعله لا يريد أن يغضب أحدا بذكره ، ولعله لا يريد أن يذكر أن فى القرآن استحسانا للطلاق ولو فى بعض الأحوال .

٣ - ولقد استشهد الشيخ حفظه الله بأن عمر رضى الله عنه لما رأى الناس يكثر من الطلاق بلفظ الثلاث أو يكررونه فى العدة جعله ثلاثا ، فقال : روى ابن عباس رضى الله عنه أن الناس تتابعوا فى الطلاق ، وتعجلوا ، فتجاوزوا حدود الله تعالى فيه ، وطلق بعضهم مرتين وثلاثا فى عدة واحدة أو بلفظ واحد ، وكثر ذلك منهم ظنا منهم فيما أن الطلاق تصرف وكل لهم أن يستعملوه كما أرادوا فيكون طلاقا معتبرا فى وقوعه ، وفى عدده ، فلما رأى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عده خروجا عن حدود الله ، وعصيانا لما شرع الله ، فاستشار الصحابة ، وقال ان الناس قد استعجلوا فى أمر لهم كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم ، فلما وافقوا أمضاه عليهم . . .

ولنا تعليق على هذا الخبر عن عمر رضى الله تعالى عنه من وجوه : أولها : ان الذى استكثره عمر رضى الله عنه أنهم طلقوا أكثر من مرة فى العدة ، ولم يذكر أنهم طلقوا ثلاثا بلفظ الثلاث (راجع كتاب الطلاق للمرحوم الشيخ شاکر ، وأعلام الموقعين) .

ثانيا : انه زاد فى الخبر انه استشار الصحابة ووافقوه ، وظاهره أن الموافقة كانت بالقول . والخبر كما جاء فى صحيح مسلم ليس فيه استشارة ولا موافقة صريحة ، وانما الامر كما جاء فى فتح القدير أنهم سكتوا ، ولم يعترضوا فعد ذلك اجماعا ، لان السكوت فى موضع الحاجة الى البيان بيان ، وفى الاجماع السكوتى كلام ، وأنكره الشافعى وفيه كلام طويل (راجع الاحكام فى أصول الاحكام للآمدى) .

ثالثا : أن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه لم يقل مع كثرة الطلاق أن يكون بتحكيم بين يدي القاضى فيكون طلب الشيخ أن يكون بتحكيم القاضى بدعة ، وهو تقليد للنصارى ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

رابعا : أنه ادعى أن عمر فعل ما فعل للمصلحة . واذا كان الثلاث مصلحة فى نظر الشيخ فهو يأتى على أصل دعواه بالنقض ، لأنه اذا كان الطلاق لا مصلحة فيه عند التهور ، فان توكيده يجعل الثلاث تمضى ايغالا فى البعد عن المصلحة ، فكيف يسمى ذلك مصلحة ، ولكنه سماه مصلحة لغاية فى نفسه ، والله عليم بذات الصدور .

خامسا : أن عمر رضى الله تعالى عنه لم يجد نصا قاطعا فى منع قوله ،

ولو كان هناك نص قاطع في رد قوله ما وافق عليه احد من الصحابة . ولا التابعين ، ولا الفقهاء اصحاب المذاهب .

٤ - وأن الشيخ ينتهي من بحثه الذي سماه علاجاً لحال الطلاق الذي ادعى الاسراف فيه الى أن الطلاق يكون بعد التحكيم أمام القاضي ، واحسب أن ذلك داء لا علاج ، وهو اتباع للكنيسة لا للقرآن . وللاهواء والشهوات ، وليس محاربة للاهواء والشهوات .

يقول الشيخ : « يكون العلاج بوضع تشريع يوجب على الزوجين اذا ما أريد الطلاق الرجوع الى القاضي ، ليقوم بينهما بما أمر الله في كتابه من محاولة الصلح بينهما ، وازالة أسباب الخلاف بالحكمة والموعظة الحسنة حرصاً على بقاء الأسرة ، ومحافظة على ما ترتبط به المودة واذا أقدم الزوج على التطليق قبل أن يتمكن القاضي من الصلح عوقب لمخالفته ولى الأمر ، فيما أصدره من قانون ملزم ، وليس في عقاب من خالف ولى الأمر مخالفة لشرع الله ، فان أمره واجب الطاعة . . . » .

هذا ما قاله فضيلة الأستاذ ، وهو متناقض مع ما سبق من قوله من أن الطلاق بيد الزوج ، وأن الله تعالى أعطاه ذلك الحق ، إذ هو يوجبه في قانونه المحترم أن يذهب الزوجان . ومقتضى كلامه اذا ذهب الزوج وحده لا يلتفت اليه . قد يقول اذا ذهب الزوج وحده دعيت الأخرى ، ويحاول القاضي الصلح بينهما ، وبقي أمر آخر لم يذكره أن عجز القاضي عن الصلح ، واعادة المودة . ورأى الزوج أن يطلق . أيمنع من الطلاق ويجبر على الصلح اجباراً . واذا امتنعت هي عن الصلح . وطلق الزوج ايغاقب ايضاً . ان قوله هذا تفكير غريب ، واذا كان قانوننا مقترحاً ، فهو أغرب .

واذا كان لدى الزوج أسباب مبررة للطلاق كريبة ارتابها . او خروج عن جادة الزوجية الصالحة . او كانت النفرة المستحكمة التي لا يستطيع القضاء أن يجعل منها الصفاء محل الخصام وطلق الرجل في هذه الحال ، ايغاقب ، والله يقول : « وان يتفرقا يفن الله كلا من سعته » .

الله يقول ذلك ، وقانون الشيخ يقول : بل تبقى الزوجية على دخن ، ويكون الكفر في الاسلام ثم الا يفصل القاضي اذا تقدم الزوج بأسباب يراها مبررة للطلاق . والا يكون ذلك عدلاً . لئن قال الشيخ ذلك فانه يكون متناقضاً مع نفسه ، لأنه يمنع أن يكون الطلاق بحكم من القاضي . فيقول قبل ذلك لأنه منع التعزير على الطلاق بقوله :

بل قد يرى بحق أنها (أي الطلاق) معصية تستوجب تعزير من يقدم عليها غير أن ذلك قد يكون من الناحية العملية مؤدياً الى ضرر ، من المصلحة تجتبه ، وهو اشاعة اسرار الأسر ، وخفايا البيوت وما قد يتصل بذلك من اختلاق الأسباب وافتراء الكذب ، واشاعة الفحشاء ، والعيوب وغير ذلك مما ينبنى عليه طلب الطلاق ، وذلك ما يدعو الى تفاقم النزاع واشتداد البغضاء . . . وهكذا نرى أن الشيخ يهدم بيد ما بينه باليد الأخرى . . .

انه يوجب رمع الأمر الى القاضي ، والقاضي يفصل في الخصومات ، ولكن ايريد مشروعه أن يقتصر على محاولة الاصلاح فقط ، ولا ينظر ما لدى الرجل من أسباب للطلاق ، وقد جاء الأمر اليه ، والا لا يكن قاضياً جالساً في مجلس القضاء ، وأن نظر الا يكون في ذلك ما حاول الشيخ أن يتوقاه ، أم أنه يجعل مهمته فقط محاولة الصلح ، وهل يستطيع أن يمنع الزوج مما يراه مبرراً

للطلاق . والا يكون أولى من القاضى حينئذ محكمون ، او الموثق الشرعى اللهم ان هذا لفكر لا جدوى فيه ، الا ان يكون استدراجا للشيخ ومن معه الى الا يكون الطلاق الا بحكم القاضى كالنصارى .

وكان غريبا ان يقول شيخنا ان العقوبة بالغرامة او الحبس ليست لاجل الطلاق انما هى لمخالفة ولى الامر .

وقد وجدنا ذلك الكلام يجرى على السنة كل من لف لفه من اعضاء لجنة وزارة الشئون الاجتماعية ، وانا نسأله هو ومن معه لم وضع ولى الامر هذه العقوبة ليست على الطلاق من غير عرض الامر على القضاء ، وحينئذ يكون وضع العقوبة على الطلاق ابتداء ، وان العقوبة على الطلاق تكون مصادمة للنصوص القرآنية ، وما أقر الصحابة أنه حلال عند الحاجة النفسية اليه ، وتقدير الحاجة نفسى للمطلق لا ينظر أمام القضاء ، وخفايا النفوس لا يمكن القضاء أن يتعرفها .

الله تعالى يقول : « لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة » . ويقول تعالى : « واذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة » يقول الله تعالى ذلك ، ويقول ولى الامر باقتراح الشيخ من طلق من غير محاولة صلح عندي اغرمه او اسجنه ، الا يكون ذلك معصية ، ولو كانت باقتراح الشيخ ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

ان من الانصاف أن نقول : ان الشيخ قال فى بعض الصحف السيارة انه يجوز لولى الامر أن يقيد المباحات وأنه يبنى على هذا القول أنه يجوز له أن يقيد الطلاق بأن يكون بعد محاولة الصلح أمام القضاء . ونقول الحق فى هذا القول : ان المباحات قسمان مباحات بالنص . كالطلاق وتعدد الزوجات وغير ذلك من المباحات التى جاءت النصوص المحللة ، وهذه لا يصح منعها ، ولا تقييدها ، وان من يحاول منعها ينطبق عليه قول الله تعالى : « ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ، لتفتروا على الله الكذب » وينطبق عليها قول الله تعالى ناهيا : « يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ، ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين » . وقد عاتب الله تعالى نبيه عندما حرم زوجاته على نفسه ، فقد قال تعالى : « يا ايها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك ، والله غفور رحيم » .

هذا هو القسم الأول ، ومن حرمه ، انما يحرم ما أحل الله ، فلا يجوز لشيخ ولا ولى امر أن يحرمه .

والقسم الثانى ما كان مباحا بأصل الاباحة ، وبمقتضى أن الله تعالى خلق لنا كل شىء كالمرور فى الطرقات فان ولى الامر ينظمه بقيود يقيدها ، بحيث لا يصل الامر الى درجة التحريم ، فليس لأحد أن يحل أو يحرم .

هـ - هل كثر الطلاق المفرق للأسرة :

أكثر الشيخ حفظه الله من ذكر ان الناس يتسرعون فى الطلاق ، فيطلقون تحت تأثير غضب جامع ، أو فكرة عارضة من غير تدبر ولا تفكير ولا مراجعة للنفس ، وان علاج ذلك يكون بأن يكون بين القاضى مصالحا ، أو حاكما ، والأولى ستجر الى الثانية لا محالة .

وذلك تقليد مسيحي ، فهل الشرع الاسلامي لم يعالج ذلك ، وهل المشروعات التي وافق على بعضها الشيخ موافقة تامة لم تعالج ذلك .
ان الشرع الاسلامي بنصوص القرآن وسنة النبي صلى الله عليه تعالى عليه وسلم عالج ذلك فجعل الطلاق كله يكون رجعيا ، وأزواجهن أحق بردهن في العدة ، كما قال تعالى : **« وبعولتهن أحق بردهن في ذلك »** فان كانت الطلقة الرجعية جاءت تحت تأثير حال عارضة ، فهي انذار ، والفرصة قائمة وان عرض ما جعله يطلق مرة أخرى فهي أيضا رجعية ، وهي نذير شديد الانذار اذ يستمع فيه الى قوله تعالى : **« الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان »** .

فان لم تجد النذر كانت عقوبة الله تعالى لا عقوبة ولي الامر التي لا يملكها ويريد الشيخ ان يملكها (فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) . . . وهي تجربة نفسية عنيفة لخطأ نفس متكرر . فعيوب النفس تعالج بالنفس لا بالقضاء ، والقضاء لا يعالج النفوس .

والقرآن أشار الى ان الطلاق لا يكون في الحيض ، فقال تعالى : **« يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن »** أي مستقبلات عدتهن وهن الحيض . والفقهاء قرروا ان الطلاق اذا كان في الحيض ، أو طهر دخل بها فيه يكون بدعيا ، فالقرآن والسنة ، والفقهاء بهديهما عالجوا خطأ النفس بالنفس ، لا بالقضاء ، لأنه يؤثر العداوات على أي سائل قضاة الأحوال الشخصية ، — وقد شغل فضيلة الشيخ ذلك المنصب أمدا — هل كانوا يعملون على الصلح في قضايا النفقات والحضانة وغيرها مما يعرض أمام المحاكم الشرعية ، ونص القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ ولائحة المحاكم الشرعية قبل أن يدخلها التعديل بهذا القانون كان يدعو الى الصلح قبل ان يسير في القضية ، ابقاء على المودة بين الزوجين ، حتى لا تمزقها الخصومات ، فهل حاول القضاء ذلك ، وهل دون في محاضره هذا فلماذا تحمل الآن القضاء ذلك الأمر ، وهو لم يفعل ذلك من قبل اذ طلب ، لأنه حسب نفسه للفصل لا للصلح .

وأنا سائل الشيخ عن أنواع الطلاق الآتية ، أتكون العقوبة مقررة فيها :
أ — وقوع الفرقة بالايلاء بمقتضى قوله تعالى : **« للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فان فاءوا فان الله غفور رحيم ، وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم »** ماذا تقول أيعاقب الحالف الذي تربص أربعة أشهر ولم يأت امراته فيها ووقع الطلاق نتيجة لذلك ، فان كان يعاقب ، فانه يعاقب على حكم الله بالطلاق ، اذ لم يطلق ، وفوق ذلك فالعقاب مصادمة لحكم الله تعالى ، واجبار على امر لا يستطيعه ، وهو الدخول .
وان كنتم لا تعاقبون فقد هدمتم ما بنيتم ، اذ يلجأ الناس عند المباغضة الى الايلاء .

ب — اذا فوض الرجل الى المرأة امر طلاقها ، فطلقت نفسها ، أيعاقب الزوج أم تعاقب الزوجة أم يعاقبان ، هو على تفويضه ، وهي على ايقاع الطلاق ، ولا أحسب أن السيدة الدكتورة وزيرة الشؤون الاجتماعية تعاقب الزوجة لانها لا تلتقى تبعته على امرأة ، بل تلقيها على الرجل .

ج — اذا افتدت المرأة نفسها من عشرة لا تطيقها ، وسفعت مالا أو أبرات عملا بقوله تعالى : **« فان خفتم الا يقيما حدود الله ، فلا جناح عليهما فيما افتدت به »** اذا كان ذلك كذلك ، وكان الطلاق بالخلع أتكون عقوبة ، وعلى

أيهما أعلى الزوج أم على الزوجة لأنها التي حملته على ذلك حملا ، أم عليهما ، ولا أحسب أن السيدة وزيرة الشئون الاجتماعية ترضى بتحميل المرأة تبعة .
 انى أحسب أن الذين وضعوا المشروع الذى يدافع عنه الشيخ أو يحاول تبريره لم يفكروا فى الأمر من كل نواحيه ، ولو تدبروا فيه من كل وجوهه لرجونا أن يعدلوا ، ولاهتدوا الى سواء السبيل .
 ان الأمر لا يقف عند تحكيم القاضى ، بل سيكون منع الطلاق الا باذن القاضى ، وانهم يستدرجون الشيوخ الى ذلك ، ولا حول ولا قوة الا بالله .
 انهم يريدون أن تكون الأسرة الاسلامية محكومة بحكم الكنيسة لا بحكم الاسلام تقليدا وليس حماية للمرأة ، بل المرأة فى حماية الله ، وهو الرؤف الرحيم .

ولكن لماذا يتجهمون بهذه البدع التى لم يكن لها نظير فى الاسلام ، ويتحملون تبعة ذلك الابتداع فى شرعنا ، بل فى ديننا .
 قالوا : ان الطلاق المفرق للأسرة قد كثر ، وان تشتت الأولاد قد عم ، وان الطلاق هو الذى يسبب ذلك ، وان المصلحة تقتضى وضع قيود مانعة من الاندفاع فيه ، ذلك قولهم بأنفواهم والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل .
 ولنناقش هذا الذى ادعوه :

ان وقائع الطلاق فى مصر أقل من وقائع الطلاق فى أمريكا ، فقد بلغت نسبة وقائع الطلاق فى أمريكا ، وهو بيد القاضى نحو ٤٨٪ من وقائع الزواج ، وقريب من ذلك فى البلاد التى اباحت توثيق الزواج غير الكنسى ، انه يكفى عندهم أن تقول المرأة أنه لم يقبلها فى الصباح كعادته فى ابتداء الزواج حتى يطلق القاضى ، هذا ما ترويه الصحف .
 ونسبة وقائع الطلاق فى مصر الى الزواج ، كما يدل على ذلك احصاء ١٩٦٠ هـ ٢٣٪ .

ونريد أن نقول ان الاحصائية تذكر عدد الطلاق بالنسبة للزواج سواء اكان قبل الدخول أم بعده ، وسواء كان الطلاق رجعيا أم كان بائنا ، وسواء اكان بتراضى الزوجين أم بمجرد ارادة الرجل ، ان الاحصائية لا تتعرض لذلك ، انما تحصى الوقائع احصاء ، ويجىء فلاسفة العصر المحاربون للشرع والموالون لغيره بتفكيرهم ، فيقولون كل طلاق يخرّب أسرة ، ويفرق بين الأبوين ، وهو قول من لم يحص الحقائق ، ولم يدرس الاحصاء .
 ونحن شهد الله لا نتعصب لفكرة لم نفحص أدلتها ، ولا نحارب فكرة من غير بينة من البرهان القاطع فى بطلانها ، ولكننا نفحص ما يعرض فحصا يليق بمن يدرس أمرا اجتماعيا خطيرا فى مبناه ومغزاه .

٦ - الاحصاء يدل على أن الطلاق لا يخرّب أسرا :

لقد قمنا باحصاء سهله لنا بعض ابنائنا من موظفى المحكمة الشرعية بمصر القديمة سنة ١٩٥٦ . ولقد دلنا الاحصاء على أن نسبة الطلاق بالنسبة للزواج تزيد على ٣٦٪ ، وهى تزيد على النسبة العامة فى مصر ، اذ أنها حول ٢٣٪ فى عمومها .
 وذلك لأسباب اجتماعية اقتصادية خاصة بمصر القديمة لأنها مرسى

السفن التى تجىء من الوجه القبلى . وفى بولاق لأنها مرسى السفن التى تجىء من الوجه البحرى والملاحون والحمله فى السفن يتزوجون ، وعند الرحيل يطلقون .

ومهما يكن السبب ، فقد درسنا حال الطلاق الكبير فى نسبته فى مصر القديمة سنة ١٩٥٦ يخرب الأسرام لا يمسه بسوء .

لقد وجدنا عدد الزواج يصل بالاحصاء الى ١٦٨٦ (ستة وثمانين وستمائة ألف) عدا .

ووقائع الطلاق عددها ٦٠٥ (خمس وستمائة) .

ولاشك أن الطلاق الذى يخرب الأسرة ، ويفرق بين الأولاد يجب ان يكون بعد الدخول والآتكون رجعة بين الزوجين كما شرع الله تعالى ، والا تستأنف الحياة الزوجية بعقد بين اثنين وقع الطلاق بينهما ولم يتراجعا فى العدة ، والا يكون بالتراضى بين الزوجين .

ولنحكم الاحصاء فى ذلك ، بأن نتعرف عدد الطلاق قبل الدخول ونسقطه من وقائع الطلاق ، لأنه طلاق فى موضعه ، اذ هو منع لحياة زوجية غير صالحة للبقاء ، فهو وقاية من حياة زوجية فاسدة .

ولنتعرف عدد الرجعات ، فانه عند الرجعة لا تنفصم العلاقة الزوجية ، ولا تفرق فى الأسرة ، ولا يختار الأولاد بين أبوين منفصلين .

وكذلك الأمر بالنسبة لتجديد الزواج بين زوج ومطلقة ، فان الأسرة اذا كانت قد تقطعت ابتداء ، فقد وصلت انتهاء ، ولا تخريب ولا تشتيت فى هذا الحال .

ويجب أن نسقط من العدد الطلاق برضا الزوجين ، لان الزواج بتراضيهما فالطلاق بتراضيهما ، وفى أكثر أحواله يكون بطلب المرأة اذا كرهت زوجها كما كان فى أمر النبى بالنسبة للمرأة التى قالت للرسول : انى لا اشكو من زوجى خلقا ولا ديناً ، انى أكره الكفر فى الاسلام ، انى لا أطيقه بغضا ، فأمره النبى أن يطلقها على أن ترد اليه حديقته التى كانت مهرها .

ولان التراضى بين الزوجين يكون اذا خافا الا يقيما حدود الله ، فكان الافتداء ولذلك نزل من عدد الطلاق ، الطلاق قبل الدخول ، وعدده فى سنة ١٩٥٦ بمحكمة مصر القديمة « ٣٩ » ، وعدد الرجعات كانت « ٣٨ » وعدد الزواج بعد الطلاق وانتهاء العدة « ١٥٠ » وعدد الطلاق بالابراء أى برضا الزوجة وتقديمها مالا فى سبيله « ٤٠٤ » .

وبجمع هذه الاحوال يكون مجموعها $٦٣١ = ٤٠٤ + ١٥٠ + ٣٨ + ٣٩$.
واذا كان عدد الطلاق ٦٠٥ ، فانه يزيد الذى يسقط عن أصل العدد بست وعشرين واقعة ، وهى تكون من عدد الطلاق فى السنة التى قبلها ولم تدخل فى حساب سنة ١٩٥٦ م .

وان نتيجة هذا الاحصاء ، أنه بعد اسقاط الأعداد التى لا يمكن أن يكون تخريب أسرة ، اذ يكون الطلاق الذى يخرب أو يظلم المرأة لا وجود له ، وأن وجد فبنسبة لا تذكر فى حساب يترتب عليه محاربة نظام مستمد من الاسلام ، ولا مصلحة فى هذه المحاربة ، بل هى عبث فى عبث ، لا خير وراءه .

وانه يجب أن يعرف أنه كان احصاء قام به المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية قام به الاستاذ الدكتور عويس أثبت فيه أن الأولاد الذين

لا يتربون فى ظل أبويهم أكثر مما هم عندنا ، ولكن حكوماتهم تقوم بالرعاية والتتبع .

لقد ثبت من احصاء الدكتور عويس ، أن أسباب تخريب الأسرة فى انجلترا متعددة :

- أ - ومنها الفراق الجسدى ، وهو أكثر من عدد الطلاق عندنا .
- ب - ومنها اتخاذ الخلائل ، وهو أكثر من تعدد الزوجات .
- ج - ومنها الهجر الشديد ، وهو عندنا يعالج ، وإن كان أقل عددا .
- د - ومنها ادمان الخمر ، وهو عندنا لم يبلغ من الفحش درجة تقارب ما عندهم .

هـ - ومنها القمار المخرب ، وهو عندنا محرم أولا ، ولا يقارب ما عندهم ولذلك كان الأولاد الذين لا يتربون فى رعاية أبويهم مجتمعين أكثر مما عندنا ، ولكن هناك رعاية للأحداث ليست عندنا كما قلنا ، فالعيب فى حكوماتنا لا فى شعبنا ، ولا فى شرعنا وديننا .

٧ - ومن الغريب أن تكون هذه الحملة الباطلة فى الوقت الذى تحاول فيه الحكومات الكاثوليكية أن تتحلل من منع الطلاق ، وقد صدر فى إيطاليا موطن البطريق الأكبر للكاثوليك ، قانون يبيح الطلاق .
ولكن لا غرابة فإن عندنا نوعين من الناس يحاربون المبادئ الإسلامية فى الأسرة :

أولهما : نوع لا حريجة للدين فى قلوبهم ولا يجدون حرجا فى انفسهم فى تقليد الكنيسة فيما تقضى به ، ولذلك يدعون الى تقييد الطلاق وتقييد تعدد الزوجات ، ويدعون باطلا من القول وزورا وبهتانا أن الطلاق يخرب الأسر ، وليس فيه شيء من ذلك الا قليلا وما عند الأوروبيين أشد وبالا ، وأقبح مالا .
ثانيهما : طائفة من الناس يظنون انفسهم أنصارا للمرأة وهم أعداؤها ، يظنون أن جعل الطلاق بيد الزوج اهدار للمرأة .

الا فليعلم هؤلاء أن الطلاق اذا شحت النفوس بالمودة يكون خيرا للمرأة ، لأنه اذا لم يكن كان الاعتداء المتكرر عليها ، وربما أدى الى موتها ، وأى سعادة مع رجل يبغضها . وليعلموا أن كل تضيق فى الأسرة يقلل الاقبال على الزواج فتعنس المرأة وتفسد أعصابها ، أو تضع نفسها فى موضع الافتراش المحرم ، وأى مهانة للمرأة أكثر من هذا . فاتقوا الله بهؤلاء الذين رضوا بأن يكونوا أمعات طائفة لهؤلاء وأولئك ، وليعودوا الى كتاب الله وسنة رسوله ، انهما الوقاية من كل شر ، اللهم أهدنا فيمن هديت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، ويسر لنا من أمرنا عسرا ، وأهدنا الى الرشاد .



مولد آخِر

محمد بن عبد الله صلوات الله عليه رسول الله للبشرية كلها ، سيدي يا رسول الله . يا من نطقت باسمك ملايين الملايين ، وسيبقى اسمك مرددا في القلوب وعلى الألسنة حتى يوم الدين ، سيدي يا رسول الله يا من اتبعت دعوتك جموع غفيرة من ملايين البشرية في كل مكان وحين ، سيدي يا رسول الله يا معلم البشرية الخلق الكريم ويا من بعثك الله رحمة للعالمين وجعلك خاتم النبيين والمرسلين ، ان مولدك عيد ، وعيد اكبر للمؤمنين به والمهتدين بهديك على مر السنين ، ان مولدك ينبغي ان يكون اكبر عيد للبشرية كلها ، فمولدك في الحق مولد الحق المبين ، فقد اصطفاك الله من بين خلقه وجعلك على خلق عظيم ، لتبشر الناس بالحق ، وتهديهم الى الصراط المستقيم وتنقذ البشرية كلها مما كانت تتخبط فيه من عقائد تزيف افكارها ، حتى اوصلتها الى جانب كبير من الفوضى ، بعثك الله على فترة من الرسل ضل فيها الناس رشادهم ، فصاروا اصناما تعبد اصناما ، تاسرهم الشهوات ، وتستذلهم الاموال ، وتستعبدهم قوى البغي والظلم .

لقد اضاء الله بمولدك الظلام الداجي ، يوم كان العالم يتخبط في مآهات الحيرة والضلال ، وجعل منك الداعية الصابر الحليم ، المستميت في سبيل اعلان كلمة الله ، وانتصار الحق ، والوقوف في وجه الظلم ، مهما كلفك ذلك من جهد ، او تطلب منك تضحية وبذلا ، فكنت المعلم المثالي ، والقُدوة الصالحة ، وكان الوحي هاديا لك ومرشدا ، والسيف في يدك لمجرد الحماية من غير بغي ولا عدوان ، تدعو الناس الى التحرر من ريقه الذل والاستعباد ، وتنصف المظلوم من الظالم ، وتنصر الضعيف على القوي ، وتقف بجانب الحق دائما ، ولا تعبا الا بصوت الضمير ، فاعدت للانسان انسانيته ، ووصلته الى الطريق الذي يحفظ به كرامته ، ويكون

رسول ورسالة

مرفوع الراس دائما لانه يسير على الطريق المستقيم ، فكنت بحق رحمة للعالمين .

تفتح يوم مولده صلوات الله وسلامه عليه في شهر ربيع الاول عن خير شمل الدنيا كلها والانسانية جمعاء وكان من حكمة الله أن ينشأ يتيما فقد مات أبوه عبد الله بن عبد المطلب وهو جنين في بطن أمه آمنة بنت وهب في أوائل مراحل الحمل ، ثم ماتت أمه وهي في طريق عودتها به صغيرا الى مكة بلده ومسقط رأسه ، وكانت في زيارة أخوال أبيه - بنى النجار - بيثرب ، فحرم صلوات الله عليه من حنان الامومة وهو في سن احوج ما يكون الطفل متطلبا له ، وحرّم من عطف أبيه وتوجيهه وبره ، وخلا قلبه من شواغل الابوة والامومة ليمتلئ بما أعده الله له من حمل رسالة الاسلام بعد أن يصنعه الله على عينه ويتعهده بالرعاية والتوجيه ، فكان في كنف الله ، وحسبك من كان في رعاية الله ، وكان سبحانه هو الذي يتولاه .

نشأ محمد بن عبد الله يتيما لا مال له ، بعيدا عن الجاه والسلطان فلم يخلف له أبواه مالا ولا سلطانا ، كان عزوفا منذ نشأته عن كل رجس ودنس ، يميل بفطرته الى الخير ، وكان في شبابه الصادق الامين في قومه ، عرفوا عنه من أول أيامه بينهم الصدق والامانة والوفاء والمروءة والتعاون وحب الخير للناس جميعا ، وعندما اكتملت رجولته خلا بنفسه في الغار بعيدا عن الناس وعن كل متع الحياة يناجى ربه فيقبله الله قبولا حسنا ، ويعلمه تعليما ربانيا ، وينزل عليه الوحي بكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، ويأمره

ان يبلغ الناس ما انزل اليه من ربه ، فيصدع الامر ربه غير عابىء بما يقف
فى سبيل ذلك من عقبات .

نعم علمه ربه ورعاه فلم يعلمه بشر ولم يتعهده بالرعاية والتوجيه
انسان ، ادبه ربه فأحسن تأديبه وقوم خلقه فأحسن تقويمه ، ورعاه
فأحسن رعايته ، وغرس فى نفسه مبادئ الخير واستأصل من نفسه كل
معانى الشر فاستحق أن يصفه ربه بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم »
وصدق الله اذ يقول : « ما ودعك ربك وما قلى ، وللآخرة خير لك من
الأولى ، ولسوف يعطيك ربك فترضى ، ألم يجدك يتيما فأوى ووجدك ضالا
فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى . . » فكان خير تلميذ لافضل أستاذ ، وصدق
اذ يقول فيما يروى عنه : « أدبنى ربي فأحسن تأديبى » فكان بحق انسانا
سويا ، ومثلا أعلى للانسانية ، يسيل رقة ، ويفيض حنانا ، ولما بلغ أشده
واستوى آتاه الله العلم والحكمة ، وجعله نبيا مرسلا وختم به رسله وختم
برسالته رسالاتهم ، وكان بذلك أهلا لتحمل هذا العبء الكبير ، وان يحمل
لل بشرية جمعاء فى عصورها المختلفة دعوة التوحيد . فحمل الرسالة ،
وصان الامانة ، وأحسن الرعاية ، وأخلص فى دعوته ، وكان المثل الأعلى
لكل من آمن به حتى يرث الله الارض ومن عليها .

* * * *

ويوم ان دعا محمد صلوات الله عليه بدعوة الاسلام ، كان يقف فى
وجهه واقع ضخم من عقائد وتصورات ونظم مختلفة ، وتقاليد متأصلة فى
النفوس ، وكانت السيطرة الكاملة للمال والقوة ، لكنه وقف صامدا أمام
كل ذلك غير عابىء بشيء منه ، ورفض ما عرضوا عليه من مال وجاه
وسلطان وقال كلمته الشهيرة التى ملأت فم الدنيا طوال هذه السنين :
« والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا
الامر أو أهلك دونه ما تركته حتى يظهره الله » وانتصر محمد بقوة ايمانه ،
وانتصرت دعوته على الواقع الضخم ، ونادى فى الناس مقررًا مبدءا
انسانيا كبيرا ما كانت البشرية تعرفه فى ذلك العصر فقال :

« أيها الناس . ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد . كلكم لآدم ، وآدم
من تراب ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربى على عربى ولا لعجمى
على عربى ، ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل الا بالتقوى » ،
وبلغهم قول ربه فيما أوحى اليه : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى
وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان أكرمكم عند الله أتقاكم » . وقوله
جل شأنه : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق
منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء . . »

ولم يكن هذا المبدأ أو غيره من المبادئ الانسانية التى جاء بها
الاسلام ، ولم يسبقه اليها قانون حضارى لم تكن مبادئ نظرية ، ولكنها
كانت أوضاعا عملية ، فقد خضعت رقة نسيحة من المعمورة للحكم
الاسلامى ، شملت أجناسا مختلفة والوانا متباينة ، وعاش الجميع فى ظل
الحكم الاسلامى إخوانا متحابين ذابت من بينهم فوارق الجنس واللون
والطبقية المتحكمة ، وانما كان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ،

وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحوى والسهر .

كان هذا المبدأ واقعيا اذا فى حياة الجماعة المسلمة التى طبقت حكم الاسلام وخضعت لنظمه وتعاليمه ، وسرعان ما عم اوطانا كثيرة دخلها الاسلام بنوره قبل أن يدخلها المسلمون بسيوفهم ، وسرعان ما انتشرت الدعوة الاسلامية ، وساد المسلمون العالم بالقيم الخلقية ، والمبادئ القانونية العادلة ، ونشروا العلم والمعرفة وحافظوا على التراث العلمى ، وكانوا كقائدهم الاول ، ومعلمهم الذى يقتدون به وينهجون نهجه ويتمثلون به ، ان انتصروا لم يبطرهم الظفر ، وان كانت الاخرى لم يبتئسوا ولم يئأسوا ، فهم فى الحالين منتصرون على أنفسهم ، لانهم أصحاب محمد صلوات الله وسلامه عليه الذين صاغهم من معادن العرب رجالا ونساء قدمهم الى الدنيا كلها .

ان الدين الذى جاء به هذا الرسول الكريم منهج الهى للحياة البشرية ، وقوة بناء وحركة دافعة الى النمو المطرد وانطلاق الى الحركة ، وهذا المنهج يتم تحقيقه فى حياة البشر بجهد البشر أنفسهم ، وفى حدود طاقتهم ، وفى حدود الواقع المادى للحياة الانسانية فى كل بيئة ، ولا يتحقق بمجرد ابلاغه للناس وبيانه لهم ، وانما بالعمل على مقتضى تعاليمه ، عمل العقل ، وعمل البدن .

وعمل العقل يكون بفهم نصوصه والتعرف على مقاصده فى ضوء واقع الحياة الذى جاء هذا الدين مسائرا لمصالح الناس الحقيقية لا التوهمية ، وهذا يقتضى التزود بالعلم والمعرفة ، ومن أجل ذلك وجه الاسلام الى العلم والتزود به فى أول آية نزلت من القرآن جميعه ، اذ يقول جل شأنه « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .

وعمل البدن بالمشى فى مناكب الارض ابتغاء للرزق واستثمار كل ما فيها من خيرات يقول الله : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض » . فقد قرن الله العمل بالعبادة ونبه الى أنه لا ينبغى أن يصرف التوغل فى العبادة الناس عن أمور معاشهم وشئون دنياهم يقول سبحانه جل شأنه : « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » . فربط الرزق بالسعى فى طلبه والعمل من أجله ، وان حرص الدين الاسلامى على العمل لمن أهم ما يتجلى فى توجيهاته الرشيدة وتشريعاته الحكيمة فقد كلفنا الله بالعمل والضرب فى الارض لعمارتها فى آيات عديدة ولقد كان الرسول نفسه مثلا أعلى فى الكفاح والسعى ، وكان يشارك أصحابه فى الشئون العامة حين يتحركون ويقول صلوات الله عليه فيما يروى عنه : « اطلبوا الرزق فى خبايا الارض » ويقول : « لان يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره ويستغنى به عن الناس خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه » وكان أبو بكر يتعيش من حرفته فى صدر خلافته وكان عمر يقول : من كان له مال فليصلحه ومن كانت له أرض فليعمرها ولا تؤخروا عمل اليوم الى غد »

وصدق الله العظيم : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .



أخى القارىء الكريم : أعتقد أنه من واجبي ونحن فى هذه الذكرى العطرة - التى يجب ألا يختص بها هذا الشهر وحده ، وإنما ينبغى أن تكون حاضرة وماثلة فى الأذهان دائما - أن أقدم شيئا من المثل العليا فى صفات الرسول وأعماله لنعمل على منوالها فى حياتنا ما أمكن ، وشيئا عن الرسالة التى حررت الانسان من الاستعباد والظلم والطغيان .

أولا : من صفات الرسول وأعماله :

١ - خلقه ومظاهر السلام فى حياته : كانت مثالية النبى صلى الله

عليه وسلم فى الخلق الرفيع أكبر حافظ لاصحابه أن يتنافسوا فى القرب من معانيه العظيمة الكريمة . وسألوا عائشة رضى الله عنها وعنهم عن خلقه فقالت « كان خلقه القرآن ، يحل حلاله ويحرم حرامه ، ويقف عند حدوده » ، ولقد صدقت فيما وصفت ، فقد كان القرآن رضاه وسخطه ، به يصادق وفيه يعادى ، وقد جعل صلوات الله عليه نفسه المثل الاول فى مظاهر التحرر الاسلامى ، فكان ينهى أن يعظموه فيقول : « لا تعظمونى كما تعظم الاعاجم ملوكها » وكان من الآثار العامة لهذا الخلق : أن ألغى الفوارق فى مجتمعه وحاربها ، فقوى المجتمع الاسلامى قوة ناهز بها جميع الامم . واذا كان السلام هو الامان ، وكانت الوسيلة اليه تأليف القلوب بكف الاذى تارة والاحسان تارة أخرى ، فقد كان رسولنا الكريم النمط الأعلى والغاية التى ليست وراءها غاية فى ذلك المعنى ، فهو الذى قال له جبريل وحى السماء : ان الله كلفك أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، وقد روى ابن عباس أن المنافقين كانوا يؤذون النبى ، فكان كلما أذن له فى التشديد عليهم فتح لهم بابا من الرحمة ، فكان يستغفر لهم حتى أنزل الله قوله : « استغفر لهم أو لا تستغفر ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، ولقد وضعت له احدى اليهوديات السم فى الشاة التى قدمتها له طعاما فى المدينة فما حاول أن ينتقم منها ايثارا للسلام .

وكذلك من تتبع سيرته مع زوجاته وجد ايثاره للسلام حافا به ومسيطرا عليه فقد روى انهن شغبن عليه فى بعض المناسبات . فما زاد على أن أعتزلهن حتى يثوب اليهن رشدهن دون خصومة ولا ايداء ، فلا غرو أن تصفه السيدة عائشة بقولها : « لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا يجزىء السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح وما ضرب بيده شيئا قط ولا ضرب امرأة ولا خادما الا أن يضرب فى سبيل الله ، ولا سئل شيئا قط فمنعه الا أن يسأل مأثما ، ولا انتقم لنفسه الا أن تنتهك حرمت الله » .

روت كتب السيرة أنه حين أخرج من مكة الى الطائف ، وأغرى به أهل الطائف سفهائهم وصبيانهم على رميه بالحجارة حتى أوجعوه وأدموا

قدميه ، وقف يدعو الله قائلاً : « ان لم يكن بك غضب على فلا أبالي » فأرسل الله اليه ملك الجبال يقول له : ان الله أرسلني اليك لأكون طوع أمرك فان شئت طبقت عليهم الاخشبين — وهما جبلان يحيطان بمكة — فأهلكتهم جميعاً . فقال عليه السلام : « بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبدوه ولا يشرك به شيئاً » . فانظر كيف أثر الرحمة والسلام وهو في أشد حالات الضنك . أليس هو القائل : المسلم من سلم الناس من لسانه ويده . وما يدل على أن الرسول عليه السلام عرف بين قومه وأعدائه بحبه للسلام ما روى أنه وقد عاد هو وأصحابه من بعض الغزوات ، ونزلوا في بعض الطريق ليستريحوا من أعباء الجهاد والسفر . فتفرقوا وكان النبي نائماً وحده تحت شجرة فأتاه بعض المشركين خلصة ، وأخذ سيف النبي فهزه في يده ليقتل به النبي فاستيقظ الرسول وهو على ذلك فقال له المشرك : من يمنعك مني يا محمد؟! قال : الله . فارتعدت فرائص الرجل ووقع السيف من يده . فأخذه النبي وقال للرجل من يمنعك مني ؟ فقال يا محمد : كن خير آخذ . فعفا عنه .

وانظر اليه حينما دخل مكة فاتحاً منتصراً وخافه المشركون من أهلها لانهم آذوه وعذبوه وأخرجوه منها لكنه جمعهم وقال : يا معشر قريش ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيراً فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

جاء محمد رسول سلام ينادى به ويحرص عليه ، لكنه السلام العادل ، والعدل المسالم ، فاذا ما تهدده البغي هب للدفاع لا يرجو الا النصر أو الشهادة ، ويتحدى خصومه في ساحة الحرب ، وما ذلك الا لان الاسلام حينما يدعو الى التسامح والسلام ، انما يدعو اليه في عزة اذ حينما يكون في مركز الضعف فانه يكون استسلاماً لا سلاماً .

٢ — علو همته وبعده عن السفاسف :

جاء في شمائل النبي صلى الله عليه وسلم أنه اذا أوى الى منزله جزءاً وقتته ثلاثة أجزاء . جزءاً لله ، وجزءاً لأهله وجزءاً لنفسه . ثم جعل ما لنفسه قسمة بينه وبين الناس ، فيعلم خواص أصحابه ما ينقلونه الى عامتهم ، وان كان صلوات الله عليه يعلم الجميع اذا خرج اليهم فلا يدخر عنهم شيئاً . . ويقول الامام على : انه كان من مسلكه في جزء أمته الذي خصصه لهم ايثار أهل الفضل بالاذن لهم بالدخول عليه فيعطى كلا منهم ما يناسبه من العلم ، وكان يتشاغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم ويصلح الأمة معهم ، فكان يقول لهم : « ليلغ الشاهد منكم الغائب ، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغ حاجته ، فان من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة » لا يذكر عنده الا ذلك ، ولا يقبل من أحد غيره ، فيخرجون من عنده أدلة على الخير اذ كان صلوات الله عليه كما يقول الامام على : يحفظ لسانه الا فيما يؤلفهم ولا ينفهم ، ويحسن الحسن ويقبح القبيح ، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا . . لكل حال عنده عتاد ، وفي هذا ما يدل على ما كان عليه النبي صلوات الله عليه من الجد والصراحة ، وعلو الهمة والبعد عن الدنيا والسفاسف ، كان حاذقاً يحترس من الناس من غير أن يتجهمهم .

وكان على جانب موفور من الذكاء وقوة العقل ، وكان لذلك أثره

الواضح فى توجيه الانظار الى الاسلام بالتقدير والاقبال ، فكان يسع الناس بحلمه وكرم نفسه . .

وقد كانت مقدمات الهجرة آيات بينات على صدق تلك العبقرية فقد تخير فيها من يبيت مكانه ، وتخير فيها من يصحبه ، وتخير فيها غارا يختبىء فيه فى الطريق المضاد لهجره ، وتخير فيها من يروحون ويفدون بين الغار ومكة ، كما كان اعداده لفتح مكة وتكتمه حتى بالنسبة لجنده وقواده وجهته ، وتكتيكة العسكرى لذلك وتوزيع قواته عند الهجوم لأكبر دليل على ذكاء متوقد وقدرة فائقة فى علو الهمة .

أنظر اليه وهو يضع أسس الوحدة بين من آمنوا به حتى أصبح الواحد منهم يؤثر أخاه المسلم على أهله وعشيرته المخالفين له فى العقيدة ، فالمسلمون جميعا يخضعون لاله واحد لا شريك له ، ويتجهون له فى صف واحد لا تمايز بين أفرادهم ، والى قبلة واحدة وهدف واحد ، والجميع يتعاونون فيما بينهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يتوفر على العبادة بما لا يطلبه من اتباعه ، ويملأ كل فراغه بطاعة الله والانابة اليه والخشوع بين يديه ، ويسأل الله أن يعطيه العون على شغل ما استطاع من وقته بالعبادة ، وأن يحفظه من التورط فيما لا يرضيه ، وكان فى كل أوقات حياته منيبا الى ربه لا يغفل عن ذكره ولا يشتغل بغير مرضاته والاتجاه الى ذاته ، ولهذا كان يمدد الله سبحانه بخير مدد يقوى هذه العناية وهو لقاء جبريل معه ومدارسته القرآن فى شهر رمضان .

ومع حرصه صلوات الله عليه على اليسر له ولأمتة فإنه كان أحيانا يختص نفسه بمواصلة الصوم زيادة فى الرياضة النفسية الملائكية . . روى الشيخان عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن صوم الوصال رحمة بالناس . فقالوا : انك تواصل ؟ فقال : انى لست كهيئتكم انى يطعمنى ربي ويسقين » .



هذه مقتطفات سريعة نعرضها فى هذه المناسبة من صفات الرسول وأعماله وما أجملها وأكثرها نكتفى بها حتى نجد مجالا فى هذا المقال لما وعدنا به من الاشارة الى بعض ما جاءت به الرسالة من ثورة اصلاحية على النظم الفاسدة . .

ثانيا : دعوة الاسلام :

كانت دعوة الاسلام ثورة اجتماعية على الاوضاع الظالمة ، والنظم الفاسدة التى أشاعت فى الناس الانحلال الخلقى فأوغلوا فى الشهوات بلا عفة ، واندفعوا وراء الملذات بلا ضابط ولا حاجز الا سلطان المقاومة الجائرة بكل ما يتصور من وسائل العنف والقسوة . فقد كانت هذه النظم الفاسدة فى التعامل وفى سائر الصلات ، والتفاوت الواسع بين

الناس فى الحقوق والواجبات أمرا شائعا فى كثير من بلاد العالم .
فلما بعث الله محمدا برسالة الاسلام . . قضى بالحكمة والموعظة
الحسنة على ذلك الفساد شيئا فشيئا حتى اجتثه أولا فى أمته من جذوره
عندما أخذت بتعاليم هذا الدين ، فثار بدعوته على البغى والطغيان ،
وعلى الخيانة والكذب ، وعلى التعالى والتعاضم ، وعلى التفرقة بين
الناس : الافراد والجماعات ، اذ جاء بالعدل الكامل ، والامانة التامة ،
وحت على الصدق وأوجب التزامه فى كل شىء ، وحارب الفوارق
الطبقية الواسعة ، ودعا الى التعاون والتآزر ، وجعل للفقير حقا فى مال
الغنى يقوم بأوده ويظهر قلبه من عوامل الحقد والغل ، فاستنقاص النهج
وامتلات قلوب المسلمين حبا وخيرا ، واستحقوا أن يكونوا خير أمة أخرجت
للناس . .

ومما ضرب به رسول الله المثل فى رفع رؤوس المسلمين وتحريرهم
من ريقة الذل والاستعباد ، أنه وقعت خصومة بين أبى ذر وبلال ، وكان
أبو ذر موسرا صاحب مال وجاه ، وكان بلال فقيرا لا مال له ولا جاه ،
فكان مما جرى فى تلك الخصومة أن عير أبو ذر بلالا بقوله : يا ابن
السوداء ، فلما سمع النبى ذلك تغير وجهه وقال : « طف الصاع ، طف
الصاع . أعيرته بأمه؟! انك امرؤ فيك جاهلية » . ثم انتهر هذه الفرصة
فقام خطيبا بين أصحابه لينبه الى حق بلال وأمثاله من وجوب تكريمهم
ومساواتهم للآخرين ، فكان مما قال : « اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت
أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم ويلبسه مما يلبس
ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم ، فان الله ملككم ايهم
ولو شاء لملكهم ايكم » .

حرصت رسالة الاسلام على رد الانسان الى فطرته التى فطر الله
الناس عليها ، واخضاعه لربه ، فالتوحيد هو المعنى الاول الذى اذا تمكن
من النفوس ذاقت طعم التحرير ولم ترض ربا غير الله ، وهو المعنى
الذى يشع فى العقول بأن الناس سواء فى الانسانية ، ولهذا قرن بهذه
الدعوة الموحدة رفع آصار التعظيم لغير الله أيا كان قدره ، يقول جل
شأنه : « اياك نعبد واياك نستعين » فلا معبود غير الله ، ولا مستعان
سواه ، فمن عبد غير الله ولجأ اليه فهو مفتر على الله الكذب ، ومن
استعان بسواه فهو خارج عن نطاق الدعوة المحمدية .

ولقد كان من ثمرات ذلك التحرر الكريم أن سوى الاسلام بين الرجل
والمرأة فى الحقوق والواجبات على الجملة ، ورفع من شأنها وخاطبها بما
خاطب به الرجل من تكاليف وعبادات ، بعد أن كانت مغلوبة على أمرها ،
مهضومة الحق تعتبر ميراثا ضمن تركة المورث فى بعض الجماعات .
نعم ، لقد ساوى الاسلام بينهما ، وما وجد فى بعض أحكامه من
فوارق يسيرة نشأت عن اعتبارات خاصة ، فان كان نصيب الذكر فى
الارث ضعف نصيب أخته ، فلأنه هو المنفق عليها وعلى أولادها منه . .
كما قاوم الرق بكل صور الاسترقاق لأن ذلك الرقيق المستعبد ان هو الا
انسان فيه طاقات الانسان ومزاياه ، ومن انحرف عن تقديره وتكريم
انسانيته فقد انحرف عن الاسلام ، ولولا أن الرق كان نظاما دوليا لما
أقره الاسلام ولما اعترف به حتى فى الحد الضيق الذى قصره عليه معاملة
بالمثل فى الحروب . .

ونظم حياة الأسرة وجعل للزواج حدودا يربعاها كل من الزوجين وجعل القوامة للرجل ، وجعل أساس الزواج الواحدة ، وأباح التعدد فى نطاق معين اذا ما وجدت الحاجة اليه مع القدرة وتحقق العدالة ، وذلك لاعتبارات تقتضيه وتتطلبه . ورأى الاسلام أن تحل مشاكل الاسرة بأيدى أفرادها وفى دائرتهم الضيقة كما يقول الله سبحانه : « واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن » فاذا لم يجد ذلك واستعصى الامر استعانوا بأقربائهم يقول الله : « وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته » . كما بين حقوق الاولاد وواجباتهم ، وما تتطلبه صلة القرابة عموما من واجبات وحقوق .

ونظم الارث نظاما محكما فترك للشخص حق التصرف فى تركته وفى حدود الثلث ، ووزع الشارح الحكيم الباقي بين الاولاد والاقارب وأحد الزوجين ، وأمرنا باتباع حدوده فى هذا وقال : « آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما » ..

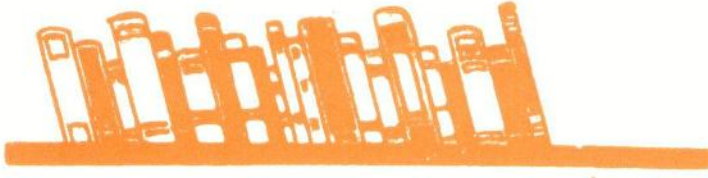


وهكذا فقد وضع الاسلام للاسرة من القواعد والنظم ما يحفظ كيانها ويؤمنها الزلل ويجنبها الهزات العنيفة ، ان أحسن الناس فهم دينهم ، وأخلصوا النية عند تطبيق أحكامه ، كما نظم علاقات الافراد والجماعات فى السلم والحرب فى جميع شئونهم ومختلف الحياة بينهم — وجاء فى كل هذا بالمبادئ الثورية القويمة التى هدمت الفساد والظلم ودعت الى ما فيه صلاح الانسانية ورقبها ، فكانت دعوة الاسلام ثورة كبرى ، مصلحة لجميع النظم ، مقومة لكل زيغ فى العقائد والاخلاق والصلوات والمعاملات ، وكانت ثورة محققة لأن يعيش الناس جميعا فى أمن ورخاء وفى هدوء واستقرار .

ومع هذا فكانت ثورة لا توجب بغيا ولا ظلما ، ولا توقع الناس فى عدوان ، ولا غرو فهى دعوة الحق بوحي من الله الذى لا تخفى عليه خافية وهو أعلم بعلل الناس وأمراضهم فهو خير مرجع وأفضل متبع .



وبعد .. فما أجددنا أن نذكر وأن نتذكر أن حياة هذا الرسول الكريم وهدايه لم يخل كلاهما من عبرة ومن تذكرة ، ومن درس خالد يذكره المسلمون دائما ويهتدون بهديه صلوات الله عليه فهو نبي السلام ونبي الجهاد ، الذى رسم لنا سبيل الحياة وسبيل الدفاع عن حق الحياة ، بدأ البناء على أساس عقيدة صلبة ثم أرسى فوق هذا البناء صرح الاخلاق ، فكانت دولة الاسلام قوية بالحق ، فياضة بالعدل ، محمية بسلاح الايمان ..



مكتبة المجلة

للاستاذ : عبد الستار محمد فيض

من حياة الرسول
(صلى الله عليه وسلم)

دراسة فى كتاب تتناول جانبا هاما من حياة النبي صلى الله عليه وسلم اعتمدت على مصادر مشهود لها بالثقة والتحرى والدقة وتقدير المسؤولية فى نقل الاحداث وتدوين الاخبار ، والكتاب يتعرض للفترة التى قضاها النبي عليه السلام قبل البعثة وقد عرض الغزوات فى أسلوب سهل وعبارات يسيرة وكانت غاية المؤلف فى هذه الدراسة ألا يقتصر عمله على الرد الموضوعى المجرد لحوادث الغزوات بل تناول كل غزوة فغذى حوادثها بتحليل لبعض زواياها وأضاف إليها تصويرا لبعض أركانها ومشاهدها كما حلل موقف أبطالها بقصد التشويق النفسى وجذب القارئ لمطالعتها فيجد فيها المتعة الذهنية والمتابعة العذبة ومع ذلك لم يتخل الكاتب عن أساليب كتب السيرة المتقدمة فخرج الكتاب مزيجا من القديم والحديث .

والكاتب هو الاستاذ سعد صادق محمد وكتابه يقع فى أكثر من ثلاثمائة صفحة والتزم بطبعه ونشره مكتبة النهضة المصرية ٩ شارع عدلى باشا - القاهرة .

الرسول والرسالة

للرد على شبهات الضالين ودرء مفتريات الحاقدين

كتاب من تأليف الاستاذ توفيق على وهبه يتضمن الرد على كتاب صدر مؤخرا تعرض فى صفحاته للرسول صلى الله عليه وسلم وللقرآن الكريم ولبعض الامور المتعلقة بالرسالة الخاتمة علاوة على بعض الخرافات التى ألصقها مؤلفه بالفاتحين من المسلمين .

ولم يقصد الكاتب بهذا الرد الا بيان الحقيقة ، فضمن كتابه سبعة فصول تناولت تأكيد القرآن والسنة لبشارات المسيح ومعجزة الرسول وكيفية انتشار الاسلام وتحويل القبلة وحروب الردة وغير ذلك من الامور التى تعرض فيها الكتاب المذكور للرسول وللاسلام وللمسلمين فخرج كتاب (الرسول والرسالة) ليفند تلك المفتريات والمزاعم ويبين للعالم بطلانها وفسادها .
والكتاب ما زال تحت الطبع ونأمل أن يكون بين أيدي القراء قريبا . .

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

حَالِ نَبِيِّ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ
الْبَعْثَةِ دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ

د. وهبه الزحيلي

ان ينبوع احترام الانبياء والعظماء كامن في خصائص شخصية ومقومات ذاتية ، والتزام بقيم عالية ، يعتبرون بها قمة المثل العليا ، وخير أسوة حسنة أخرجت للناس ..

وان مقياس تقدير الرجال والزعماء الخالدين في أذهان الناس قاطبة مقياس حساس يتجلى في مدى الاحترام الذي يكنه السامعون لكلامهم ، وفي ميدان الاعمال البارزة التي تصدر عنهم أثناء مراقبة تصرفاتهم وسلوكهم عن كتب ..
ثم ان نجاح القادة في مهماتهم أمر نسبي ، فغالبا ما يتخلل تاريخهم

حيث يجعل رسالت

عثرات قد تكون بعيدة الأثر في حياة بلادهم ، واذا نجحوا أحيانا في تحقيق نصر ما ، فانتصارهم اما مؤقت أو مقيد بناحية معينة أو في مكان خاص ، وكلما يحصل الفوز في كل نواحي الحياة .

ويمتاز الانبياء في كل ذلك بأنهم طراز من نوع خاص يفوقون به كل أوصاف العظمة والتفوق لدى الأبطال والقادة ، اذ ما من عظيم أو بطل ، ولو كان عبقريا أو مفكرا مبدعا الا وله هنات أو معائب تنقص من قدره ، كارتكاب بعض الزلات أو الأخطاء ، أو الوقوع في كبوات فكرية ، أو السير في سلوك شائن في مسيرة قافلة الحياة التي يحيها .

أما الانبياء — بتكوين الله ورعايته لهم ولو قبل النبوة — فلا نجد منهم اطلاقا ما يعد كبوة فكرية أو زلة اعتقادية تصبح يوما ما مستمسكا للشماتة والتعيير ، أو محلا للنقد والتشهير والتكذيب . وما قد يقع من نبي من وقائع مادية خاطئة في الظاهر قبل النبوة ، فهو لا يصدر عن تصميم وسابق اصرار وتفكير ، وانما يعد اجتهادا خاطئا أو اختيارا لأحد أمرين مأذون فيهما ، لكن أحدهما أفضل من الآخر في تقدير الاله الحكيم .

وكذلك نجاح الانبياء ولاسيما رسل الله عليهم صلوات الله وسلامه ، كان عاما وشاملا لجميع مناحي الحياة لوجود وحدة منهجية متكاملة لديهم في العقيدة والأخلاق والمعاملة الطيبة والسلوك الشريف .

وأ نموذج الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي ولد منذ أربعة عشر قرنا وشهور ثلاثة يعتبر مثلا غذا واضحا للاستدلال بمنهج حياته قبل البعثة على صدق رسالته التي اصطفاه الله لتبليغها للناس ، وكان لذلك آثاره النفاذة في اقناع اتباعه بدعوته ، والثقة بأقواله كما سيظهر لنا من خلال الامثلة التي سنذكرها من أقوال وكلمات خصومه أو عقلاء العرب في الجاهلية عندما بدأ بدعوته .

ففي حياة النبي صلى الله عليه وسلم من الميلاد الى البعثة مظهر حي يدعونا الى الثقة برسالته متمثلا ذلك في يتمه ، وأميته ، وكثرة تأملاته في الكون ونفوره من عادات قومه السيئة ، وشخصيته القوية ، وسمو أخلاقه ، وتميز سلوكه ، ورعاية الله له ، ونحو ذلك ، مما جعله يبلغ مرتبة الكمال الانساني التي لا تكون لغير نبي مرسل معصوم مصدق في ادعائه الرسالة ..

أما معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم بعد البعثة الدالة على صدق نبوته فكثيرة معروفة ومحطها بحث آخر ، من أهمها ما أيده الله به من وحى القرآن الكريم الذي نجد فيه ذلك التحدي الخالد الموجه لكل انسان

فحسب ، بل للانس والجن معا للاتيان بمثله أو ببعض مثله أو بآية : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ، لأنه ليس كلام بشر ، وإنما هو كلام الخالق الذى لا يضارعه أحد ، ومن أروع صفاته تأثيره العجيب فى نفوس سامعيه ، واشتماله على وحدة خفية عميقة بعيدة المدى سواء فى ترابط سورة أو فى ضمن السورة الواحدة التى قد يذكر فيها عدة موضوعات تكمل بعضها بعضا فى سبيل غاية كبرى وان تراعت فى الظاهر مفككة المعانى بعيدة عن الوحدة المنطقية لدى بعض المستشرقين السطحيين الحاقدين ، مثل كارليل وموير وأرفنج ومرجليوث ونحوهم من شـبابنا المثقف الذين اغترفوا من بؤرهم الخبيثة فصاروا كفارا أمثالهم .

فبالإضافة لهذا التأييد الحاسم الكلى من الله لرسوله بالمعجزة الخالدة التى جعلته ليس فى ذروة البطولة فقط ، بل هو الرحمة الكبرى المهداة للوجود كله ، نرى فى شباب النبى صلى الله عليه وسلم ومولده أمثلة الإعجاب : فقد حفظ الله له طيب المحتد ، وكرامة المنشأ والمعدن والاصل ، فقال عليه السلام عن نفسه ونسبه : « ان الله تعالى اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم فأنا خيار من خيار من خيار » وكان يقول لأصحابه : « أنا أعربكم ، أنا قرشى » وأبان صلى الله عليه وسلم مرة أخرى عن نفسه ودوره بالنسبة للانبيا السابقين ، وصلته بهم بعد أن سئل عن ذلك فقال : « أنا دعوة أبى ابراهيم ، وبشرى أخى عيسى ، ورأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام .. » .

وكان اليتيم وحرمانه ، وشظف العيش وقسوته ، وهواء الصحراء وخسونة عيش البادية ، رقيق النبى صلى الله عليه وسلم فى طفولته حيث أنه فقد أباه عبد الله وهو جنين كما يقول ابن هشام ، أو هو ابن شهرين أو أكثر كما يقول أكثر العلماء ، وتوفيت أمه آمنة وهو ابن ست سنين بالأبواء ، بين مكة والمدينة ، وكانت مرضعته فى الصحراء حليلة السعدية ضعيفة الحال ، إلا أنها كانت تحدث أنها وجدت فى رضيعها محمد منذ أخذته أى بركة .. سممت غنمها ، وزاد لبنها وبارك الله لها فى كل ما عندها ، ولكن هذا اليتيم وقسوة الحياة كان منبت أعظم الرجال ، والمثل الأعلى للعظماء والانبيا معا .

وذلك بالرغم من كونه عليه السلام نشأ أميا لا يقرأ ولا يكتب كشأن قومه الأميين الذين كانوا يجهلون عقائد الملل الأخرى ، وتواريخ الأمم وعلوم التشريع والفلسفة والأدب ، حتى يتهيأ للوحى الإلهى الذى يلقنه تشريع السماء الكامل العادل دون أن يكون له دور أساسى فى استنباط شىء بعقله ، أو ايجاد تشريع بفكره ، أو كتابة شىء بقلمه إلا ما يأتيه به الوحى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبتلون » ، « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » ، « فأمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » . فأمية هذا النبى لم تمنعه بواسطة الوحى من تغيير وجه الحياة رأسا على عقب ، وقلب الأمة العربية الأمية ، الى أمة تتسنىم أرقى مدارج العلم والمدنية والحضارة ، بعد أن كانت

غارقة فى حمأة الهمجية والخرافة والرذيلة ، أو قابعة فى أوضار الوثنية المتردية ، والعقول المشتتة بين أصنام عدة تمثل آلهة متعددة .
ولقد أحسن البوصيرى رحمه الله تعالى ، اذ عبر عن معجزتى اليتيم والأمية فقال :

كفك بالعـلم فى الأمى معجزة فى الجاهلية والتأديب فى اليتيم

وتتجلى عقلية النـبى الشاب الكبيرة فى شدة كراهيته للأوثان ، ونفوره من عادات قومه السيئة ، وعبادة الأصنام وكثرة تأملاته وتفكيره فى الكون ، وانقطاعه للعبادة أو التحنث فى غارحراء — على فرسخين من شمال مكة — فذلك كله أكسبه دقة نظر ، وحصافة عقل ، وارهاف ذوق ، وسلامة فطرة ، وقوة غذاء للقلب والروح ، وطاقاة فكرية مجردة مستقلة هيأته لمنصب النبوة الأسمى ، ومركز الرسالة الاعلى للتبليغ عن الله شرعا دائما ، وسنة كاملة ونظاما بديعا الى آخر الدهر : جوهره الايمان بالله وحده ، وعبادة الخالق الاعظم ، ورفض الأوثان ، والكفر بالطاغوت والشُرور والآثام ، وعلان هذا النداء الخالد : « يا أيها الناس قولوا : لا اله الا الله تفلحوا » .
ومن أجل تحمل أعباء الرسالة الالهية والاعداد لنشر الاصلاح العام ، كان النـبى صلى الله عليه وسلم مثلا أعلى للشخصية القوية صاحبة الإرادة الشديدة فصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، وتحمل شتى ألوان الاضطهاد ، والتعذيب من قومه وعشيرته ، وارتفع فوق الاحداث حتى استطاع تغيير الطبائع المعوجة ، واصلاح الاخلاق الشاذة ، واناة طرق المثل العليا ، والنهوض بأمتة الى مستوى أعلى ، والدفع بقومه نحو التقدم والرفعة ..

وقائد كمحمد صلى الله عليه وسلم جدير بأن يكون فى سبيل نشر دعوته مثلا فذا للانسانية ، ومحبة الآخرين والاخلاق الرفيعة ، لذا وصفه الحق تبارك وتعالى بأشرف صفة فى الانسان ، فقال عنه : « وانك لعلى خلق عظيم » ووصفه الحسن بن على رضى الله عنهما بقوله : « كان الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم أشد الناس زهدا وقناعة ، ليس بمتكبر ولا متجبر ، رعوفا رحيفا ، كريما حليفا ، صادقا أمينا ، شجاعا مقداما ، جامعا لكل محاسن الصفات البشرية ومكارم الاخلاق الادبية » .

وقد بوأته هذه الاخلاق الكريمة أن ترضى به معشر قريش حكما فيمن يضع الحجر الاسود ، قال أبو أمية بن المغيرة المخزومى . يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد ، يقضى بينكم فيه ، ففعلوا فكان أول داخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين رضينا هذا محمد . واتصافه بلقب (الأمين) كان حجة قوية ودليلا واضحا على صدقه بادعاء الرسالة من عند الله ، كما أن اتجاره بمال خديجة — رضى الله عنها — الى الشام وربحه الوفير ورعيه الغنم كان دليلا على عزة نفسه وعلو همته ومقدرته ورقة شمائله ، وجمال نفسه مما لا يصدر الا عن شخصية خاصة يدمغها خاتم النبوة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من نبى الا وقد رعى الغنم » قيل : « وأنت يا رسول الله ؟ » قال : « وأنا » .

وكانت رعاية الله ترعاه فى حياته « أدبنى ربي فأحسن تأديبي » وكان من ارهاصات نبوته ملء قلبه بالحكمة بكيفية مادية . حدثتنا عنها سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس لنا الا تصديق ما جاء فيها لصحة خبرها وترك ظاهرها الى الله سبحانه ، وهو حادثة شق الملكين صدر النبي صلى الله عليه وسلم حينما كان طفلا صغيرا فى بادية بنى سعد فيما ذكره ابن هشام وتأيد ذلك مرة أخرى قبيل الاسراء فيما أخرجه مسلم(١) عن أنس ابن مالك رضى الله عنه عن مالك بن صعصعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فأتيت بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماننا فشق من النحر الى مرقاق(٢) البطن فغسل بماء زمزم ثم ملئ حكمة وإيماننا » .

هذه الالوان وغيرها من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة كانت مدعاة لقبول دعوته وأثرت فى مشاعر الناس ، فمهدت لتصديق رسالته ، وامارات ذلك تتضح فيما يأتى :

١ — قال الراهب بحيرى لعمه أبى طالب فى بصرى الشام أثناء تجارته لخديجة : ارجع بابن أخيك الى بلده ، واحذر عليه يهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبيغنه سرا فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به الى بلاده ..

٢ — وقال ورقة بن نوفل حينما بدىء النبي بالوحي : لئن كان هذا حقا يا خديجة ان محمدا لنبي هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر هذا زمانه .

٣ — قالت خديجة بعد أن أخبرها النبي صلى الله عليه وسلم ببده الوحي : « كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق » .

٤ — قال رجل عائف(٢) من لهب من أزد شنوءة حينما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الغلام : على به » . فغيبه عنه عمه أبو طالب فجعل يقول : « ويلكم ردوا على الغلام الذى رأيت أنفا فوالله ليكونن له شأن » .

٥ — حينما أراد النبي صلى الله عليه وسلم الجهر بدعوته التى ظل يدعو قومه اليها سرا ثلاث سنين خرج الى البطحاء فصعد الصفا فنادى (يا صباحاه) فاجتمعت اليه قريش فقال :

« أرايتم ان أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أنتم مصدقى ؟ قالوا ما جربنا عليك كذبا . فقال : انى نذير لكم بين يدي عذاب شديد » فسخر به جماعة ، وآمن به آخرون متذكرين صفاته السامية طوال عمره الاربعين سنة فيهم ، وكان أبو جهل يقول : « انا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به » .

٦ — قال كاهن جنب من مذحج بطن من اليمن لقومه حينما طلبوا منه

النظر فى أمر هذا الرجل — رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس ان الله أكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم أيها الناس قليل » .

٧ — قال الوليد بن المغيرة عن القرآن بعد أن نفى نفر من قريش عن النبي صلى الله عليه وسلم صفة الكاهن والمجنون والساحر : « والله ان لقوله لحلاوة وان أصله لعذق(٤) وان فرعه لجناه ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف أنه باطل » .

٨ — قال عتبة بن ربيعة لأصحابه : « انى قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهالة يا معشر قريش أطيعونى واجعلوها بى وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم ، فان تصببه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به .. » .

٩ — نصح النضر بن الحارث قريشا بالتدبر فقال : « يا معشر قريش انه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى اذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة ونفتهم وعقدهم ، وقلتم كاهن لا والله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم ، وقلتم شاعر لا والله ما هو بشاعر ، قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها : هزجه ورجزه ، وقلتم مجنون لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون ، فما هو بخنقه ولا وسوسسته ولا تخليطه ، يا معشر قريش فانظروا فى شأنكم فانه والله لقد نزل بكم أمر عظيم » .

١٠ — قال الجاندى ملك عمان عندما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام : « والله لقد دلنى على هذا النبى الأمى أنه لا يأمر بخير الا كان أول آخذ به ، ولا ينهى عن شىء الا كان أول تارك له ، وأنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ، ويفى بالعهد ، وينجز الموعد ، وأشهد أنه نبى » ..

وهكذا كانت مراحل حياة النبى صلى الله عليه وسلم سواء قبل البعثة أم بعدها حلقات متكاملة تتأزر عراها مؤيدة صدقه فى رسالته وانتصاره فى دعوته حتى عد أعظم الانبياء والمصلحين الدينيين نجاحا لأنه أحدث فى عصره تغييرا شاملا فى كل نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والدينية ، لم يشهد له العالم نظيرا أو شبيها فى التاريخ .

(١) راجع شرح مسلم للنووى : ٢٢٣/٢ — ٢٢٦ .

(٢) وهو ما سفل من البطن ورق من جلده ..

(٣) العائف : الذى يتفرس فى خلفة الانسان فيخبر بما يتبول حاله اليه .

(٤) العذق : النخلة ، يشبهه بالنخلة التى ثبت أصلها ، وقوى وطاب فرعها اذا جنى .

مشاعرُ أسيفتي في ذكرى المولد :

يَا لَلْحَسْبِكَ اللَّهُ
محمّدٌ

اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ ، رَبِّي مُحَمَّدٌ لِيُرِيَنِي بِهِ الْعَرَبُ
وَرَبِّي الْعَرَبُ بِمُحَمَّدٍ لِيُرِيَنِي بِهِمُ النَّاسُ

بِعَبَاكِرِ الْكِرَامِ

للشيخ محمد الغزالي

أحيانا يقترف الناس فى جنب الله سيئات يظهر فيها جهلهم به ، واجتراؤهم عليه ، وينكشف فيها ما فاتهم من خشوع وأدب ، فيكون تعليق القرآن الكريم على هذا النوع أو العوج المنكور « وما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز » أو ما أشبه ذلك من التعليقات التى تبرز بعد الشقة بين ما يجب لله ، وما يقع من الناس .

والنقائض فى أفعال البشر كثيرة ، ولعل أخسها بعد الاساءة الى الله ما يلقاه محمد صلى الله عليه وسلم من جماهير العرب فى هذا العصر الأكد . ! انهم ما أحسنوا الى تراثه ، ولا قدروه حق قدره ، ولا غالوا بشرف الانتساب اليه عندما ابتلوا بالتقصير فيه !! بل وجد فيهم من يريد العيش بعيدا عن رسالته زاهدا فى دعوته . .

ولما كان الله قد ربي محمدا ليربى به العرب ، وربى العرب بمحمد ليربى بهم الناس ، فان معنى التجهم لمحمد وتراثه أن العرب ينتحرون فى الميدان العالمى ، وأنهم يحاولون أن ينفوا بأنفسهم فى ركن من الارض فقير من عناصر الشرف والسيادة ومقومات الحق فى الدنيا والآخرة . . !!

اننى أسأل نفسى بالحاح فى هذه الايام العجاف : هل يشعر العرب بأن محمداً : مرسل للعالمين ؟ وأن هذه (العالمية) فى دعوته تفرض عليهم بعد اذ عرفوه أن يعرفوا الناس به ، وهم عندما يعرفون الناس به لن يصفوا لهم ملامحه الشخصية وانما يشرحون لهم رسالته الالهية .. !!

لكن عرب اليوم لا يقدرّون محمداً قدره ، ولا يخلّفونه بأمانه فى مبادئه وتعاليمه ، ولا يحسون قبح الشبهات التى أثارها خصومه ضده ، بل هم — علما وعملا — مصدر متاعب للاسلام ونبيه الكريم ، وشاهد زور يجعل الحكم عليه لاله !! قد تقول : حسبك حسبك ، ان الناس بخير ، ومحبتهم لرسولهم فوق التهم فلا تطلق هذه الصيحات الساخطة فما تحب الجماهير أحداً ، كما يحب أتباع محمد محمداً ..

وأقول لك : سوف أغمض العين عن ألوف من المتعلمين ضلل الاستعمار الثقافى سعيهم ، وشوه بصائرهم وأذواقهم ، مع أن وزنهم ثقيل فى قيادة الامة العربية فما قيمة الحب الرخيص الذى تكنه جماهير الدهماء ؟ انه حب غايته صلوات تفلت من الشفتين مصحوبة بعواطف حارة أو باردة ، وقلما تتحول الى عمل كبير وجهاد خطير ، والترجمة عن حب محمد بهذا الاسلوب فى وقت ينهب فيه تراثه أمر مرفوض ، ان لم يكن ضرباً من النفاق !!

اذكر أنى ذهبت يوماً لأحد التجار كى أصلح شيئاً لى ، فاحتفى بى وقدم بعض الأثرية ، وأفهمنى أنه أتم ما أريد بعد أن وفيته ما أراد .. ثم شعرت أن عمله كان ناقصاً ولا أقول مغشوشاً ! فقلت : ليته ما حيا ولا رحب ، وأدى ما عليه بصدق ! ماذا أستفيد من تحيات لا جد معها ولا اخلاص ؟

والشأن كذلك مع أقوام قد تموج أحفال المولد النبوى بهم ، أو قد يصرخون بالصلاة على رسول الله فى أعقاب الأذان ، أو قد يؤلفون صلوات من عند أنفسهم يحار المرء فى تراكيبها لاغراقها فى الخيال . وقد يكون حبهم تمسكا شديداً ببعض النوافل ، وهروباً تاماً من بعض الفرائض ، أو حناناً لا ندى معه ولا عطاء كهذا الذى قال له الشاعر :

لا ألفينك بعد الموت تندبنى وفى حياتى ما قد مت لى زادا

أى حب هذا .. ان العرب لا يعرفون أى شرف كتب لجنسهم ولغتهم وأمستهم وغدهم عندما أبتعث الله محمداً منهم ، وان التقدير الحق لهذا الشرف لا يكون بالسلوك المستغرب الذى يواقعونه الآن ، ومنذ بدعوا يعبثون برسالة الله بينهم ..

لما أراد رب العزة أن يعلن بركته النامية ورحمته الهامية ، اختار فى كتابه العزيز عبارتين مبينتين :

الأولى : تتحدث عن هذه البركة فى مظهر القدرة التى تجمع أزمة الكون فى يده ، فيستحيل أن يغلب يوماً على أمره ، أو يشركه أحد فى ملكه ، وفى هذا المعنى يقول جل شأنه : « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير » ..

والثانية : تتحدث عن هذه البركة فى صورة الرجل الذى حمل هداية
الأخير الى عباده ، وتفجرت ينبوع الحكمة من بيانه وسيرته ، فكان القرآن
الذى يتلوه مشرق شعاع لا ينطفىء ، يهتدى على سناه أهل القارات
الخمسة ما بقى الليل والنهار . وفى هذا المعنى يقول جل شأنه : « تبارك
الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » .

ان الانسان المبعوث رحمة للعالمين اشعل الامة التى ظهر فى ربوعها
فانطلقت لأول مرة من بدء الخليقة تحمل للناس الخير والعدل ، واستطاعت
أن تؤدب جبابرة الارض الذين عاثوا فى أرجائها فسادا ، وظنوا أن
كبرياءهم لن يخذشها أحد !

حتى جاء الرجال الذين رباهم محمد فقوموا صر المعتمدين ، وأعزوا
جانب المستضعفين ، وكم تحتاج الدنيا فى يوم الناس هذا الى هذا
الطراز من الرجال ليحموا الحق الذليل ، وينقذوا التوحيد المهان ، ويقروا
الأخوة الانسانية المنكورة . وينزلوا البيض الى منزلة السود أو يرفعوا
السود الى منزلة البيض ..

لكن السقطة الرهيبة للعرب المعاصرين أنهم ذاهلون عن المكانة التى
منعهم محمد اياها ، هابطون عن المستوى الذى شدهم اليه ، وفيهم من
يفتح فمه ليقول : ان العرب يمكن أن يكونوا شيئا من غير محمد !!!
تبح الله وجهك من قائل أفك ..

ومن أيام جاعنى نفر من العامة متنازعون على ادارة مسجد ، بعضهم
يريد فى الاذان أن يقول أشهد أن سيدنا محمدا رسول الله .. والآخر
يريد الاكتفاء بالوارد ، فلا يذكر لفظ سيدنا لأنه مبتدع ..

ونظرت الى اعراض المرض الذى يفتك بالامة المعتلة ، وقلت لهم :
ان محترفى الافك من المبشرين والمستشرقين ملأوا أقطار العالم بالافتراء
على محمد وشخصه ودينه ، ورسما له صورة مشوهة فى أذهان الكثيرين
وانتم هنا لا تزالون فى هذا الغباء .

ما اشقى ديننا انتم اتباعه ، ان المسلمين بين ما ورثوا من جهل ، وما
نضح عليهم من ضلال العصر لا يزالون يهرفون بما لا يعرفون .. ان حب
محمد يوم يكون لقباً يضيفه عليه الكسالى الواهنون فهو حب لا وزن له ، ولا
أثر !! ويوم يكون أحتفالا رسمية وشعبية بيوم ميلاده ، فهو حب لا وزن له
ولا أثر !! ويوم يكون قراءة لكتابه فى مواكب الموت ومجالس العزاء فهو
حب لا وزن له ولا أثر ، ويوم يكون ادعاء تستر به الشهوات الكامنة
والطباع الغلاظ فهو حب لا وزن له ولا أثر .. لأن محمدا هو الرسول الذى
رسم للبشر طريق التسامى الحقيقى ، ورسم للجماعات طريق التلاقى على
الحقائق والفضائل ، فدينه عقل يأبى الخرافة ، وقلب يملو على الأهواء .

ماذا كسب المسلمون عندما حولوا الدين من موضوع الى شكل ؟ وماذا
كسب العرب عندما شقوا طريقهم الى المستقبل وهم يطوون اسم محمد
وترائه من نشاطهم السياسى والعسكرى ؟

ان مسلمى الباكستان هزمتهم سياسة امراة ذكية ماهرة ! ورجالات
العرب دوختهم سياسة عجوز شمطاء ! يا للرجال بلا دين !!

.....

اننى ، والوفا من المؤمنين نحب محمدا صلى الله عليه وسلم ، ونشعر
بما له فى اعناقنا من دين ، وبما افاء علينا من نعمة ، وبما يجب ان يتوحد
له فى الدنيا من سلطان مادي وأدبى ، وبالفقر المدقع الذى يعانىه العالم
لحرمانه من الرسالة التى اضطلع بها وخلفه فى ابلاغها العرب ، فلم يحسنوا
البلاغ .

اننى اليوم نفسى . واليوم قومى ويتردد فى نفسى صدى قوله تعالى :
« وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .

.....

قال لى أحد الصالحين : اننا نحى ربنا جل شأنه ونحن جلوس فى
سلوات اليس كذلك ؟

قلت : نعم . عقب الركوع والسجود . نهمس وايدينا على الركب
التحيات لله ..

قال : ثم نتوجه الى الرسول بالسلام بصيغة المخاطب الحاضر ، نقول
— وكأن الكلام لشخص قريب منا — : السلام عليك ايها النبى ورحمة الله
وبركاته .. !

قلت : أجل ، كذلك نفعل ، على بعد المكان والزمان بيننا وبين الرسول
الكريم .. !!!

قال : ان السلام أفرغ فى تلك الصيغة قصدا ، لان النبى يجب ان
يكون حيا فى ضمير كل مؤمن ، يجب ان ينتصب له مثال مرموق فى وعى
المسلم اليقظ تتحقق فيه ملامح الصورة الذاهبة !!

وهل تؤخذ الأسوة الواجبة الا من هذا الاستحضار الدائم ؟

لقد مرت أعصار على موت الرسول صلى الله عليه وسلم ، لكن القيم
الرفيعة التى تجسدت فيه ونماذج العبودية لله ، والجهاد فى سبيله
والحنو على خلقه ، وصور الكمال البشرى فى العفاف والعدل والايثار
والرحمة . تلك كلها معان لم تمت . وانما خلدت فى كيان هذا النبى
المحمد ..

والمسلم عندما يقول فى صلواته : السلام عليك ايها النبى ورحمة
الله وبركاته انما يقترب من امامه الاعظم الذى امره الله ان يتأسى به . وان
يسمى فى ركابه : ؟

« لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم
الآخر وذكر الله كثيرا » ..

.....

واسترسل الرجل الصالح فى عاطفته المهتاجة ، واخذ يشرح لى
ما يعنى قال :

ان الشمس فى رابعة النهار لا تعتبر غائبة عن بصير ، وتستطيع كل
مرآة مجلوة الصفحة أن تعكس صورة لقرصها أو لهالتها أو لأشعتها ومحمد
صلى الله عليه وسلم فى عالم اليقين والخلق ، شمس لا ينكر لها بريق ولا
يغيم لها ضوء ..

والمهم ان يكون لك فؤاد مصقول يستطيع استقبال هذا النور فى
حناياه ، والاستهداء به فى دروب الحياة .

ان القدوة الطيبة تقوم على استحضار المثل الاعلى فى الذهن ،
ومحاولة السير على غراره فى الخارج ، والائتناس الدائم بهذا المثل الاعلى
هو الذى يلهج الالسنه بعد تحية الله تبارك وتعالى بالسلام على رسوله ،
سلام « حضور » لا سلام « غيبة » ومن ثم كان كل مصل يقول : « السلام
عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباده الصالحين » .

ومحمد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — معقد الحقائق التسى
يصلح بها العالم من اذله الى ابده ، والتعاليم التى جاء بها لا يستغنى عنها
الاولون والآخرين الا اذا استغنت الأكوان عن نظام الجاذبية وسائر السنن
العامة واضطراب الحياة انما يرجع الى تجاهل الهدايات التى جاء بها
النبيون ، والتى أمها وأجملها هذا النبى الخاتم وما يثوب الناس الى
رشداهم الا يوم يحتفون بهذه الرسالة وصاحبها ويعرفون حكم الله عن
طريقه ..

وكان حقا على العالم كله ان يصدق بهذه البعثة العامة ، ولكن العالم
تنكر لها وتناول على رجلها الكبير .

وعندى ان الشفاعة العظمى ، التى جاءت السنن بثبوتها لرسول الله
صلى الله عليه وسلم — لا تعدو أن تكون لونا من تأديب البشر كافة على
موقفهم السابق من نبى الاسلام ، فان رسول أى عظيم يستحق من التوقير
والاعزاز بقدر ما لمرسله من مكانة ، والرجل الذى أرسله رب العالمين .

كان يجب أن يلقى من التكرمة ما يرفع ذكره ، ويعلى شأنه ، غير أن
اكثر الناس تواصلوا بالصد عنه وجحد دعوته ، ورغبوا عن الحق الذى
معه ، وبخسوا قيمته ثم تتابعت الاجيال والخلف فى أغلب بقاع الارض
يتوارثون عن سلفهم هذا التكذيب الشنيع ..

ولو نظرت في هذه الالوف المؤلفة من الكنائس والمعابد . لوجدت داخلها أجهزة منظمة دوارة تعمل في غير ملل لصرف الناس عن الاسلام ونسبة اقبح النعوت الى نبيه المبرأ الشريف ..

وكأن الله تبارك اسمه شاء أن يعرف هذه الأمم مدى ما كانت فيه من غباوة ، وأن يذيقها شيئاً من مرارة الجريمة التي ارتكبتها ، فهو في ساحة العرض الشامل لأصناف الخلائق يحشر سكان القارات الخمس على مر القرون يحشرهم في صعيد واحد . ثم يكشف الغطاء عن عيونهم وإذا هم يتبينون فداحة جهلهم بالله الكبير المتعال . ويتبينون شناعة خصامهم لإمام رسله ..

وهنا يموج بعضهم في بعض . ويضطربون في حيرة مفزعة لا يرجى منها خلاص . وتتحرك جموعهم الى كل نبي سمعوا باسمه في العالم الذي انتهى . يناشدونه أن يسأل الله لهم الرحمة . ولكن النبيين كلهم يرفضون التصدي لهذا المطلب ويعود أهل القارات الخمس متراكمين الى الرجل الذي طالما قيل لهم انه كذاب . انهم يحسون الآن عن يقين أنهم أخطأوا في حقه . وانهم يوم صدوا عنه كانوا يخسرون أنفسهم وأهليهم ! ..

الشفاعة العظمى — في نظري — موقف يحاكم فيه التاريخ البشري كله . ليعترف أن انصرافه عن الاسلام كان مشاقة لله وعداء لأحب أوليائه وأصدق دعائه ..

وما أعجب أن تجد الانسانية نفسها في حرج يوشك أن يقضى عليها . ثم تعلم فجأة أن التنفيس عن كرباتها ربما تم باللجوء الى الرجل السذى عاشت دهوراً . وهي تروى عنه الاكاذيب وتنسب اليه الاساطير ...

والتجاء أهل الارض الى محمد في تلك الساعة العصيبة ، ولجؤوه الى الله يطلب مغفرته للعبيد الأغرار ذلك في ظني هو المقام المحمود ، المقام الذي نسأله لمحمد عقب كل أذان يتردد صدها في مهاب الريح ليستجيب له قوم وينصرف عنه آخرون « اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت « محمداً » الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته » ..

.....

قلت : ان محمداً في عالم العقائد والحقائق شمس وضاحة نفاحة ، لكن العميان كثير وقد مكث هذا الرسول النبيل يصدع بأمر الله وينقذ الناس من أهوائهم ومظالمهم ، ثم ذهب الى الرفيق الأعلى تاركاً فينا تراثه الجليل . من كتاب وسنة . فليتعلم الدعوة من حياة سيد الدعوة أن اجر الحق المبذول لا يعجل في الدنيا ، وأن للمقام المحمود موعداً في غير هذه الدار يتعلق به وحده الدعوة الأبرار ..

الأسوة الحسنة

وَكَيفَ نَحَقِّقُهَا

للاستاذ محمد المجذوب

ويوم الفطر (١) وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال (ان يوم الجمعة يوم عيد وذكر) (٢) وكان ذلك كافيا لالغاء كل عيد غير هذه الثلاثة التي حددها نبى الله صلى الله عليه وسلم ، وبات واضحا ان كل محاولة لاستحداث عيد آخر ، أو

كان مما واجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته الى المدينة احتفال الناس هناك بيومين فى العام فسأل عنهما فأجيب « أنهم كانوا يلعبون فيهما فى الجاهلية ، فقال صلى الله عليه وسلم قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الاضحى

التهتم .. ولان ظروفهم القلقة لم توغر الجواء الصالحة للتوسع فى مثل هذه الاحتفالات .

ولما انكشف الضغط الرومانى عن المسيحية ، وأخذت طريقها الى العلانية بعد السرية الطويلة ، لم يستطع شعوبها التخلص من آثار وثنيتهم الاولى ، ومال المسئولون عن دعوتها الى التساهل مع هؤلاء ، فأقروهم على الكثير من تقاليدهم الموروثة ، ثم لم يمض الا قليل من الزمن حتى تبنت مسيحية بولس الجديدة بعض اعياد الرومان نفسها ، كعيد الفصح الذى يرمز عند الرومان الى انبثاق الحياة ، وعند اليهود الى تذكار خروجهم من مصر ، واتخذوه النصرارى عيد لفطرم اذا خرجوا من الصومهم وأكلوا اللحم — كذا فى اللسان — وهو عندهم — فى المنجد — عيد تذكار قيامة المسيح من الموت . وحتى عيد الميلاد لم يوقت بيوم ولادة المسيح بل أخذ من اعياد الرومان ايضا .. وهكذا حلت اعياد القديسين لدى النصرارى مكان اعياد الآلهة الرومانية ، حتى لم يبق قديس مشهور بغير عيد ، ثم أفرد لمجموعهم عيد عام أطلق عليه اسم (عيد جميع القديسين) ... حتى اذا وافقت العهود الحديثة اتسعت دائرة الاعياد فى العالم المسيحى ، بحيث تجاوزت حدود المناسبات الدينية الى نطاق الذكريات الخاصة ، فبات مألوفاً بل من الامور الحتمية أن يحتفل كل فرد بعيد ميلاده ، وعيد ميلاد شفيعه من القديسين ايضا ، وكما يتعاون المجتمع المسيحى على ابراز عيد ميلاد المسيح فى اطار من روائع المظاهر ، هكذا يعنى الفرد المحتفى بميلاد نفسه ، فيحيط تلك المناسبة بأزهى ما يستطيع من الظواهر ..

فاذا أطللنا على التاريخ الفرعونى نرى أساطير الامم الجاهلية كلها تجتمع تحت أسماء محلية ، منها

اطلاق اسم العيد على أية مناسبة سواها ، مخالفة صريحة لحكم الشريعة .. فمن أين جاء عيد المولد وعيد رأس السنة .. وعشرات المناسبات التى يسميها الناس وبعض الحكومات أعيادا ؟!

ولكى نقدم الجواب الصحيح على سؤالنا هذا يجدر بنا أن نلقى نظرة واعية على اعياد الامم السابقة للبعثة النبوية والتالية لها .. وسنرى اننا عاثرون هناك على الجذور البعيدة لكل ما أحدثه الناس من الاعياد التى لا تكاد تحصى .

١ — وفى تاريخ المجتمع اليونانى اعياد بعدد آلهتهم ، التى اخترعتها أساطيرهم لظواهر الطبيعة ، فجعلت لكل ظاهرة كونية آلهة أو إليها .. ولكل واحد من هؤلاء عيده وزمنه واحتفالاته المميزة عن سواها .

وفى حياة الهند الوثنية حتى اليوم اعياد لجموع آلهتها التى تكاد تعجز الحاسب ، ولها احتفالاتها ومواكبها التى يقرأها حتى مثقفوهم على أنها من تراث الهند ، الذى يحفظ لها شخصيتها القومية على مدار الزمن ولو هبط بالعقول الى أدنى الدركات ! وفى سورية — الطبيعية — بقايا آثار عجيبة لألوان من هذه الاحتفالات الوثنية ، تتمثل فى قلعة بعلبك وعشرات الطلول ، التى يحاول الجاهليون الجدد احياءهم باسم (الفولكلور) الشعبى ، الذى لا غرض له فى المفهوم البعيد سوى اضعاف سلطان الاسلام على نفوس الجماهير ! ...

ولم يكن شأن الجاهلية العربية فى أكناف الجزيرة شاذاً عن هذا الطريق ، وان كان اهتمامها بالهتها أقل حجماً ، إذ كانت وثنيتهما ضرباً من التقليد السطحى لا يمس ضمير الناس كثيراً ، فلم يكن لها مثل الفلسفة والاساطير التى نسجها خيال اليونان والهنود والمصريين والفينيقيين حول

يشعر بالقوة ويوحى بالمهابة ، ويشغل العامة بألوان الملاهى التى تشبع فضولهم ، وتروى أهواءهم ، فتصرفهم عن التفكير بما يراد بهم وبدينهم ! .. وما أحسب باحثا فى تاريخ هذه المواسم الفاطمية بمستبعد أثر اليهودية والمجوسية فى التخطيط لها والتركيز عليها ، تحقيقا لذلك الغرض المنشود ، ولا سيما حين يتذكر ما وراء الواجهة العبيدية من التعاليم السرية ، التى نسجت فى ظلمات المؤامرات اليهودية ، ثم فى دهاليز المجوسية الفارسية ، سواء فى جذورها التى وضعت فى السلمية — من سورية — ثم امتدت الى المغرب فمصر فديار الشام ، أو فى فروعها الأخرى التى رسخت فيما بعد بأيدى اليهودى الاصيل (يعقوب بن كلس) وزير العزيز بن المعز ، ثم بأيدى حمزة الزوزنى ، وحسين بن حيدرة الفرغانى الأخرم ، ومحمد بن اسماعيل الدرزى الذين وفدوا من فارس على الحاكم بأمر الله فأعلنوا الوهيته لأول مرة فى جامع عمرو ، ثم انتقل بعضهم بهذه النحلة المجوسية اليهودية الى بعض جبال الشام (٦) حيث لا تزال قواعدها قائمة حتى الساعة ! ..

ولا خلاف بين المؤرخين فى كون الفاطميين هم السابقين الى أحداث عيد المولد النبوى منذ القرن الرابع (٧) ومن هناك انتشر تقليد الاحتفال به الى سائر بقاع المسلمين ، حتى اتخذ فى بعض الدول العربية والإسلامية يوم عطلة رسمية . وفى علمى أن أول دولة أقرتها حديثا لبنان ، وكان الباعث لذلك هو التنافس الطائفى ، إذ كان النصارى يحتكرون لأعيادهم معظم العطلات الرسمية وليس للمسلمين سوى اثنتين الفطر والاضحى ، ثم رأى المسلمون أن ينافسوا مواطنيهم فى الاحتفالات بذكرى المولد النبوى مقابل حفاوة هؤلاء بميلاد المسيح ، فاذا جاء مواعده

الसार الفرخ ، والمخزن الترح ، ولعل من أشهر أعياد تلك العهود عيـد (أوزريس) الذى يزعمون أنه قدم نفسه قربانا لتخليص الخطاة ، على الطريقة التى عرفت لدى الهنود والصينيين من قبل ، واحتلت مركزها الأخير فى عقيـدة الفداء لدى النصارى (٣) . ولقد ظلت مصر تحتفل بعيد النيل الى أيام الفتح الإسلامى ، ثم عادت الى أحيائه بعد قرون فى ظل الدولة العبيدية . . . وقد كان لهذه الدولة الشيعية أثرها الكبير فى اختراع الأعياد ، ومن ثم فى إذاعة بعضها فى العالم الإسلامى . . فعيد لرأس السنة ، وآخر ليوم غدِير خم (٤) ومثله لذكرى عاشوراء ، ثم يأتى موالد النبى صلى الله عليه وسلم وعلى والحسن والحسين وفاطمة و . . . حتى ذكرى خروج يوسف من السجن لم يغفلوها من قائمة مستحدثاتهم ، فجعلوا لها عيدا ، ترفع فيه الزينات ، وتسير المواكب وتعرض فيه التمثيليات الشعبية التى تجبى لها الأموال من التجار تحت اسم الدولة وبصرها وتشجيعها (٥) .

ولا جرم أن الذى حمل الفاطميين على استحداث هذه المواسم أمران . أما أحدهما فهو رغبة القوم فى تغيير ملامح المجتمع الذى ما أنفك يحمل طوابع الأصول الإسلامية المتحدرة من الصدر الأول ، كما هو الشأن فى كل حركة ثورية تستهدف فرض خصائصها على البيئة التى تتحكم بها . وأما الحافز الثانى فهو الهاء الجماهير الخفيفة بالعروضات التى ترافق تلك الاحتفالات ، وبخاصة فى النطاق الرسمى ، حيث كان المكلفون أعدادها يفتنون فى أن يوفروا لها كل وسائل الأغراء والجاذبية ، فينظمون مواكب الخلافة ومسيرتها ، وطرق استقبالها ، ويفرغون على كل ذلك من مظاهر الأبهة والفخامة والترف ما

يقتصر في بعضها على قراءة القصة والقاء بعض الخطب النافعة - أحيانا - ثم توزيع الحلوى ، واقامة الزينات وتعطيل الدوائر ... ولكن منكراته تتجاوز كل تصور في مواطن أخرى ، حتى لتشكل وصمة عار في حياة المجتمع الاسلامي ، وتضع في يد أعداء الاسلام أمضى سلاح لتشويه وجهه المشرق الجميل ، اذ (أصبحت الموالد هناك مراتع الفسوق والفجور وأسواقا تباح فيها الاعراض ، وتفتك محارم الله تعالى (٨) ولا غرابة ، لأن الشأن في كل بدعة أن تبدأ خطواتها في وقار الحكماء متظاهرة بكل ما يستهوي ذوى العواطف الساذجة من الخير والاستزادة منه ، حتى اذا اطمانت الى الانصار واستحکم سلطانها في الصغار والكبار ، خلعت عذارها المستعار ، واندفعت الى الفساد على رؤوس الاشهاد ، حتى لا يجروا على معارضتها ذو رشاد ! .

أجل .. أن الاتصال بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة نشأته ، ودعوته وجهاده وأثره في صحابته ، أحد الأسس التربوية التي لا مندوحة من التشبع بها والاقتراس من أشعتها لتصحيح المسيرة الاسلامية ، ولتكوين الجيل الصالح لاستئناف دعوته في المجتمع الاسلامي الحائر ، وفي العالم البشري الضائع ولكن الطريق الى هذا النور لن يكون أبدا في السير وراء القطيع الضير من العامة وأشباههم من الطرقيين والمرترقة .. بل في احياء سننه الصحيحة ، ونشر المطوى المجهول من أخلاقه العظيمة ، وتيسير السبل المؤدية الى تفهم رسالته المحيية بكل الوسائل الممكنة والمشروعة . ومن أجل ذلك لا مندوحة عن تنظيف الوسط الاسلامي من تلك الشنائع التي لا تزال تقترف على مشهد من كبار علماء الاسلام ، ورجال دولهم ، باسم الدين ، والحفاوة بميلاد سيد

ملاوا الشوارع والاحياء بانواع الزين وخرجوا في تظاهرات شعبية لا تخلو من الاغراض السياسية .. ثم مازالوا حتى الحقوا تلك المناسبة بالاعیاد الرسمية ، وما لبث ذلك التقليد أن سرى الى الحكومات المجاورة وما وراءها من بلاد المسلمين ...

٢ - والاحتفال بذكرى المولد النبوي لا يزال حتى اليوم موضع أخذ ورد بين المقرين والمتهيبين ، ولكل منهما حجة في موقفه . فهؤلاء يرون التزام سبيل السلف باجتناح كل حدث لم يقره الصدر الاول ، وأولئك يتذرعون بحاجة المسلمين الى المنبهات التي تصلهم بحياة نبيهم صلى الله عليه بين الحين والحين ، ليظلوا على ذكر منها ، دون أن يتقيد ذلك بموعد ثابت وان كانوا يخصون يوم ولادته بالكثر والافخم من مظاهر التكريم .

والى هنا والخلاف بين الفريقين ضيق المسافة ، اذ هما متفقان على وجوب التذكير ضمن هذا النطاق ، فما دام رسول الله هو أسوة المؤمنين كان لزاما عليهم أن لا يقطعوا صلتهم بذكره وسيرته ، ليحققوا ما يمكنهم تحقيقه من معاني هذه الاسوة ...

ولكن الاختلاف بينهما انما ينصب على الوسيلة التي تعتمد لتنفيذ ذلك التذكير . فبينما يرى الملتزمون لسبيل السلف أن الوسيلة المشروعة شرط أساسي في الوصول الى الغاية المشروعة ، نرى الآخرين لا يعبأون بمشروعية الوسيلة ، بل يرتضون ، أو يسكتون بالاقبل عن كل ظاهرة لا يقرها الشرع ، ولا تنسجم مع روحه ، مما يرافق في العادة هذه الاحتفالات ... التي تتحكم فيها نزوات العامة والدجالين ، ولا يتاح فيها لمصلح سليم الطوية نظيف الوسيلة أن يتعرض لها بكلمة نقد أو اصلاح ! ...

صحيح أن الاحتفال بهذه الذكرى ليس سواء في بلاد المسلمين ، اذ

المرسلين ... ولكن هذا الرجاء سيظل حلما بعيد التحقيق ، ما دام المسئولون من حكام المسلمين ، الذين يشهدونها بأعينهم ، لا يحركون ساكنا فى مكافحتها ، بل ربما استراحوا الى انشغال الجماهير العمياء بها عن الحقائق التى ضلوا سبيلها ، ولا سيما اذا كان فى استمرارها ما يتوهمونه مصلحة لخزينة الدولة . ولترويج اسواق المرتزقة فى مواسمها المعتادة ! .. وهو المسلك نفسه الذى ورثه هؤلاء عن عهود الاستعمار الذى كان من دأبه تشجيع امثال هذه الضلالات ، بجانب مطاردته لاهل الحق من كبار الدعاة والهداة ..

٢ - لما بعدت الثقة بين عهد النبوة والتابعين فى العصر الاموى ، وزالت النماذج الحية التى كانت تمثل آثار التربية المحمدية فى شخصيات الصحابة رضوان الله عليهم ، وجد المسئولون عن قيادة الامة لزاما عليهم ان يعوضوا اجيال المسلمين عن المثل المنظور بالخير المسموع ، فأقاموا لهم القصاص ورواة السيرة ، والحافظين لآخبار المغازى النبوية ، يغذونها بتلك المعانى المحركة للهمم ، والمثيرة لروح الفداء والتضحية ، وكان ذلك اول تنظيم لما يسمونه اليوم بـ (التوجيه المعنوى) فى اوساط العسكريين ، وكان له اثره العميق فى تماسك البنين الاسلامى على الاساس الاول زما غير يسير ، حتى ضعف هذا الاتجاه ، وخلف الجيل الذى عرف عن الثقافة الدخيلة اكثر مما علم من شريعته الجليلة .. فاذا الدعائم تهتز ثم تهوى ، لتحل مكانها نزوات الساسة وشهوات القادة ، ومن هنا جاءت الطامة الكبرى ، اذ زلزل الكيان الاسلامى ، ثم لم يلبث ان انقض بأجمعه ..

ولقد كان المعقول بازاء هذا التدهور العام ان تنهض البقية من

اولى العزم بمبء الاصلاح على اساس رد القطيع الضائع الى جادة الاسلام . والطريق الى ذلك هو ايقاظ ما همد من روح الايمان وابرار ما اندرس من معالم الوحي ، اذ لا صلاح لآخر هذه الامة الا بما صلح به اولها .. ولا ننسى ان بعض ذلك قد حدث على ايدى المصلحين ومن تبعمهم فى طريقهم السليم .. ولكن المؤسف ان أزمة السواد الاعظم من العامة ظلت فى ايدى الجاهلين والمضللين من اصحاب الاهواء ، الذين زادوا الواقع السىء سوءا بما وسعوا من ساحة المحدثات على حساب الحقائق .. ثم نبئت من بعدهم خلوف على شاكلتهم ، لا عمل لهم الا ترسيخ قواعد الانحراف بما يتولونه من مبتدعات ، يحسبونها خيرا وهى فى منظار الاسلام شر عظيم ...

وهكذا وجدنا أنفسنا فيما بعد تلقاء ركام من تلك المواريث المعوقة ، تنهض كجدران السد بين جماهير المسلمين والاسلام الصحيح الذى لا خلاص الا به ... وليست تلك الاحتفالات الشائنة ، التى تستقبل بها ذكرى المولد النبوى ، والتى يحتشد لها ملايين المسلمين فى بعض اقطارهم ، على تلك الصور المخجلة المدمرة ... الا احدى المآسى التى يعانىها الاسلام فى ظل هذه الانحرافات .

لقد شوهدت هذه (الموالد) فى عقول الجماهير المضللة شخصية صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم اذ حجبت عنهم حقيقتها القيادية ، وأثبتت مكانها صورة غريبة لا تمت الى واقعها العظيم بأية صلة ، وقد زاد المحنة عمقا تلك الحكايات المختلفة التى يقرؤها بعضهم فى مجالس العامة باسم قصة المولد ، فلا تحمل من سيرته صلى الله عليه وسلم الا طيوفا غائمة لا تزيد عن كونها تعميقا لمزاعم خبيثة ، توهم أولئك

وانطلاق الى ما قررنا من هدف نوجه طاقاتنا لتحقيقه فى زحام الاحداث .. واذا نحن لم نحسن استغلال هذه المواسم لتلك الغاية المزدوجة لم نخرج عن كوننا مجموعة ضخمة من الاطفال الكبار ، كل همها العثور على اية مناسبة للهو والمبث واللفو المفرغ من كل مضمون ! ...

ومن فضل الله على هذه الامة انها لم تخل قط ، حتى فى ايام انحدارها خلال التاريخ . من مفكرين جدييين ارتفعوا على واقع الغوغاء ، فاتخذوا من مثل هذه المناسبات مواطن يراقبون منها مسيرة امتهم ، ويدرسون تجاربها . على ضوء المهمة التى القاها القدر على عاتقها ، فينبهون الغافلين . ويوجهون المخطئين ، ويحذرون الزائغين ، ويضمون فى ايدى الجميع المخطط السليم ، الذى من شأنه أن يصحح مسيرتهم فى الطريق القويم .

وذلك هو المسلك الامثل ، الذى لا يبنى لذى لب وعلم أن يفعله أو يحيد عنه فى كل مناسبة اسلامية ، سواء منها ما كان حقا بنفسه ، محمدا فى كتاب الله أو سنة نبيه ، كالجمع والعيدين والصوم والحج .. أو ما كان مضافا الى الحق ، من عمل المتزيدين الذين ضاقت عقولهم عن ادراك الحكمة فى تحديد الالتزامات الشرعية فراحوا يخترعون ما يحسبونه زيادة فى الخير ، واجتهادا فى القربات ! ..

ولا ريب أن ذكرى المولد النبوى واحدة من هذه المناسبات التى يمكن الانتفاع بها فى اثاره العزائم وتصحيح المفاهيم ، والاتصال بأعماق المشاعر الفطرية فى قلوب الخاصة والعامة من هذه الامة ...

على أن الوصول الى هذا الغرض متوقف الى حد كبير على التزام الوسائل المشروعة فلا نحابى فى الحق ، ولا نراعى فى ذلك مشاعر

المساكين بانفصال تلك الشخصية المطهرة عن كل صفات البشر ... ولن انسى يوما حضرت فيه تلاوة احدى هذه القصص فى مسجد سورى ، وكان يقرؤها للناس معمم له بعض المؤلفات فى الحديث ، ومع ذلك لا يستطيع التخلص من مفتريات الدجالين ، فيصرف الوقت كله فى سر نعوت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبلها حتى عقله ... ثم لم يكد يعرض لشيء من أخلاقه ولا جهاده ولا رسالته ! ... ويتخلل ذلك أناشيد تافهة لا تعدو ذلك النطاق الذى يجعله صلى الله عليه وسلم مخلوقا عجيبا لا يتكون من لحم ودم . بل من الجواهر والمعادن ، حتى لتحدد نسب كل من هذه العناصر فى تركيب جسده الشريف !! ...

ولا جرم أن الذين يقرؤون هذه المفتريات من أولى العلم لا يفوتهم الاحاطة بمصادرها الوثنية ، التى تصور لعامة أتباعها معبوداتهم فى اشكال خارجة عن المؤلف .. وفى تكوينات مزدوجة تمتزج فيها الخصائص البشرية بالمميزات الالهية على نحو لا يقيم للعقول أى وزن أو اعتبار ! .. وهذا ما يسوغ للمفكر المؤمن القطع بأن وراء هذه الاضاليل أيديا شيطانية ، قصدت الى افساد التصور الاسلامى فى صدور الكافة عن سابق تصميم وثيق الاحكام ، دقيق التخطيط .

٤ - ونقف هنا قليلا لنتساءل « أليس بالإمكان تعديل بعض هذه الفوضى ، التى تنتظم احتفالات جماهير المسلمين بهذه المناسبة العزيزة ، بحيث تتحول الى مجهود اجتماعى ذى مردود صالح ! ..

ان المواسم الروحية فى مثل امتنا وبازاء ما تعانیه من اضطراب عام ، يجب أن تكون مراكز حساب وانطلاق حساب على ما أسلفنا وما أعددنا ،

العامية ، رغبة فى الانتفاع بما تهيئه تلك المحدثات من فرص للتخفيف من فرقة المسلمين ، كما قال لى أحد (كبار المشايخ) وهو يحاورنى فى موضوع بعض البدع ، اذ راح يؤكد لى أنه مقر لانكارى ، ولكنه يؤثر بقاء المنكر ايثارا لما يجره من المعروف .! .

وقد نسى اصلحه الله الا معروف فى منكر ، وان من لا يصلحه الحق لا يجديه كل ما فى الارض من الباطل .

ان التساهل فى امرار المحدثات — فى الدين — والسكوت عليها قد اذاب الذاتية الاسلامية لدى السواد الاعظم من المسلمين ، فتهدمت بذلك تحصيلاتهم الروحية حتى اصبحوا مرتعا صالحا لآى طارئ من التقاليد الداخلية . وها نحن اولاء نعيش من هذا الانهيار فى بلاء لا نكاد نعرف منه مخرجا ، فالهيبية والخنفسة والوجودية ، الى جانب الطرقية الزائفة والافكار الهدامة ، والتقاليع الجائحة ... تقتحم كياننا المفتوح لكل غاز .. وقد اعان دعاة هذه المفاسد ما يحسونه من الانفصام الرهيب بين جماهير المسلمين ومنابع دينهم الحق ، حتى بات سوادهم فى معزل شبه تام عن كتاب الله وسنة نبيه ، واستقراء احكامهما فى تدبر وتفاعل ، لانهم استناموا الى محض التقليد ، وبات معظمهم لا يعدو نطاق القائلين (انا وجدنا آباءنا على أمة وأنا على آثارهم مقتدون) ... حتى الطبقة التى تمتاز ببعض الوعى من هؤلاء المسلمين لم يعد لديها من المناعة الخلقية ما يعصمها من الخوض فى وحول التبعية لكل من يستهويها ببهارجه .. فهى تتقمص راضية اخلاق غير المسلمين ، وتتلبس عاداتهم .. وبدافع من هذا الذوبان الشخصى تحتفل بذكرىات ميلادها على الطريقة نفسها التى يسلكونها ، فترى أحدهم يستقبل مهنثيه ، ويوقد

الشموع بعدد سنفيه ، أو سنى من يحتفل بميلاده من بنيه ، وقد يكون هذا الانسان قائدا مرموقا ، يخوض بأتمته معركةها الفاصلة ، فلا يشغله حرج الموقف فى بلاده عن التفرغ للاحتفال بعيد ميلاده ! ... بل ان بعضهم لينصبون فى بيوتهم شجرة عيد الميلاد ، محاكاة لأولئك .. ولا ينسبون حتى البابا نويل وكل مالا يخطر بالبال ، من مبتدعات الخيال ، ومفويات الاطفال ، دون ان يسألوا انفسهم عن حكم الاسلام فى هذا التقليد الذى يلحقهم وابناءهم بغير المسلمين ، لان القاعدة الشرعية أن (من تشبه بقوم فهو منهم) .. ولكنها البيغافية التى يصورها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول فى امثال هؤلاء (لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم .. (٩) ولا عجب ، فانما يسير هؤلاء القردة على آثار من سبقهم من الغافلين ، الذين ضلوا سبيل الاسوة المحمدية ، فراحوا يتبعون طرائق أهل الكتاب فى الاحتفال بموالد اوليائهم ، محاكاة لهم فى الاحتفال بموالد القدسيهم ! ... وتقليدا لمن تقدمهم من أمم الوثنية فى المهرجانات التى يقيمونها لموالد آلهتهم ! ..

وها نحن اولاء نشهد سباقا فى ميدان التقليد لا نعرف له حدودا يقف عندها ، فعيد للعمال — أول أيار — وعيد للأمم ، وآخر للطفل ، ومثلثه للثورة ، والأسرة ، والشجرة و ... ولو نحن رحنا نستقصى ما كان ويكون من هذه الفنون ، لعجزت عن تصورها الظنون .. ومع ذلك لا تعدم هذه المبتدعات مؤيدين لها باسم الدين أيضا على أنها مواسم مشروعة للاصلاح أو اللهو المباح ! . وقد نسوا أن الاعياد أعمال شرعية ليس لغير الله ورسوله تعيينها أو احداثها ،

وفاتهم كذلك ان لو كان في هذا الابتداء من خير ما سكت عنه نبي الله ، الذي حذر امته اشد الحذر من موافقة غير المسلمين في اعيادهم ومهارجهم ، صونا للشخصية الاسلامية من الذوبان في غيرها ، وبالتالي لو كان في اتخاذ الاعياد من ذكريات النصر والمجد صلاح لما فات الصحابة وخير القرون الحفاوة بأيام بدر والخندق وخيبر ونهاوند ودمشق وبيت المقدس ... وعشرات الاشراقات العظيمة في تاريخ الاسلام .. ولكن .. قد يغفل اللبيب ، حتى يقع من الهفوات في العجيب الغريب !..

٥ - وأخيرا رب لاغ بعد هذا يقول « ان هذا الرجل يريد ان يصرفنا عن الحفاوة بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي مناسبة ، على ما يحف بها وما يعقريها ، خير من الغائها ! ... ولهذا وأمثاله نقول » ان العناية بذكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته الطاهرة فرض عين على كل مسلم مستطيع ، لأنها الوسيلة الى دراسة حياته ، التي هي مجال التطبيق الاسمي لاخلاق القرآن وحقائق الاسلام ، وبدونها لن تتم الاسوة الحسنة ، ولن يعرف المسلم طريقه الحق .. وهي على هذا الأساس عمل مشروع ، غنى به

الصحابة والتابعون ، وعنهم وصلنا . وفي سلوك منهجهم استمرار لسبيل الخير ، وتثبيت للتراث الاسلامي في ضمائر الاجيال ، بيد ان الذي نريد ، وندعو اليه هو ان نسلك الى هذه الغاية الكريمة سبيل اولئك الكرام ، الذين لم يعينوا لهذه الذكرى موعدا خاصا ، بل اعتبروها من ابواب العلم المطلوب في كل زمان .. ولجلس علم يدرس فيه شيء من صحيح السيرة النبوية في تدبر وتفاعل أرجح في ميزان الخير من الف موكب والف سباط ، والف حلقة ذكر ، من ذلك الضرب الذي لا يقرب المحتفلين من حقائق الاسلام قيد انملة ، ولا يزودهم من معانيه العليا بأية عبرة . ولهذا نهيب بأولى الامر في كل بلد اسلامي من تهمهم مصالح شعوبهم . ان يصادروا كل قصة للمولد كتبها الدجالون أو الجاهلون ، وان يطهروا مجتمعاتهم الاسلامية من تلك الشنائع التي لا يرضى عنها الا العابثون والمستغلون ...

ولكن هذه الاهابة ستظل بغير مردود حتى يتحرك لها اولو البصائر من اهل العلم المؤتمنون على دين الله ، الغير على أمتهم أن يضلها الماكرون من أعداء الله ..

ولسوف يسألون عما كانوا يصلون .

- (١) أبو داود والنسائي والترمذي واسناده على شرط مسلم .
- (٢) عن أبي هريرة واسناده حسن .
- (٣) العقائد الوثنية وأثرها ... لحمد التنير .
- (٤) أول المحتفلين بهذه البدعة هم البويهيون عهد معز الدولة سنة ٣٥٢ وذلك قبل عشر سنوات من ظهورها في مصر (ظهور الاسلام) ص ١٩٤ .
- (٥) (الدولة الفاطمية في مصر) ص ١٧٢
- (٦) (الوفيات) ٤٩١/٢ .
- (٧) (الدولة الفاطمية ...) ٩٦ و ٩٧ .
- (٨) في مقال نشرته مجلة (جوهر الاسلام) التونسية عدد ٩ شهر ربيع الاول ١٢٩١ ترد احداث المولد الى اواسط القرن السادس ، والصحيح ما ذهبنا اليه - انظر (الإبداع ...) ص ١٢٦ و (الدولة الفاطمية في مصر) ص ١٦٢ .
- (٩) « الموعى » ما يستنكر في الاحتفال هو الوسيلة لا المبدأ كما انتهى اليه الكاتب .

قله انت انت انت له

اذا ما اتجه الفكر فى السموات حيث انتشرت النجوم فى الليل ،
واذا ما كل البصر فيما لا نهاية له من الآفاق المظلمة ، واذا ما خشعت
النفس من رهبة السكون الشامل — فانك تشرق بوجهك الكريم — من خلال
هذه الآفاق وتمس بعظمتك النفس الخاشعة المطمئنة .

حينئذ تبدو الآفاق المظلمة كأنها باسمه مشرقة ، ويتحول السكون
الى نبرات مطربة تنبعث من كل صوب وحينئذ تتغنى النفس الخاشعة
لتقول انت انت الله .

واذا كان المتأمل على شاطئ البحر الخضم ، وارسل الطرف بعيدا
حيث تختلط زرقة السماء بزرقة الماء وحيث تنحدر شمس الاصيل رويدا
رويدا كأنها الابريز المسجور لتغيب فى هذا المتسع الملح الاحاج ، وحيث
تتهادى الفلك ذات الشراع الابيض فى حدود الأفق الملون بألوان الشفق
كأنها طائر يسبح فى النعيم .

اذ ذاك يشعر المتأمل بعظمة واسعة دونها عظمة البحر الواسع
واذ ذاك تقر العين باطمئنان الفلك الجارى على اديم الماء المهد ، وفى
رعاية الله الصمد حيث تكون مظهر العظمة وحيث تطمئن النفس لرؤية ما
تطمئن اليه فى منظر جميل .

اذ ذاك يدق الفؤاد بدقات صداها فى النفس انت انت الله .
واذ ما انطلقت السفينة بعيدا بعيدا فى البحر اللجى ، وهبت الزوابع
وتسابت الرياح ، وتلبد بالسحب الفضاء واكفهر وجه السماء وأبرق
البرق وارعد الرعد ، وكانت ظلمات بعضها فوق بعض ولعبت بالسفينة
الامواج واجهد البحار جهده وفرغ الريان من حيلة وأشرفت السفينة
على الفرق وتربص الموت من كل صوب وحذب .

اذ ذاك يشق ضياؤك هذه الظلمات والمسالك ، وتحيط رافتك بهذه
الاطخار والمهالك وتصل بحبال نجداتك المكرويين اليائسين . واذ ذاك يردد
القلب : انت انت الله .

واذا ما اثنتد السقم بمن احاطت به عناية الاطباء وسهر الاوفياء ونام
بين آمال المخلصين ودعوات المحبين ، ثم ضعفت حيلة الطبيب ولم ينفع وفاء
الحبيب واستحال الرجاء الى بلاء .

اذ ذاك تتجلى مستويا على عرش عظمتك والنواصى خاشعة والنفوس
جازعة والايدي راجفة والقلوب واجفة لتقول : انا قضيت ويقول الطبيب
والقريب والحبيب لك الامر انت انت الله .

فيما يمس النفس من مظاهر العظمة ومظاهر السعة ومظاهر
الرحمة ومظاهر القدر والقضاء ومظاهر الدوام والبقاء ومظاهر الجمال
والجلال اعتاد الناس ان يصفوك بالعظيم والواسع والرحيم والقادر
والدائم والجميل والجليل واوتار القلوب تردد : انت انت الله . انت انت
الله .

من خواطر نفس للدكتور منصور فهمى .

الطريقة الحديثة للهجوم

لم يكن محمد عليه الصلاة والسلام
ثائرا انعكست عليه آمال قومه ، وإنما
كان رسولا امينا بلغ رسالة ربه

تقوم اصول الطريقة القديمة لحرب الاسلام والتشكيك في عقائده وقواعده ، على هجوم علني مباشر يستهدف أبرز ما تتمثل فيه هذه العقائد والقواعد ، وأبرز ما يتمثل فيه ذلك كله : كتاب الله تعالى، وشخص نبيه محمد عليه الصلاة والسلام .
ويتخذ هذا الهجوم سبيلا مكثوفا للنيل من عظمة القرآن والحط من مكانته ، كما يتخذ سبيلا مكثوفا مثله لتسوية سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ودرس النقيصة الكاذبة في حياته ! ..

طريقة عتيقة :

الا أن هذه الطريقة استبدلت فيما بعد . واستعوض عنها غيرها ، فقد روى بعد تجربة وطول بحث ، أنها تضر بأصحابها أكثر مما تنفعهم ، فالسب والشتيم واختلاق السوء والنقيصة ، كل ذلك يكشف عن حقد أربابه أكثر مما يدل على منهجيتهم وتفكيرهم ، وما علم أن مسلما صادق الاسلام أصفى بتجرد الى الشتيمة التي يسمها في حق رسوله

على الأبراس

للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

رددها كثيرا الزعيم الشيوعي الايطالي (تولياني) وهو يملئ وصيته الاخيرة قبل أن يلفظ أنفاسه .
طريقة تقول : الشريعة الاسلامية عظيمة ، ومن أبرز مظاهر عظمتها أنها تقوم على قاعدة رائعة تتسع لجميع التشريعات الحديثة التي تفرضها الحضارة والعصر الحديث ألا وهي :
تبدل الاحكام بتبدل الأزمان !! ..
وتقول : ليس ثمة وثيقة خلدها العرب فخلدت أمجادهم أعظم من القرآن ! .. وحسب الرسول نبوغا في العقل والفكر أنه قد ترك من ورائه هذا الكتاب ! ..
وتقول : لم تقم أمة بثورة فكرية

وكتاب ربه ، فهده ذلك الى ترك دينه الحق واتباع الشائمين فيما يشتمون وينتقصون ! .. بل المعروف أن كل ذلك لم يزد المسلمين الا يقينا بدينهم وتحفظا من أعدائهم .

الثناء الساخر ، او المديح الكاذب :

لقد استبدل أقطاب الغزو الفكري اذا بطريقتهم العتيقة طريقة جديدة سواها ، فما هي ؟ ..
انها طريقة الثناء الساخر ، او المديح الاجوف الكاذب ، طريقة تستهدف استغلال الطاقة الاسلامية بدلا من الجهد الضائع المبذول في تحطيم الطاقة الاسلامية ! .. طريقة

لقد وقف مدرس يحترف التشكيك بالاسلام وعقائده ، امام تلاميذه ذات يوم ، وراح يسألهم : ايها اليق في حق محمد عليه الصلاة والسلام ؟ ان نقول انه ابداع هذا التشريع العظيم والكتاب المعجز البليغ من فكره النافذ البصير ، ام ان نقول انه ليس الا ساعى يريد حمل هذا كله الى الناس دون ان يكون له اى حكم او رأى فيه؟ قال ذلك وهو يحسب انه قد اصطاد بقوله الخادع هذا ايمان الصغار وعقيدتهم . ولم يكن يتوقع بكل ما لديه من شخصية المعلم العاقل ان يقوم اصفرهم سنا فيقول : ايها اليق واكرم بحق محمد عليه الصلاة والسلام ؟ ان نقول انه كاذب يأتفك على الله ما لم يقله ولا اذن به . ام ان نقول انه صادق امين لم يأتفك على خالق ولا كذب على مخلوق؟! ..

لقد كان المنطق والمقياس العلمى بجانب الصغير الذى قام اسلامه على دراسة وعلم . وكان الدجل والخل بجانب المعلم الكبير الذى قام احترافه لحرب الاسلام على مجرد شهوة نفسية فارغة .

الخديعة الكبرى :

ومع ذلك . فان الطريقة الجديدة فى حرب الاسلام ، ماضية فى سبيلها ، على امل ان دوام التلبيس على الحق قد يمزجه أخيراً بالباطل ، فلا يتبين هذا من ذاك ، وتضيع بينهما موازين المنطق والعلم .

وتؤلف الطريقة الجديدة صورة خادعة كبرى تقف عندها وتردد لها وتتصرف فى تكرارها بكل الاساليب الممكنة ، على امل ان تميع عقيدة المسلمين بنبوته نبيهم محمد عليه الصلاة والسلام .

شاملة على قديمها البالى كثورة الجزيرة العربية على جاهليتها البالية ، ولم يقم فى التاريخ العالمى ثامر انعكست عليه تطلعات امته وقومه ، كمحمد العربى اذ تجسدت فيه ثورة الجزيرة العربية كلها ! ..
أجل .. هذه هى الطريقة الحديثة طريقة الثناء الساخر . والمديح الاجوف الكاذب . عسى رجل يصدق .. فتلفه النشوة . ويسكره المديح ممن لم يكن يتوقع منه المديح .. فتسترق اليد العابثة عقيدة الاسلام من قلبه . وتصوغ له فى مكانها عقيدة فارغة لها من الاسلام شكله وهيكله . وليس لها من جوهره الاصيل شىء ! ..

المنطق العلمى هو العاصم السليم :

ولكن فلنتساءل : اى قدر من النجاح احرزته هذه الطريقة الحديثة ؟

والجواب : ان اى قدر من النجاح لا يتراءى فى هذا السبيل الجديد . فلئن كانت ردود الفعل هى المعصم الواقى ضد الطريقة القديمة ، فان المنطق العلمى النير هو العاصم السليم ضد الطريقة الحديثة .

ومن ابرز مزايا الاسلام ، انه يقوم فى مبادئه الاعتقادية ، وقواعده التشريعية على موازين المنطق والمنهج العلمى ، ولذلك لم تكن مقابلة الدين بالعلم الا سخافة لا معنى لها ، فى دائرة الاسلام وحكمه .

فلا الثناء الذى يهدف الى العبث بمبادئه يضر ويخدع .. ولا الحرب المباشرة لكتابه ، او سيرة نبيه تصد عن الايمان بهما والخضوع لسلطانها اذ كان ضياء العلم الخالص المجرى ، هو الهادى الى سبيل الاسلام ، وهو ضياء تنحط دونه جميع المساعى الخادعة مهما كان لونها .

الفكر الدينى الجديد أتم ما يكون
النضج ! .. أى أن العرب كانوا قبل
ثلاثة قرون — مثلا — من بعثة الرسول
عليه الصلاة والسلام ، مستغرقين فى
حمأة الوثنية والشرك ، فلما طال
بهم العهد وحان وقت البعثة كانوا
قد استيقظوا الى عقيدة التوحيد
ودبت فيهم روح الثورة على تقاليدهم
القديمة ! ..

فهل هكذا يقرر التاريخ فى أبسط
الف بائه التى يعرفها أطفال
المدارس؟! ..

ان كل من سمع باسم التاريخ
العربى يعلم ان أمر العرب والوثنية
جار على عكس ما يزعمه هؤلاء تماما
.. فقد كانوا قبل بضعة قرون من
بعثته عليه الصلاة والسلام يؤمنون
بالحنيفية السمحة التى بعث بها أبو
الانبياء ابراهيم عليه الصلاة والسلام
ولا يبتغون بعقيدة التوحيد بديلا ،
فلما تطاول عليهم الزمن ، تسللت
اليهم أفكار الوثنية من جهة الروم ،
ثم أخذت تنتشر بينهم بعامل الجهل
والامية وبعد العهد ، حتى أطبقت
عليهم ظلمات الشرك ، اللهم الا بقايا
لمع كانت تظل تبرق هنا وهناك ،
فعندئذ أكرم الله العالم ببعثة نبيه
محمد عليه الصلاة والسلام ليخرج
الناس من ظلمات الشرك والكفر
ويعيدهم الى ضياء الايمان
والتوحيد .

عمرو بن لحي الخزاعى ، وكيف

انتشرت الوثنية فى الجزيرة العربية :

وايضاح ذلك — وهو شىء واضح
معلوم فى جميع كتب التاريخ — أن
عمرو بن لحي بن قمعة (وهو جد
قبيلة خزاعة) خرج من مكة الى الشام
فى بعض أموره ، فلما قدم (مآب)

فمحمد صلى الله عليه وسلم ،
فيها ترسمه هذه الصورة ، ثائر من
هؤلاء الثوار الذين تتجمع فى
أشخاصهم تطلعات أقوامهم وأمانيتهم ،
فيضفرون سبيل التاريخ ، وينسخون
تيارا اجتماعيا بآخر ، ويقيمون منهجا
من التقويم والاصلاح سرعان ماتخضع
له أممهم بثتى وسائل السلم
أو الحرب .

انه — فيما ترسمه هذه الصورة —
ثائر يغلى دم الثورة حارا فى عروقه ،
ظهر بين قومه فى عهد هرمت فيه
تقاليد الجزيرة العربية من وثنية
وأوضاع اجتماعية فاسدة ، وفتحت
فيه العقول على سخافات الشرك
وعبادة الاوثان ، واخذت تنزع الى
سبيل ما تتخلص به من تبعات
القرون وآثار الماضى السحيق . وكما
هى العادة فى كل أمة وعند كل
قفزة من قفزات التطور الاجتماعى —
فقد تجمعت هذه النزعات واتخذت
مثابتها فى نفس أقوى شخصية
عربية ظهرت فى الجزيرة العربية على
الاطلاق ، وما هى الا أن نضجت
فكرا ومنهجيا فى ذهنه ثم اشتعلت ثورة
وحماسا فى نفسه ، حتى قام بدعوته
الاصلاحية التى شاءت لها الظروف
أن تلبس لبوس الدين والحكم
الالهى !! ..

الف باء المنطق التاريخى :

وهذه الصورة تعنى أن الجزيرة
العربية فى العصر الجاهلى ، كانت
مرتفع رويدا رويدا عن سخافة
الوثنية والشرك ، وتقرب شيئا فشيئا
نحو عقيدة التوحيد والقيم الاسلامية
التي جاء بها محمد عليه الصلاة
والسلام ، حتى اذا جاء زمن البعثة ،
كأنت قد نضجت فى النفوس والعقول
نزعة التخلّى عن القديم البالى واصطفاء

وكان هؤلاء يعيشون فى غربة وعزلة عن اقوامهم . وكانوا يقلون مع الزمن ، وكانوا يشبهون فى مظهرهم وتجافى الناس عنهم وثباتهم على الحق الثابت القديم ، بقايا اطلال مهشمة لبناء خرب قديم مهجور ! ..

فلئن كان هؤلاء دعائم ثورة فكرية نشأت عند العرب وقادها محمد عليه الصلاة والسلام ، فلقـد كان فى الجزيرة العربية أضعاف تلك الدعائم قبل قرن او قرنين من بعثته عليه الصلاة والسلام ، فلماذا لم تقم الثورة الفكرية فى ذلك العهد ؟ .. وما الذى بطأها عن الظهور حتى تحطمت جميع دعائمها ما عدا بقايا محطة منها معزولة هنا وهناك !؟

وبتعبير آخر : ان فكرة التوحيد والنزوع الى فضائل الحنيفية السمحة التى هى دين الانبياء جميعا ، والتى كانت تظهر على شكل بقايا ضياء قديم فى عهد البعثة المحمدية ، لم تكن تبلغ عشر معشار تلك الفكرة ذاتها قبل قرنين او ثلاثة قرون من الزمن ، واذا فقد كان المفروض — حسب تصور هؤلاء الناس لمعنى النبوة والبعثة — ان تكون بعثته عليه الصلاة والسلام قبل الزمن الذى بعث فيه بعدة قرون واجيال فلماذا لم يكن الامر كذلك ؟ ..

انها شخصية رسول ! ..

ثم أين هى حصيلة الفكر الثورى الذى تجسد فى دعوة محمد عليه الصلاة والسلام ، خلال ثلاثة عشر عاما ، لم يجد خلالها من هذا الفكر الثورى الا الكيد المتواصل المطبق على دعوته وعقيدته ؟
وفيم يحتاج هذا الانسان الثورى

من ارض البلقاء — رأى اهلها يعبدون الاصنام (ولم يكن العرب يعلمون اذ ذاك شيئا عن الاصنام وعبادتها ، وكانوا جميعا على فطرة التوحيد والايمان بالله عز وجل) فقال لهم : ما هذه الاصنام التى اراكم تعبدون ؟ قالوا له هذه آلهة نعبدها نستمطرها فتمطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا ، فقال لهم : افلا تعطوننى منها واحدا فأسير به الى ارض العرب فيعبدوه؟ فأعطوه صنما يقال له (هبل) فقدم به مكة فنصبه وامر الناس بعبادته وتعظيمه (١) .

وهكذا انتشرت عبادة الاوثان فى الجزيرة العربية وشاع فى اهلها الشرك ، فانسلخوا بذلك عما كانوا عليه من عقيدة التوحيد ، واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره ، وانتهوا الى مثل ما انتهت اليه الامم الاخرى من الضلالات والقبائح فى المعتقدات والتقاليد والانفعال . واخذت هذه المظاهر كلها تزداد ضراوة وشيوعا كلما امتد بهم الزمن ، شأن سائر الامم والشعوب عندما يغشاها الجهل ، ويطول بها العهد ، ويندس بين صفوفها المشعوذون والمبطلون .

بقايا ضياء قديم لا ثورة فكر جديد :

غير انه بقيت فى العرب طائفة من الناس — كانت تقل مع الزمن — ظلت متمسكة بعقيدة التوحيد ، سائرة على نهج الحنيفية : تصدق بالبعث والنشور ، وتوقن بأن الله يثيب المطيع ويعاقب العاصى ، وتكره هذا الذى استحدثه العرب من عبادة الاوثان وضلالات الراى والفكر .
ولقد اشتهر من هذه البقية كثيرون كقس بن ساعدة الايادى ، ورتاب الشنى وبحيرا الراهب .

أن يستروا نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العقول بهذا الزعم الذى يناقض هذه الحقيقة مناقضة حادة بل ينطوى على عكسها تماما؟! ..

ان الذى يدعوهم الى هذا التجاهل العجيب ، إنما هو العصبية ! .. العصبية ضد الحقائق الدينية بكل ما تستلزمه من قيم وقواعد واحكام وتشريع ! ..

ولكن ما هى حساب أرباحهم من وراء هذه العصبية العمياء؟! ..

ان البائع الذى يتعصب ضد السعر الذى يفرضه المشتري ، ينبعث فى عصبية من الربح الذى يتوقعه ويطمع فيه . والجماعة التى تتعصب فى معركة الانتخابات لشخص ضد آخر تنبعث فى عصبيتها له من آمال المكاسب التى تعلقها عليه .

ولكن عن أى شىء ينبعث من يتعصب ضد بلاغ رب السموات والارض للصفوة المختارة من مخلوقاته؟! ..

ان رسالة الله الى عباده عن طريق المرسلين الذين ابنتهم اليهم واحدا اثر آخر ، يتضمن النبأ العظيم الذى يتعلق بمصيرهم جميعا ، ويحدد نهاياتهم المطلقة التى لا مناص منها ، فأى معنى غير معنى الجنون فى أن تتعصب طائفة من هؤلاء العباد ضدها؟! ..

شخصان يسيران فى مفازة مجهولة ، انتهى الى مفترق يقف على فم طريقين : أحدهما ينتهى الى هلاك لا ريب فيه ، والآخر ينفذ الى الغاية المطلوبة لهما ، فهل أمامهما من سبيل غير التعاون المطلق لمعرفة الطريق المطلوب ، وتجنب سبيل الهلاك ، حتى ولو كانا من قبل ذلك خصمين متخالفين ؟ .. وهل سمع أحد من

— على زعم الصورة المرسومة — الى أن يستنزل ثورته من السماء ، وهى إنما نبتت من أدمغة أصحابه وبنى عشيرته فى الارض ؟ .. وفيم يستعين لها بقرآن متلو ، وعقائد غيبية بدلا من أن يستعين لها بالثورة الفكرية التى تغلى فى دم قومه وأمته ؟ ..

وما حاجة هذا الانسان الثورى — اذا — الى أن يحيى لىالى عمره متنسكا ضارعا باكيا يحذر الآخرة ، ويرجو رحمة ربه ، وأن يوقظ من قلبه رقبيا دائما على جميع حركات نفسه وسكناتها فى سبيل أن لا يلقى الله غدا وهو عليه ساخط .

أقول : ما حاجة هذا الانسان الثورى الى شىء من هذا كله ، وهو إنما يتعامل برأس مال ورصيد من فكر أمته وبنى قومه ؟ ..

أشهد أن كل ذى عقل من البشر يدرك — اذا أراد أن يصدق — أنها شخصية نبي مرسل من عند الله ، لا شخصية زعيم تائر يستلهم الفكر مما عند الناس .

وأشهد أن كل ذى عقل من الناس يعلم — اذا أراد أن يصدق — أن محمدا عليه الصلاة والسلام جاء ليكون حجة على هذه الامة أولها يوم القيامة ، حتى لا يقول قائل : ما جاءنا من نذير . فقد جاءكم النذير ، ولكنكم أبيتتم الا أن تستقبلوا كلامه بعقول مقلوبة وبصيرة عوراء ! ..

أيها الناس تنبهوا جيدا ، فان مصيرنا

واحد ! ..

هذه الحقيقة التاريخية ، من الامور الواضحة التى لا يتعثر فى فهمها صغير ولا كبير ، فكيف يتجاهلها — مع ذلك — أولئك الذين يحلو لهم

اليه كتاب الله ، وتحملكم عليه سنة رسول الله ، وسيروا في الطريق التي لقي الله عليها أسلافكم ، لقد خافوا الله تعالى فخافهم كل شيء ، وجعلوا مهمهم تحقيق مرضاته فكفاهم الله تعالى جميع هموم الدنيا .

أما إن أبى كل صاحب رأى وهوى إلا مزيدا من العصبية لرأيه أو مصلحته وهواه . فليعلم أنه إنما يتعصب ضد ذاته هو ، وإلا فليرنى ثباته الدائم على عصبية هذه ! .. وليظل على هذه الحال الى أن يمتد منه الجسد الداوى على فراش الموت وترية عيناه الملك الموكل بقبض روحه والدنيا المطوية المنطلقة من حساب عمره ، والمصالح العاجلة التي غرته إذ كان يحسبها ماء فراتا ، ثم تظلت عنه إذ رآها سرايا باطلا ووهما مستحيلا .. !

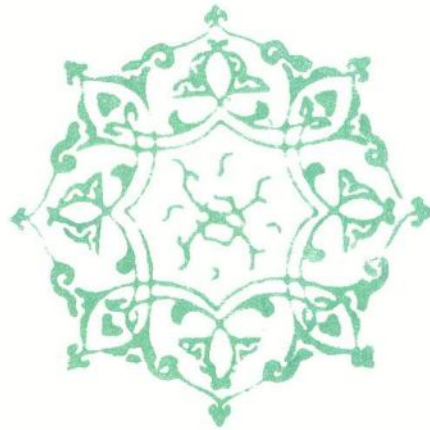
أيها الناس : اجعلوا من ذكرى مولد رسول الله ، مثابة عهد جديد تبايعون به نبيكم وتصطلحون به مع ربكم ثم انطلقوا في مجاهدة صادقة في سبيل مرضاة الله . قبل ان ينطوى عنكم بساط العمر ، ويبدو لكم من ورائه وادي الحسرة والندم .. ولات ساعة مندم .

الناس أن عاقلا اجتهد في معرفة الطريق السليم ، فلما واجهه صاحبه بالرأى السديد وبصره بخطئه ، أخذت منه العصبية مأخذها ، وأبى إلا التمسك برأيه ، ثم انحط يسير في طريق الهلاك ، حتى لقي حتفه آمنا مطمئنا ، لأنه أبى التبعية لغيره ، ولم يخضع لرأى غير الرأى الذي في رأسه ؟! ..

أيها الناس : أما والله ان بعثة محمد عليه الصلاة والسلام ، لم تكن عبثا من الأمر ، ولا ترفا في باب الزعامة أو الثورة أو الفكر ! .. وإنما جاء ليبلغ انذار الله لعباده على فترة من الرسل الذين جاءوا من قبله .

فانظروا في الكتاب النذير الذي تركه أمانة بين أيديكم ، وأمعنوا فيه الفكر محررا من كل عصبية وغرض وحقد ، فان الأمر متعلق بمصيرنا جميعا ، مصير هائل مخيف جدير أن يذوب تحت سلطانه جميع معاني المصالح الآنية والعصبية المذهبية والفكرية .

فان رأيتم أن الامر كذلك ، فأجمعوا أمركم واحزموا قواكم وانطلقوا صفا واحدا نحو تحقيق الهدف الذي يدعوكم



(١) سيرة ابن هشام : ٧٧/١ والاصنام لابن الكلبي : ٨ و ٩ وانظر ما كتب في هذا البحث مطولا في كتابنا فقه السيرة .

محمد ﷺ

في أبحاث المستشرقين الألمان

للشيخ : طه الولى

نفسه .
وفى عام ١٧١٠ ميلادية قرأ
المتحدثون باللغة الالمانية « ان محمدا
لا يبتعد عن التعاليم الكبرى للديانة
الحقيقية الاصلية . وقد قام أتباعه
بنشر هذه التعاليم الى أقصى شعوب
آسيا وأفريقيا . وفى كثير من البلاد
قام الاسلام بالقضاء على المعتقدات
الوثنية التى وقفت أمام التعاليم
الصحيحة عن وحدانية الله وخلود
الروح » وكان قائل هذا الكلام المتزن
والرأى الرصين هو الفيلسوف
الالمانى « لايبنتز » الذى شق أمام
أبناء جلدته من المستشرقين طريقا
مستقيما لدراسة شخصية محمد
صلى الله عليه وسلم فى ضوء العقل
والمنطق وبأسلوب العالم الذى

لا بد من القول بأن الصدام
التاريخى الذى وقع بين الشرق
الاسلامى والغرب المسيحى أثناء
الحروب الصليبية قد لفت نظر
الاوروبيين الى الاهتمام بكل ما يتصل
بالدين الاسلامى لا سيما بشخص
النبي صلى الله عليه وسلم نفسه
باعتباره مؤسس هذا الدين وحامل
لوائه الاول . وان شخصية الرسول
الاعظم ، عليه الصلاة والسلام
استقطبت فى جاذبيتها المبدعة أنظار
المستشرقين الالمان ، شأنهم فى ذلك
شأن غيرهم من المستشرقين الاجانب،
لان هؤلاء وأولئك وجدوا فى
دراستهم لمحمد صلى الله عليه وسلم
ما يكمل دراستهم للاسلام من خلال
القرآن الكريم . فوجهوا عنايتهم الى
هذه الشخصية العظيمة بنفس
الحرارة التى رافقت عنايتهم بالقرآن

يتحرى الموضوعية والانصاف فى ما يكتب عن الاسلام ورسوله .

غير المسلمين ، على انه بالفعل « رسول الله » .

ولم يلبث الطريق الذى شقّه لايفتقر ان وجد من يسلكه من بين الالمان ، ففي القرن الثامن عشر كتب « ليسينغ » اكبر الشعراء والنقاد فى زمانه يقول :

« اننى واثق من أنه بين هؤلاء الذين يرون أن الديانة « التركية » (ويعنى بها الاسلام) هى السبب ، أو هى التى تتحمل الذنب فى هذا أو ذاك ، هم أقل من قرأوا القرآن .

وانه أيضا من بين الذين قرأوه لا يوجد الا عدد قليل جدا حاول أن يعطى كلماته المعنى الصحيح . واننى واثق أنه لو كان فى نيتى أن أقوم بهذا العمل لاستطعت أن أعرض أهم ما فى الديانة الطبيعية فى القرآن بوضوح ، كما اننى أعتقد أن كل مفكر يوافقنى على أن كل المبادئ الرئيسية فى تعاليم محمد ، تتبع من الديانة الفطرية الطبيعية . »

ولم يأت القرن التاسع عشر للميلاد حتى رأينا الدكتور جوستاف فاييل يصدر دراسة كاملة تناول فيها المسيرة النبوية الشريفة حرص فيها على تقديم صورة يركن الى صحتها عن المرحلة الاولى لظهور الاسلام ، ومن حسن الحظ فى دراسته هذه أنه اعتمد على مصادر كانت أفضل بكثير من تلك التى اعتمد عليها الذين كتبوا عن حياة النبى صلى الله عليه وسلم من قبله . وقد انتهى فاييل من دراسته المذكورة ، الى الاقتناع بأن محمدا يمكن أن ينظر اليه من جانب

ومنذ ذلك الحين أخذ المستشرقون والادباء الالمان بدراسة النبى صلى الله عليه وسلم واحتلت هذه الدراسة مركز الصدارة فى علوم الاستشراق بين الالمان . وعندما ألف الشاعر الفرنسى الكبير « فولتين » مسرحيته الضخمة « محمد النبى » سارع الادباء الالمان الى ترجمتها الى اللغة الالمانية ، وما زالت الترجمة التى وضعها الشاعر الالماني الكبير « غوته » سنة ١٨٠٠ ميلادية تعرض على المسارح الالمانية حتى اليوم .

على أن غوته لم يكتف بترجمة مسرحية فولتير عن « محمد النبى » بل أنه وضع هو نفسه « الانشودة الثنائية بين على وزوجته فاطمة التى اشتهرت بعد ذلك باسم « انشودة محمد » وفيها يصور هذا الشاعر الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم على أنه « النموذج الاعلى للانسان الذى ملأ الله عليه قلبه وحياته ، وأنعم عليه وطهره واصطفاه ليؤسس الديانة الكبرى » وتدور أحداث هذه الانشودة حول النبى صلى الله عليه وسلم وهو بعد فى صباه يقف على ملتقى الطرق بين الافكار الدينية المختلفة ويكافح من أجل الايمان والاعتقاد بآله واحد « وفيها يشبه غوته النبى صلى الله عليه وسلم بنهر عارم مطرد ، يجرف أمامه كل شىء ويقتلع ما يصادفه معه ويندفع به بقوة الى الاله الابدى .

ولقد سُفلت شخصية محمد صلى الله عليه وسلم شاعر المانيا الكبير غوته طوال أيام حياته . فعندما صنف كتابه « الديوان الشرقى الغربى »

للوثنية وعباده الأصنام وإيمانه الحاد
بمبدأ الإله الواحد ، وعبادة الله
بنقاء فى عمل الخير » .

وفى هذا العصر بالذات جاء
المستشرق الالمانى الكبير « يوسف
فون هامر » - بورشتال «

فوضع ، حوالى سنة ١٨١٨ كتابا جمع
فيه سير الخلفاء والامراء والملوك
الكبار ونشر فى نحو خمسين مقالة
تحت عنوان « أيوان الصور لحكماء
المسلمين الكبار فى القرون السبعة
الاولى للهجرة » وفى هذه المقالات
يعالج فون هاير سير الملوك
المشهورين فى بلاد الاسلام مبتدئا
بمسيرة الرسول الاعظم صلى الله عليه
وسلم الذى قال فيه :

« يجب أن نتمسك بوجهة نظر
أن محمدا لم تكن تدفعه مجرد تلك
الفكرة العظيمة وحدها ، فكرة اخراج
قومه من ضلال تعدد الالهة ، وهداية
هؤلاء القوم الى الصراط المستقيم
واعادتهم الى الايمان بالاله الواحد
بل أنه كان يمتلكه أيضا شعور دينى
حى . واقتناع ذاتى بالوحي الالهى
الذى ينزل به الروح الامين على قلبه
وكان على ايمان عميق ، شأنه فى
ذلك ، شأن سابقيه من الانبياء
الآخرين بأنه ارادة السماء بأخذ أمته
فى طريق الهدى والصراط المستقيم ،
انه واحد من مؤسسى الاديان الثلاثة
الكبرى التى نشأت فى مصر وسورية
والجزيرة العربية ، وانتشرت فوق
سطح الكرة الارضية بكاملها ، وهو
خاتم النبيين . »

ولفون هامر كتب اخرى فى
الاسلام والنبي محمد صلى الله عليه
وسلم من ذلك القصائد الشعرية التى

فانه ضمن هذا الديوان اكثر من
اثنى عشرة قصيدة تدور كلها حول
محمد وتعاليمه ودعوته الدينية .

والى جانب غوته نجد شاعرة
المانية اخرى تتناول بقصائدها
شخصية النبي محمد صلى الله عليه
وسلم فى كتابين صدر أولهما سنة
١٨٠٤ تحت عنوان « حلم محمد فى
الصحراء » والثانى صدر فى سنة
١٨٠٥ تحت عنوان « محمد ، نبى
مكة » على أن هذه الشاعرة قدمت
النبي صلى الله عليه وسلم فى صورة
الناسك الزاهد متأثرة بما علق فى
ذهنها من حياة الزهاد والنسك
النصارى . الامر الذى أدى الى
فشلها فى اجتذاب الجمهور الى
الاهتمام بعملها .

وفى سنة ١٨١٥ جعل الشاعر
براون مسرحيته التى كتبها بأسلوب
كلاسيكى ، تحت عنوان « وفاة
محمد » وقد صور فيها هذا الشاعر
وفاة النبي صلى الله عليه وسلم
متأثرا بفعل السم الذى وضعته له
فى طعامه احدى النساء من الكفار .
وقد اعتمد براون فى ذلك على بعض
الاقوال القديمة التى تزعم بأن النبي
صلى الله عليه وسلم قد توفى فعلا
بالسم ، مع العلم بأن هذه الاقوال
لا ترقى الى درجة اليقين التاريخى .

وفى غضون القرن التاسع عشر
تضاعف عدد الالمان الذين عرفوا
بدراسة الاسلام بصورة عامة
وبالكتابة عن شخصية النبي عليه
الصلاة والسلام بصورة خاصة .
فنجد باعث الحركة الادبية فى هذا
القرن يقول :

« إن الدافع فى مجرى حياة محمد
النبوية ، كان نفوره وبفضه التام

نظمها سنة ١٨٠٦ تحت عنوان « نفير
الجهاد » وصور فيها النبي الكريم
داعية عظيما للجهاد في سبيل الله .

وفي سنة ١٨٢٣ ندب هامر نفسه
للرد على ما جاء في مسرحية فولتير
من تهجمات على شخصية النبي عليه
السلام فألف كتابا تحت عنوان « محمد
أو محاصرة مكة » تحدث فيه عن
فتح النبي صلى الله عليه وسلم لمكة
المكرمة .

وقد ادت حركة النقد التي تعرضت
لها الديانة المسيحية في القرن التاسع
عشر الى الاهتمام الزائد بالاسلام
وصاحب رسالته . فالف « دواير »
في سنة ١٨٤٨ ديوانا أسماه « محمد
واعماله » حاول فيه المقارنة بين
كبرياء المسيحية وترفعها الروحي
وبين بساطة الاسلام ويسره واتفاقه
مع الطبيعة السمحة . وتوالى في هذه
الفترة المؤلفون الالمان الذين تناولوا
بالكتابة سيرة النبي عليه الصلاة
والسلام من ذلك « دولر »
الذي كتب « قصصا تاريخية »
ونشرها في سنة ١٨٤٤ تحدث في
هذه القصص عن نشأة محمد عليه
الصلاة والسلام وتطوره حتى
مرحلة النبوة وذلك بأسلوب رومانتيكي
جذاب . وكذلك أصدر كل من الكاتبين
شافها يتين وفون دير بفوردين ، كتبا
وقفا فيها موقفا ايجابيا مؤيدا للنبي
العربي الكريم .

ولم يقف اهتمام المستشرقين الالمان
عند تأليف الكتب في هذا الصدد ، بل
أن بعضهم عمد الى نشر ما ألف في
القصة العربية من كتب السيرة النبوية
الطاهرة كما فعل المستشرق الالمانى
فرديناند وستنفيلد الذى

أصدر سنة ١٨٦٠ سيرة ابن
هشام بنصها العربى ثم قفى عليه
المستشرق « فايل » سنة ١٩٦٤
بترجمة هذا الكتاب التاريخى الهام
من العربية الى اللغة الالمانية .

أما المستشرق الالمانى الكبير تيودور
نولدكه فانه أصدر كتابا قائما
بذاته تناول فيه شخصية النبي
صلى الله عليه وسلم ودعوته
وأطوار حياته تحت عنوان :
« حياة النبي محمد » كما شارك في
الإشراف على طبع « تاريخ الطبرى »
وترجمته الى الالمانية .

ويقول نولدكه في كتابه الذى
وضعه عن سيرة النبي صلى الله
عليه وسلم :

« أننا لكى نصدر حكما صحيحا
وعادلا على محمد ، يجب أن لا نتأمله
فقط في حياته كنبى وداع وحاكم ،
بل نتأمله أيضا في حياته ومعاملاته
مع اتباعه وأصدقائه ، وفي حياته
اليومية . فان عددا لا يحصى من
الشواهد والادلة الصادقة يبرز
صورته في ضوء بهيج . أما ما يقال
عن أخطائه فانه يجب على المرء أن
يعرف انها لم تكن أخطاؤه هو ، بل
هى الى أكبر حد أخطاء عصره وشعبه
. وانه كان يملك أنبل الخلق والإيمان
برسالته في العودة بالناس الى الدين
الصحيح ينجيهم من العذاب المقيم
ويمكنهم من نعيم السماء » .

وهكذا ، فلقد توالى بعد ذلك
اهتمام المستشرقين الالمان بهذا
النوع من الدراسات التى وجدت
أهتماما ملحوظا في المانيا بصورة
خاصة ، حيث لم يعد محمد صلى

الله عليه وسلم فى نظر العلماء
الالمان من المعنيين بالدراسات
الاسلامية ، مجرد وثن أسطورى
يعبده المسلمون الاغبياء ولا نبيا كاذبا
خداعا يضل الناس عن جادة الحق
والصواب ، كما كان يصوره أحبار
الكنيسة والدائرون فى فلكها المتزمت
سابقا ، بل أصبح النبي عليه الصلاة
والسلام فى نظر الالمان ، انسانا
جديرا بكل احترام وتبجيل
« لانه جاء بدين ينطوى
على اجود الآراء وأحسنها »
كما كان يقول المستشرق الالماني
القديم « غ » بوستل وهو يعظ الناس
المتألمين حوله عند جسر رياتو .
بالبنديقية فى أواسط القرن السادس
عشر للميلاد ..

واننا لنجد فى مؤسسات الابحاث
الاسلامية المنتشرة اليوم فى طول
البلاد الالمانية وعرضها العديد من
الدراسات المفيدة سواء فى حياة

النبي صلى الله عليه وسلم شخصيا
أم فى سيرة صحابته الكرام رضوان
الله تعالى عليهم ، وآخر هذه
الدراسات كما يقول الدكتور البرت
ديتريش فى كتابه « الدراسات
العربية فى المانيا » آخر هذه
الدراسات هو الكتاب الذى ألفه
الدكتور روى باريت تحت عنوان
« محمد والقرآن » ..

ويحسن بنا أن نختم هذا الحديث
بالإشارة الى أن « كل الاعمال
الادبية التى قامت فى المانيا مع
غوته وبعده حول شخص النبي صلى
الله عليه وسلم ، حاولت وبذلت
جهدا لى تقدم صورة صادقة عنه
بقدر امكانها ، وان تقرب هذه الصورة
بقوة الى القارئ الالماني ، وانها
جميعها تقر وتعترف عن قناعة وتجرد :
« بأن محمدا عليه الصلاة والسلام هو
نور الله الداعى الى الحق والهدى » .



مائة الفارسي

« جعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصفار
على من خالف أمري » .

(رواه البخاري)

زوجات الرسول

- ١ - خديجة بنت خويلد رضی الله عنها .
- ٢ - سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية رضی الله عنها .
- ٣ - عائشة بنت أبي بكر الصديق رضی الله عنها .
- ٤ - حفصة بنت عمر بن الخطاب رضی الله عنها .
- ٥ - زينب بنت جحش الأسديّة رضی الله عنها .
- ٦ - هند أم سلمة بنت أبي أمية المخزومية رضی الله عنها .
- ٧ - جويرية بنت الحارث رضی الله عنها .
- ٨ - صفية بنت حيي بن أخطب وهي من ذرية هارون عليه السلام . رضی الله عنها .
- ٩ - أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان الأموية رضی الله عنها .
- ١٠ - ميمونة بنت الحارث الهلالي رضی الله عنها .
- ١١ - زينب بنت عبد الله المعروفة بأم المساكين رضی الله عنها ، وقد توفيت والسيدة خديجة في حياته صلى الله عليه وسلم .

مراتب الوحي

- ١ - الرؤيا الصادقة ، وكانت مبدأ وحيه صلى الله عليه وسلم .
- ٢ - ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه .
- ٣ - كان الملك يتمثل له رجلاً فيخاطبه حتى يحفظ عنه ما يقول .
- ٤ - كان الملك يأتيه في مثل صلصلة الجرس ، وكان أشده عليه .
- ٥ - كان يرى الملك في صورته التي خلق عليها فيوحى إليه ما شاء الله أن يوحيه .
- ٦ - ما أوحاه الله إليه وهو فوق السموات ليلة المعراج من فرض الصلوات وغيرها .
- ٧ - كلام الله له بلا وساطة ملك كما كلم الله موسى بن عمران .

حاضنات النبي

أمه آمنة بنت وهب ، وثويبة ، وحليمة والشماء ابنتها ، وأم أيمن بركة الحبشية .

« محمد رسول الله والذين معه أشدء على الكفار
رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من
الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » .
(قرآن كريم)

كتاب النبى

أبو بكر وعمـر وعثمان وعلى
والزبير وعامر بن فهيرة ، وعمرو بن
العاص وأبى بن كعب ، وعبد الله بن
الأرقم ، وثابت بن قيس ، وحنظلة
ابن الربيع الأسدى ، والمغيرة بن
شعبة ، وعبد الله بن رواحة ، وخالد
ابن الوليد ، وخالد بن سعيد بن
العاص ، وقيل أن أول من كتب له
معاوية بن أبى سفيان وزيد بن ثابت .

مؤذنو الرسول

كانوا أربعة ، اثنان بالمدينة . بلال
ابن أبى رباح وهو أول من أذن لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وعمرو بن
أم مكتوم القرشى العامرى الأعمى .
وأذن له بقباء سعد القرط مولى عمار
ابن ياسر ، وأذن له بمكة أبو محذورة
واسمه أوس بن المغيرة الجمحى .

خدم النبى

- ١ — أنس بن مالك ، وكان على
حوائه .
- ٢ — عبد الله بن مسعود صاحب
نعله وسواكه .
- ٣ — عقبة بن عامر الجهنى صاحب
بغلته .
- ٤ — أسلع بن شريك صاحب
راحلته .
- ٥ — بلال بن رباح .
- ٦ — أبو ذر الغفارى .
- ٧ — أيمن بن عبيد وكان على
مطهرته وحاجته .

أولاد النبى

القاسم ، ثم زينب ، ثم رقية ، ثم
أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم عبد الله ،
وكلهم من السيدة خديجة .
ثم ولد له إبراهيم بالمدينة — من
السيدة مارية .

أعمام النبى

حمزة بن عبد المطلب ، والعباس ،
وأبو طالب واسمه عبد مناف ، وأبو
لهب واسمه عبد العزى ، والزبير ،
وعبد الكعبة ، والمقوم ، وضرار ،
وقثم ، والمغيرة ولقبه حجل ، والعيذاق
واسمه مصعب .
ولم يسلم منهم الا حمزة والعباس .
وأسن أعمامه الحارث ، وأصغرهم
العباس .

سلاح النبى

كان له صلى الله عليه وسلم تسعة
أسياف وهى :
ماثور ، والعضب ، وذو الفقار ،
والقلعى ، والبتار ، والخنف ،
والدسوب ، والمخزم ، والقضيب .
وكانت له سبعة أدرع وهى :
ذات الفضول ، وذات الوشاح ،
وذات الحواشى ، والسعدية ، وفضة
والبراء ، والخرنق .

مَوْلِدُ الْأَعْمَلَامِ

مهرزنده

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

- ١ -

فى كل كائن عنصر يندس فى كيانه ، ويضهر فى وجوده .. هذا العنصر هو سر بقائه ، وحافظ نظامه ، وروح ذاتيته ، ومختصر حقيقته ، سواء فى هذا ما كان من عوالم السماء ، أو عالم الأرض .. ابتداء من الهباءة والذرة ، الى النجم ، والمجرة ، ومن الانسان غى شخصه الى الانسانية كلها فى امتداد زمانها ومكانها ..

فالكائن الحى — مثلا — حين يكشف عن سره ، ويصرح عن مكنونه ، نراه يعرض فى معرض الحياة وجوده كله مختصرا فى مولود من مواليدته ، أو فى آية من آيات خلقه وابداعه ..

فاذا وقف بنا النظر عند شاعر مثلا ، رأيناه مشخضا فى مرآة ديوان شعره ، الذى يضم قصائده ومقطعاته ، ثم رأيناه فى صورة أدق وأوضح فى قصيدة أو مقطوعة ، هى عين شعره ، وبييمة درره ، ثم رأيناه آخر الامر مجسدا فى بيت ، هو بيت القصيد كله ، فى ديوان شعره !!

ويؤدى بنا هذا الى القول بأن فى كل أمة ، من عالم الانسان ، أو الانعام ، والدواب ، والطير ، وليدها وبيت قصيدها ، الذى تتمثل فيه كل وجودها ، وتستشعر منه نبض حياتها ، وتتلقى عنه — حاضرا أو غائبا — مثلها الاعلى الذى يراود أحلامها ، وتدور فى فلكه آمالها ..

فاذا كان ذلك كذلك فى الكائنات الحية ، فانه فى الكائن الانسان اصرح وأوضح ، سواء ذلك فى ذات الانسان الفرد ، أو فى محيط الاسرة والقبيلة ، أو فى دائرة الشعب والامة .. حيث لا تخلو أمة من الامم ، أو شعب من الشعوب ، من مولودها الذى تجتمع فيه خصائصها ، وتتخلق فى كيانه عناصر تكوينها المادى والروحى والعقلى جميعا .. وفى الامة اليونانية « أرسطو » وفى الامة الانجليزية « شكسبير » وفى قديم الامة الهندية « بوذا » وفى حديثها « غاندى » .. وهكذا ..

انسان الانسانية ورقي الانبياء

للاستاذ عبد الكريم الخطيب

وطبيعي أن يتولد من هذا المنطق الذي تحكم به الطبيعة كائناتها ، أن يولد في الانسانية المولود الذي يكون قمة الجنس البشرى كله ، حيث ينتهي اليه كمالها ، وتستوفى به غاية حظها ، فيما تحلم به من سمو ، وفيما تنزع اليه من كمال ورقى .. وأحسب أن هذه حقيقة لا يمارى فيها كثير من الناس ، فان يكن ثمة افتراء أو خلاف ، فهو في هذا الانسان : من يكون ؟ ومن تكون الامة التي ولدته ؟ وما الظرف الزماني الذي ظهر في كوكبه ، ولع في أفقه نجمه ؟

- ٢ -

والامة الاسلامية على ايمان واجماع بأن « محمدا » النبي العربي ، الذي ولدته الامة العربية في مكة البلد الحرام ، وعلى بضع خطوات من البيت الحرام - أول بيت لله وضع للناس على هذه الارض - الامة الاسلامية ، على ايمان واجماع بأن « محمدا » هذا ابن عبد الله ، بن عبد المطلب ، العربي ، القرشي ، هو مولود الانسانية ، الذي حملته في ضميرها ، وغذته بمجاجة وجدانها ، وعصارة عقلها ، وتنقلت به عبر الاجيال والازمان ، على امتداد حياتها الضاربة في أعماق الزمن ، حتى جاءها المخاض به في اليوم الموعود ، والمكان المشهود ، فأخذها منه ما يأخذ الامهات لحظة الولادة ، وما يسرى في كيانها من مشاعر الرهبة والخوف ، وخفقات الرجاء والامل .. وهكذا تنازع الوجود كله لحظة هذا الميلاد ، ومن بين يديه ومن خلفه ، رهب ورغب .. فرجفت قلوب ، وخفقت قلوب ، وغامت وجوه ، وأسفرت وجوه .. وكان صباح ، وكان مساء ، واذا بين يدي الناس في كل أفق شاهد مبين ، من هذا النبأ العظيم !!

فاذا تحدثت أخبار السيرة النبوية عن ميلاد الرسول الكريم ، وما واكب هذا الميلاد من ارهاصات تنبىء عن أمر عظيم قد وقع ، أو هو وشيك الوقوع ، من شأنه أن يتغير به وجه الحياة كلها ، وتتحول به كثير من أحوال الناس فى المشارق والمغرب — اذا تحدثت كتب السيرة عن كثير أو قليل من تلك الارهاصات التى واكبت مولد النبى ، فليس ذلك بمنكور أن يحدث كله ، أو بعضه ، على صورة مطابقة ، أو مقاربة لما تحدثت به هذه الكتب ، وما صورته تلك المرويات !

فغير مستبعد أن يكون قد حدث فى زمن الميلاد ما تحدثت به كتب السيرة النبوية ، من تصدع ايوان كسرى ، وخمود نار فارس . وذهاب ماء سادى ، وغير ذلك مما قل أو كثر ، من هذه الاخبار التى تضاف الى عوالم الجماد ، فلا يحمل ذلك على محمل الخيال الشعري ، أو الحماس العاطفى ، فان ذلك إلا يكن قد حدث كله أو بعضه على الصورة التى تحدثت بها كتب السيرة ، فانه جدير أن يحدث ، ان لم يكن فى أعراض هذه الكائنات وهيولها ، ففى صميم جوهرها وحقيقتها !!

واذا صح أن يقع مثل هذا فى عالم الجماد من ذلك النبأ العظيم ، فان وقوعه فى وجدان الناس ، وفى شعورهم ، وعلى مسرح أحلامهم ، ومسبح رؤاهم ، أمر ينبغى التسليم به ، وترك المماراة والجدل فيه ..! ان فى النفس البشرية ، قوى استطلاعية متخفية ، لا يملك الانسان سلطانا عليها ، فلا تستجيب لاستدعائه ، ولا تعطيه شيئا حين يطلب اليها أن تعطيه مما عندها .. وانما هى فى ذات الانسان سلطان لا سلطان عليه ، تظهر حين تشاء ، وتعطى كيف تشاء ، ومتى تشاء !

هذه القوة المندسة فى أعماق الانسان يجد كل انسان بعض آثارها فى حياته ، على اختلاف هذه الآثار ، كثرة وقلة ، وقوة وضعفا ، ووضوحا وخفاء ..

ولو رصد الانسان — أى انسان — معطيات هذه القوة الكامنة فيه ، لوجد فيها اسرارا عجبا ، تحار لها العقول ، وتعجز عن تأويل اسرارها الأفهام ..

فكم من مرة يلقى فى روع الانسان أن أمرا ما قد وقع أو سيقع على صفة ما ، ثم يقع على تلك الصفة التى استشعرها هذا الانسان استشعارا ، وتظناها تظنيا ، دون أن يكون بين يديه شاهد منها ، أو نبأ عنها !

وكم من مرة ترسم فى مخيلة الانسان صورة لشخص ما ، من غير أن يكون له فى تلك اللحظة ، مكان فى خاطره ، أو مدار فى تفكيره ، ثم اذا بهذا الشخص يطلع عليه ، على غير انتظار ، أو توقع ؟
وكم وكم من هذه الرؤى فى اليقظة أو فى المنام يراها الانسان رأى العين ، أو يجد مسها فى خفقات قلبه ، أو مسارب تفكيره ، أو خطرات نفسه ؟

ثم ان لهذه القوى الاستطلاعية فترات تستيقظ فيها ، فيكثر تحديثها الى الانسان ، ويعلو صوتها الخفيض بين جوانحه ، كما أن لها فترات تخمد فيها جذوتها ، ويفتر نشاطها ، ويخرس لسانها ..

وللاحداث ذات الاثر التى تنتظر الانسان فى خاصة نفسه ، أو تنتظره مع الناس — فى دائرة تضيق أو تتسع — لهذه الاحداث المقبلة أثرها فى تحريك هذه القوة الاستطلاعية فى الانسان . وفى انبعائها من مكانها ، لتؤدى وظيفتها فى الوقت المناسب ، كدعوة للانسان بالتهيؤ والاستعداد ، للقاء هذا الطارق الذى يوشك أن يدخل من غير استئذان . . .

فاذا كانت الاحداث ذات طابع ثورى حاد ، تنقلب به الاوضاع القائمة فى الحياة ، ويتحول به سير الامور على غير الوجهة التى هى عليها — كان ذلك مما يهيج هذه القوة الكامنة فى الناس ، ويحرضها تحريضا قويا على تشيم بروق هذه الاحداث ، وتتنسم ارواحها . وتفتح خياشيمها على مهايبها ، فتلقاها قبل أن تولد فى الواقع الذى يعيش فيه الناس . وتكشف عن وجهها قبل أن تقع عليها عين ، أو تلمسها يد !

وفى القرآن الكريم مثل واضح لهذا ، وهو ما كان من رؤيا فرعون التى جاءت فى قوله تعالى : « وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات » . . . فلقد رأى فرعون فى هذه الرؤيا أن أمرا خطيرا سيقع ، ولكنه لم يدر هو ، ولا الملا من حوله ، تأويل هذه الرؤيا ، حتى كان يوسف — عليه السلام — هو الذى عرف دلالة هذا الحلم ، ودل على تأويله . . .

وحلم فرعون هذا ، ليس الا ارهاصا بالاحداث التى كانت ستستقبلها مصر ، ويتأثر بها أهلها . . . واذا كان فرعون هو القائم يومئذ على أمر البلاد والعباد ، فان ما يطرقه من تلك الاحداث المقبلة أكثر مما يطرق غيره من الناس ، ولهذا وقع فى نفسه هذا الاحساس الخفى ، الذى تحول الى حلم فى المنام ، ثم الى خبر فى تأويل يوسف له ، ثم الى واقع فيما جاءت به الايام ، بعد سبع سنين !!

ولك أن تسمى هذه القوة ، حاسة غير الحواس الخمس المعروفة ، خفية ، مهمتها أن تستقبل — أحيانا ، وليس فى كل حين — ما لا تستطيع الحواس المعروفة استقباله من أنباء وأحداث مقبلة . . .

ففى المرصد — مثلا — أجهزة تنبىء عن العاصفة قبل أن تجيء ، وعن الهزات الارضية قبل أن تقع فى حواس الناس . . . انها فى هذه الاحوال لا تخلق العاصفة ، ولا تصنع الهزات ، وانما كل ما فى الامر ، أنها ادق حسا ، وأسرع وأسبق تأثرا من تلك الاجهزة الكائنة فى الانسان . . . وعملها هنا أشبه بالسبق الصحفى فى عمل الصحافة اليوم !!

— ٤ —

نقول ان الاحداث اذا كانت ذات طابع ثورى فى الحياة ، هيجت هذه القوة الاستطلاعية الكامنة فى الناس ، ودعتها اليها ، فرأت ما لا يرى الناس ، وعرفت ما لا يعرفون . ثم عادت وألقت الى الناس بأنباء وأخبار ، يعجبون لها ، ويدهشون منها ، ويقفون بين مصدق ومكذب لها ، حتى تطلع عليهم من قريب أو بعيد . . .

والنبوة أمر عظيم ، وحدث جليل ، قلما تشهد الحياة مثيلا له ، الا حين يظهر نبي ، وتظهر فى الحياة دلائل نبوته . . . فحين يظهر نبي يكون ان النبوة صلة مباشرة بين السماء والارض . . .

معناه أن السماء قد صافحت الأرض ، أو أن الأرض قد صافحت السماء على يد انسان من الناس ، اصطفاه الله تعالى لرسالته . . انسان يتناول من عالم الحق بعض ما فيه من رحمة ، وهدى . ونور . لياخذ الناس من بين يديه حظهم من الرحمة والهدى والنور . .

- ٦ -

ونبوة « محمد » - صلوات الله وسلامه عليه - آية الآيات فى النبوات ، ومجتمع أنوار الرسائل ، ولها من الآثار فى الحياة ما يربو على ما تفرق فى النبوات والرسالات من آثار فى المجتمع الانسانى كله . . أنها ليست لشعب ، أو قبيلة . أو بلدة . كما كان الشأن فى الرسالات السابقة . وليست لجيل أو جيلين أو ثلاثة على نحو ما سبقها من رسالات الرسل . وإنما هى للانسانية كلها . وللاجيال جميعها . منذ ظهورها الى أن ينتهى دور الانسانية على هذه الأرض . .

فليس عجيبا أنه اذا آن أوان هذه النبوة وأظل زمانها أن يكون لها هذا الدوى العظيم فى كيان تلك القوى الاستطلاعية الكامنة فى الناس ، ذلك الدوى الذى يكاد يحيل هذه القوى الى كائنات حية ، تحدث الناس عن استطلاعاتها بلسان قوى مبين . .

وقد حدث هذا أو ما يقاربه حين بدأت الخيوط الاولى من أضواء الفجر تظهر فى آفاق الجزيرة العربية ، مؤذنة بمطلع شمس النبوة المحمدية ، بعد هذا الفجر الوليد !

فلقد استيقظت فى الناس قوى روحية تتلمس مواقع هذا النور ، وتتهدى اليه ، واتقدت فى صدور كثير منهم شرارة الايمان ، فلم يستطيعوا معها صبورا على معتقداتهم الفاسدة التى وجدوا ريحها العفن ، حين طلعت عليهم انسام النبوة ، واستطابوا شميمةا الزكى العطر !
وتسجل صحف التاريخ لهذه الفترة التى قامت بين يدي النبوة . انباء واحداثا كثيرة مستفيضة ، من الظواهر والخوارق التى ازدحم بها زمان تلك الفترة ومكانها ، حتى بلغت حدا من الكثرة والغرابة دعا بعض الناس الى انكارها ، وتكذيبها جملة وتفصيلا ، كما دعا بعضا آخر الى قبول بعضها ، والتوقف عند بعض ، وانكار بعض . .

والذى نراه فى هذه الاخبار ، ونكاد نقطع به ، هو أن الاصول التى بنيت عليها تلك الاخبار ، أصول صحيحة سليمة ، فان ظهور النبى ، بل خاتم الانبياء لا يمكن أن يقع دون أن يقوم بين يدي موكبه من يعلن فى الناس نبأه ، ويفسح الطريق لجلال هذا الموكب الجليل المهيب !

فهذه الاحداث التى وقعت ، وتلك الاخبار التى تروى عن الذين شاهدوا انوار النبوة قبل أن تبرز ، وشاموا مخايلها قبل أن تظهر - هى احداث واخبار ، تستند - كما قلنا - الى أصول صحيحة ، وتقوم على واقع مشهود لا شك فيه . ولكن الذى يؤخذ على المرويات من تلك الاحداث واخبار ، هو ما دخل عليها من اضافات ، وما اتصل بها ، وأضيف اليها من منحولات ، أملتها عواطف ساذجة ، أو استجلبتها خيالات مريضة ، عن نيات حسنة ، أو رمى بها مكر ماكر ، أو كيد كائد ، يريد بذلك افساد تلك الصورة المشرقة بهذه الالوان الصارخة المنكرة التى ألقيت عليها . .

وليس يعنيها نحن المسلمين ، أتباع محمد ، أن تصدق هذه الرويات جميعها ، أو لا تصدق ، فانها ان صحت لا ترفع من مقام النبي الذي رفعه الله تعالى اليه ، والذي ليس فوقه ، أو على مساماته مقام لبشر ، وان لم تصح فانها لا تنال من هذا المقام ، ولا تنقص من ميزانه مثقال ذرة .. ذلك أن هذه الارهاصات ليست من جوهر النبوة ، ولا من ذاتية النبي ، وانها لا تعدو أن تكون نسمات مرت على روض ، فأصابت شيئا من شذا أزهاره ، وطيب وروده ، دون أن يتأثر الروض في بهائه ، وجلاله ، وجماله ، بزيادة أو نقص ..

فاذا نظرناظر في كتب السيرة النبوية ، سواء المبالغ منها والمقتصد ، فيما يروى من أحداث وخوارق واكبت مطلع النبوة ، واستعلنت مع انبثاق فجرها ، فلا عليه أن يقبل ما يقبل ، أو يرفض ما يرفض منها ، على أن يكون حسابه قائما أبدا على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر ، وأن ما كساه الله تعالى به من حلل الجلال والكمال ، لا يجاوز به حدود البشرية في أعلى مقاماتها ، وأرفع منازلها ..

- ٨ -

وندع حديث الخوارق والارهاصات ، دون أن نقيم حسابا لما صح منها وما لم يصح ، ولنقم نظرنا على هذا الوليد الذي ولد لآمنة بنت وهب ، في هذا البيت المتواضع المجاور لبيت الله الحرام ، ثم لنكن من شهود هذا المولد ، وممن يرقبون مستقبل هذا الوليد ، وما يمكن أن يكون له من وضع في الحياة التي يحيها قومه .. اننا هنا لا نرى شيئا مما أعده الله تعالى لهذا الوليد من سوابغ فضله واحسانه ، وما طواه الغيب عنا من اصطفاء الله تعالى له ، ليكون خاتم رسل الله ، والمبلغ عن الله ، دين الله ، الى عباد الله جميعا ..!

وبعيدا عن جلال النبوة ، وبمعزل عن أنوارها القدسية الجليلة المهيبة ، نرصد مسيرة هذا الوليد في اطار من الزمن بلغ أربعين عاما ، عاشها « محمد » بين قومه ، قبل أن يكتسى بجلال النبوة ويتوج بتاجها الكريم ..

فماذا يرى الراعون في محمد ، وفي مسيرته على درب الحياة ، وليدا ، وطفلا ، وصبيا ، وغلما ، وشابا ، وكهلا ، الى أن بلغ الأربعين من عمره ، حيث التقى برسالة السماء اليه في غار حراء ؟ فهذا انسان من الناس ، ولد لابوين كما يولد الناس ، ثم لم يتلق من الحياة إرثا من الملك أو الغنى ، كما يتلقى هذا وذاك ، بعض الواردين على الحياة من أبناء الملوك ، وأصحاب الغنى والجاه . وانما الذي استقبله هذا الوليد ، من يوم مولده ، بل وقبل يوم مولده ، هو اليتيم والفقر ، أعدي أعداء الانسان ، وأشدّها ضراوة عليه ، واستبدادا به ، وهو بعد نبتة ضعيفة واهية لم تعلق جذورها بالارض ..!

هذا الوليد ، اليتيم ، الفقير .. ماذا تظن به ؟ وما تقدر له مع الأيام ؟

انه لو جرت الحياة به على ما لوفها ، لكان مصيره الى الضياع في دنيا الضائعين من اليتامى والفقراء ، في عالم البادية الغليظة الجافية ، وفي كنف الصحراء ، ووجهها المتجهم الكالغ ..!

ولو اننا احسنا الظن بالحياة فى شأن هذا الوليد اليتيم الفقير ، لما بلغ بنا الظن فيه على ابعد الاحتمالات ، واكثرها تفاؤلا ، الى اكثر من ان يكون فتى من فتیان قریش ، يلعب مع اللاعبين ، ويلهو مع اللاهين ، ويقطع أيامه ولياليه فى معاقرة الخمرة ولعب الميسر ، وفى مغازلة النساء ، ومخالكة القيان .. ثم ينتهى به الامر فى شيخوخته الى ان يكون شيخا من شيوخ قریش ، يأخذ مكانه بين رواد الندوة ، يأخذ ويعطى مما يدور من احاديث الجد والهزل فيها ، ثم تطويه الايام فيما طوت من سادات قریش وصعاليكها ، لا يكاد يجرى له ذكر ، او يعلق به خاطر ، الا عند من خلفهم وراءه من اهل وعلان فى زمن ينتهى بانتهاء جيله ، ثم يعفى عليه النسيان الى آخر الدهر !

اليس هذا كل ما يمكن ، وغاية ما يتصور ان تدور فى فلكه حياة هذا الوليد الفقير اليتيم ، الذى ولدته آمنة بنت وهب ، وسمته « محمدا » ودرجته فى سجل المولودين من مواليد قریش ؟

ولكن الذى جاء من هذا الوليد اليتيم الفقير ، منذ أيامه الاولى ، وعلى كل خطوة خطاها فى الحياة بعد هذا — كان شيئا خارجا عن كل تقدير ، مجاوزا كل حساب ، بعيدا عن مواقع كل ظن !

واحسبك تنتظر من وراء هذا القول انى احدثك عن احداث خارقة ، وعجائب مذهلة ، تطلع عليك من كل خبر من اخباره ، وكل موقف من مواقفه .. وليدا ، وصبيا ، وفتى ، وكهلا ..

وكلا ، فان شيئا من هذا لم يحدث ، وان يكن حدث كثير او قليل منه فان احدا يومئذ لم يلتفت اليه ، ولم يقف عنده .. وان يكن فى الناس من التفت اليه ، او وقف عنده ، فما كان لهذا اليتيم الفقير حساب فيه .. كل شىء فى محيط هذا الوليد ، كان يجرى فى مجراه المألوف .. فلم تهبط عليه ثروة مفاجئة تتبدل بها حاله ، ولم يتحول فى قریش شىء عما عهد فيها ، من خير وشر ، ومن جد ولهو ، ومن رشاد وغى .. والصحراء هى الصحراء كما عهدها ساكنوها ، لم يتغير وجهها المتجهم ، وما يعلوه من جفاف وجدب ، وما يتعاور عليه من زمهرير الشتاء ، وسموم الصيف !

لقد ظل كل شىء هناك كما عهدت الناس .. اليتيم على يتمه وفقره ، وقریش على عهدتها فى صحوها ونومها ، والحياة على سيرها فى نهارها وليلها ، وكان شيئا لم يكن قد دخل على تلك الحياة ، وكان قدرا من الاقدار المسعدة التى يتغير بها وجه هذا الوجود لم يكن نجم فى سمائها ، وطلع فى افقها ، وكان هذا الوليد اليتيم الفقير لم يكن عما قليل سيملا اسماع العالمين ذكره ، ويبدد ظلام الوجود نوره .. وهكذا ظل هذا النور القدسى مطويا فى ضمير الغيب ، يتحرك فى كيان الحياة فى هينة ورفق ، الى ان يبلغ الكتاب اجله ، ثم يصبح الناس ذات يوم ، واذا هذا اليتيم الفقير ، هو محمد رسول الله ، خاتم النبيين ، وهادى الانسانية الى الحق ، والى صراط مستقيم !!

لقد كان هذا اليتيم الفقير يصنع بيد العناية الربانية حياته على طريق النبوة ، دون ان يشعر .. يصنعها فى رفق وعلى مهل ، صادر فى ذلك عن

طبع غير متكلف ، وعن شعور غير مصطنع ، وعلى طريق غير مطروق من أحد .. فهو يصدق القول حين يكذب الناس ، وهو يؤدي الامانة حيث يخون الناس ، وهو يعف عن الخمر ، حين يتهافت عليها الشيب والشباب ، وهو يعزف عن اللهو ، حيث يتهالك عليه الرجال والغلمان ، وهو يحقر الاوثان ويشيح بوجهه عنها ، اذ يتخاشع لها قومه ، ويسعون الى مراقدها مصبحين وممسين .. كل ذلك وما اليه من الشمائل الحلوة ، والصفات الكريمة الحميدة ، كان يدور في فلك « محمد » ويرسل نوره الوديع في رفق ولطف ، دون أن تنبهر به عين ، أو يغشى به بصر ، ودون أن يثير في الناس ضجة ، أو يحدث في الحياة هزة .. لانه — كما قلنا — يصدر عن طبيعة لا تكلف فيها ، ويتدفق من فطرة سليمة ، لا صنعة معها ..!

ولقد تسأل ويسأل الناس : من أين لهذا اليتيم الفقير ، بهذا الادب العالى الرفيع ، ومن أين له بتلك الاخلاق المجتمعة من الفضل والنبيل ، والجامعة لكل معانى الفضل والنبيل ، في بيئة أمية ، غارقة في الجهل والضلال ، تائهة في غياهب الرمال والجبال ؟

انه قد يتهايا لانسان في مثل هذه الظروف أن يستقيم على خلق فاضل ، ولكن بعيد أن يستقيم العمر كله على هذا الخلق ، دون أن يهتز أو يتبدل .. وانه لا بعد من هذا ، وأدخل في باب المستحيل أن يجمع انسان بين اثنتين أو ثلاث من تلك الصفات الفاضلة ، وأن يمسك بها جميعا في قوة واستقامة ، دون أن ينفطر عقدها ، ويتبدد شملها ..!

وانى لهذا اليتيم الفقير ، في هذا الجو العاصف ، وفي تلك الحياة الجديب المكفهرة — انى له أن يربى نفسه هذه التربية العالية ، وأن ينشئها تلك التنشئة الرفيعة ، وأن يحوز كل هذه الفضائل التي خف ميزانها في قومه ، وغربت شمسها في مجتمعه ؟ وانى لهذا اليتيم الفقير — في هذا المكان ، وفي تلك الظروف — أن يتخلق بأخلاق الانبياء ، قبل أن يلبس ثوب النبوة ، ويتوج بتاج خاتم الانبياء ؟

انه صنع رب العالمين ، وفضل أرحم الراحمين ، يصيب به من يشاء من عباده : « ذلك فضل الله ، يؤتية من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » .. ذلك هو مقطع القول ، وكلمة الفصل ، فيما يسأل عنه من أمر محمد ، قبل البعثة وبعدها ..

- ١٠ -

ان النبوة التي تلقاها « محمد » من فضل ربه ، على رأس الاربعين من عمره ، هي التي جاءت بتأويل كل ما عرف الناس ، وما شهدته الحياة من أمر « محمد » منذ مولده ، بل ومن قبل مولده الى مبعثه ، مما لم يكن يستبين منه شيء للمتوسمين في وجه (محمد) والمشاهدين لخطواته الرشيدة المستقيمة ، في كل متجه اتجه اليه ، قبل مبعثه ..

ومن هنا بدأ الناس يلقون نظرا مجددا على كل شأن من شئون (محمد) منذ حملت به أمه .. فكان حمله حدثا ، ومولده عجبا ، وخطواته على الحياة معجزات ومذهلات !

ان الذين ينظرون الى « محمد » جنينا ، ووليدا ، وطفلا ، وصبيا ، وغلاما ، وشابا ، وكهلا — انما ينظرون الى « محمد » النبي ، بعد أن

أشرفت شمس نبوته ، واكتحلت بسنا نورها عين الوجود .. فلا عجب ان يكون كل حدث مهما يكن شأنه محسوباً بحساب النبوة ، موزوناً بميزانها ، طالعا من سمائها .. وهذا حق لو سلم من طغيان العاطفة الجامحة ، أو خلص من استبداد الهوى الغالب !!

ان العقل لا ينكر أبداً أن يكون « محمد » فى جميع أدوار حياته محفوظاً بالعناية الربانية ، ممدوداً باللطافها ، إذ كان مرشحاً لنبوة النبوات ، وخاتمة الرسالات .. والله سبحانه يصنع لانبيائه فوق ما يصنع للناس جميعاً ، قبل النبوة وبعدها .. يقول جل شأنه فى يحيى عليه السلام : « وسلام عليه يوم ولد ، ويوم يموت ، ويوم يبعث حياً » فكيف بما يصنع الله لصفوة رسله ، وخاتم أنبيائه ؟

وحسبنا فى هذا المقام أن نشير الى ظاهرة أو ظاهرتين مما يمكن أن ينظر اليه — بعد النبوة — على أنه من ارهاصات النبوة ، ومن آياتها البينة ، قبل أن تطلع شمس النبى !

فليس من قبيل المصادفة أن يكون « محمد » هو الاسم الذى أطلقتته آمنة على وليدها ، دون غيره من الاسماء الشائعة فى قومه ، كعبد الدار ، وعبد شمس ، وعبد ود ، وعبد يغوث ، وحرب ، وحزن .. ونحو هذا مما يحرص الآباء على تسمية أبنائهم به ، وما يعد ميراثاً منتقلاً فى أجيال القبائل والعشائر ..

ان اسم « محمد » لم يسم به أحد من آباءه وأجداده ، ولم يسم به عربى ، أو قرشى قبله .. فمن أين لابنة وهب بهذا الاسم الذى بشر به المسيح ، علماً على هذا النبى العربى ، كما يقول تعالى على لسان المسيح : « ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد » ؟ و « محمد » هو الاحمد ، والمحمود ، والحمد .. !!

ثم ما تأويل هذه الموافقات من الاسماء التى ولدت محمداً ، ونشأته فى حجرها ، وأرضعته من ثديها ؟

فأبوه « عبد الله » لا عبد العزى ، ولا عبد الدار ، ولا عبد ود .. انه عبد الله ، وليس عبداً لصنم من تلك الاصنام التى تعبد لها آباؤه وأجداده ، وأضافوا وجودهم وذواتهم اليها ..

وأمه « آمنة » .. لا خنساء ، ولا عاصية ، ولا رباب ، ولا هند ، ولا دعد .. انها آمن وسلام ، حملت فى بطنها الامن والسلام الى العالمين ..! وأبو أمه « وهب » .. لا جمح ، ولا لهب ، ولا شداد .. انه وهب الحياة لهذه الام المباركة التى ولدت « محمداً » !

ومرضعة « محمد » « حليلة » .. لا عفراء ، ولا عنيزة .. بل هى « حليلة » أرضعته الحلم ، وبنيت كيانه منه ..

وبنو « سعد » دار حضانتهم ، ومرتع صباه ، لا بنو أسد ، ولا بنو ضبة ، ولا بنو نمير .. انه هلال سعد ، طلع فى أفق بنى سعد ، ثم ما زال يدرج فى منازل السعود ، حتى صار بدراً ، يبدد ظلمة الليل ، ويكون للمستوحش أنيساً ، وللحيران دليلاً ، وللسهران مسامراً ..

« محمد » .. « آمنة » .. « وهب » .. « عبد الله » .. « حليلة » .. « بنو سعد » .. هى فرائد من كريم الاسماء والصفات ، انتظم منها عقد هذا النسب الكريم ، لمن اصطفاه ربه هدى ورحمة للعالمين .. هذه واحدة الى مئات ومئات كثيرة غيرها ، يجد فيها الناس ريح

النبوة ، قبل أن يلتقوا بالنبي ، وتصافح عيونهم أنوار ذاته العلوية البهية !

أما محمد النبي ، فان وصفه يجلب عن الوصف ، وان هباته الجليلة ، وعطاياه العظيمة للانسانية تستعلى عن الحصر ، وحسب محمد أن يقيم للناس ديناً قيماً ، محرراً من الشرك والعبودية لغير الواحد المعبود .. وحسب محمد أن يقيم على هدى هذا الدين أمة وصفها الحق سبحانه وتعالى بقوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .. وحسب محمد أن يكون ميراث الانسانية منه هذا الهدى الذى يقوم فى القلوب والعقول مقام ضوء الشمس فى العيون ، والذى من بعد عنه ضل ، ومن اتخذ سبيلاً غير سبيله خاب وخسر .. !

- ١١ -

وندع ما يقول أتباع محمد فى محمد ، وما شهدوا من معجزاته ، وما حفظوا من سيرته ، فقد يكون هذا بمظنة من المبالغة أو التجوز ، فى مقام الحب والولاء ، شأن المحبين مع من يحبون ، حيث تكون الكلمة للقلب ، لا للعقل ، وللووجدان ، لا للدراك ..

ولكن ماذا يقول القائلون فيما تنطق به فى الحديث عن « محمد » السنة لم تعطفها على « محمد » أية عاطفة من قرابة جنس ، أو لغة ، أو دين ، ولم يكن منطقتها فيه قائماً على غير منطق العقل المجرى ، أمام الحقائق السافرة التى ينزل العقل على حكمها ، ويفقد وجوده واحترامه ان هو كابر فيها ، فأنكرها ، أو سكت عنها ؟

وأحسب أن عاقلاً لا يقبل أن يتهم رجلاً مثل « لامارتين » شاعر فرنسا العظيم ، بأنه كان مجاملاً أو محابياً لمحمد ، اذ يقول فيه : « انه نبى اقل من إله ، وأعظم من انسان » .. ان لامارتين اذ يقول هذا فى نبى الاسلام لم يكن واقعا تحت تأثير أية عاطفة غير عاطفة الاجلال والاكبار لهذا الجلال المهيب ، الذى يطلع عليه من كل أفق ينظر فيه الى هذا الانسان العظيم .. ! وأحسب أن عاقلاً يحترم عقله يتهم فيلسوفاً عظيماً من فلاسفة القرن العشرين هو (برنارد شو) بأنه كان واقعا تحت تأثير أية قوة غير قوة الحق ، وهو يشهد شهادة الحق ، عن علم ، ودراسة ، وتمحيص ، فيقول فى محمد ، وفى الدين الذى جاء به محمد : « لقد كان دين محمد موضع تقديرى العظيم دائماً ، لما ينطوى عليه من حيوية معجزة ، لانه على ما يلوح لى ، إله الدين الوحيد ، الذى له ملكة الهضم لاطوار الحياة المختلفة ، ولذلك فانه يستطيع أن يجذب اليه كل جيل من الناس » !!

أما فيلسوف ألمانيا العظيم « جوته » فيقول ، وهو يستعرض الدين الاسلامى ، بوصفه قوة من أعظم قوى التهذيب والتأديب .. يقول « جوته » مخاطباً صاحبه : « أكرمان » : « أنت ترى أن هذا الدين بتعاليمه تلك لا يخفق أبداً .. ونحن بكل ما لنا من نظم لا نستطيع ، بل أقول بوجه عام : ان أحداً من البشر لا يستطيع أن يذهب الى أبعد من هذا » .. فهذا قول فيلسوف غزا العالم بفلسفته ، ولفح العقل الحديث بآرائه !!

ونختم مقولات فلاسفة الغرب وعلمائه بما يقول العالم العالمى ، « ول ديورانت » صاحب الموسوعة التاريخية : « قصة الحضارة فى العالم » .. فكلية هذا العالم لها قدرها ووزنها فى هذا المقام ، حيث شملت

نظرته الموسوعية العالم كله ، قديما وحديثا ، وأشخاصا وأحداثا ..
يقول « ول ديورانت » :

« إذا حكمنا على العظمة بما كان للمعظيم من اثر فى الناس — قلنا ان محمدا كان من أعظم عظماء التاريخ ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحى والاخلاقى ، لشعب ألقت به الحياة فى دياجير الهمجية ، وحرارة الجو ، وجذب الصحراء .. وقد نجح فى تحقيق هذا الفرض نجاحا لم يدانه فيه أى مصلح آخر فى التاريخ كله !!
ثم يقول :

« واستطاع دين « محمد » فى جيل واحد أن ينتصر فى مائة معركة ، وفى قرن واحد أن ينشئ دولة عظيمة ، وأن يبقى الى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم فى العالم .. »

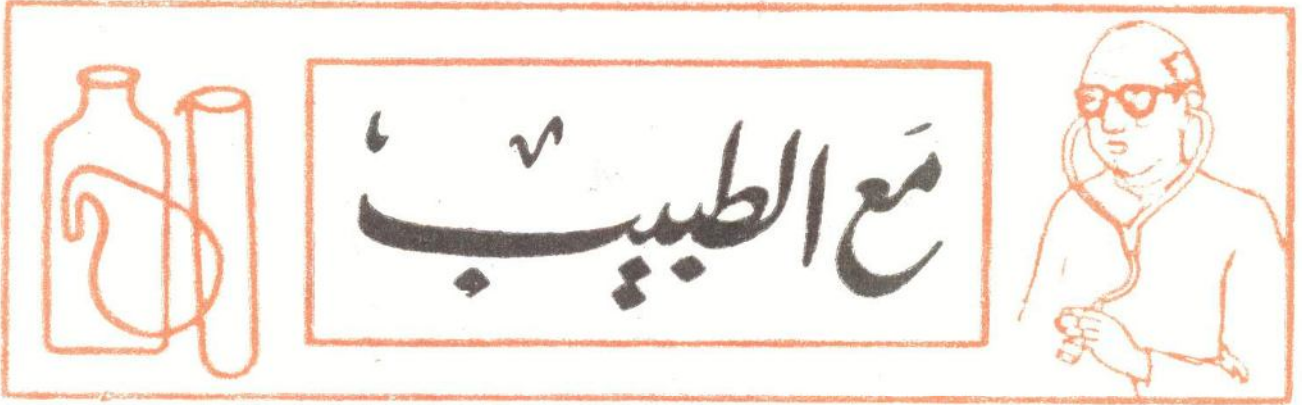
هكذا يقول فى الاسلام ، وفى نبى الاسلام ، كل منصف ، مسلما كان أو غير مسلم ، لان ذلك هو الحق الذى لا يتغير وجهه أبدا ، اذا استقبلته قلوب سليمة من آفات الهوى ، ونظرت فيه عقول محررة من قيود التعصب ، والحسد ..

ولسنا نذهب بعيدا اذا قلنا ان الذين أنصفوا الحقيقة فى محمد ، وفى دين محمد ، من علماء الغرب وفلاسفته ، لم تكن آراؤهم تلك التى أعلنوها على الملأ مجرد كلمات صوروا بها تلك الحقيقة التى استبانتم لهم ، وانما كانت آراؤهم هذه منهج سلوك ، وأسلوب عمل فى حياتهم العامة والخاصة .. فكانوا يتأسون بمحمد ، ويترسومون خطاه ، وان لم يعلنوا أنهم من المسلمين .. انهم مسلمون عملا لا قولا ، وأتباع محمد حقا لا ادعاء !!

ولسنا نذهب بعيدا كذلك اذا قلنا ان أكثر المسلمين من اتباع محمد ، لم يجاوزوا حدود الكلام عما يعرفون من أخلاق « محمد » وشريعة الدين الذى جاء به محمد — لم يجاوزوا حدود الكلام الى العمل ، والى التأسي برسول الله ، والاستقامة على طريقه .. ولو أنهم فعلوا لما كان حال المسلمين اليوم مما يسوء الصديق ويسر العدو ، بل لكانوا قادة ركب الانسانية ، وحارس أمنها وسلامها ، ومصباح نورها وهداها ..

وها نحن أولاء أتباع « محمد » نستقبل مولده العظيم ، كما يستقبل المريض ريح العافية ، وكما يستقبل التائه فى الصحراء وجه الدليل .. فليكن احتفاؤنا بهذا المولد ، وتكريمنا له ، أن نخرج مما نحن فيه من قواقع الجمود ، والتواكل ، والجهل ، والبهيمية ، وأن نولد ميلادا جديدا فى الحياة ، على سنا أضواء هذا الميلاد العظيم ، الذى أشرقت به الدنيا ، فنقيم وجهنا فى هذه الحياة على هدى وبصيرة ، فى ظل الاسوة الحسنة برسول الله ، وبالنجوم الزاهر من أصحاب رسول الله ..

فصلوات الله ، وسلامه عليك أيها النبى ، يوم ولدت ، ويوم مت ، ويوم تبعث حيا .. ورضى الله تبارك وتعالى عن آلك وأصحابك ، ومن أقام وجهه على طريقك ، واهتدى بهديك الى يوم الدين .



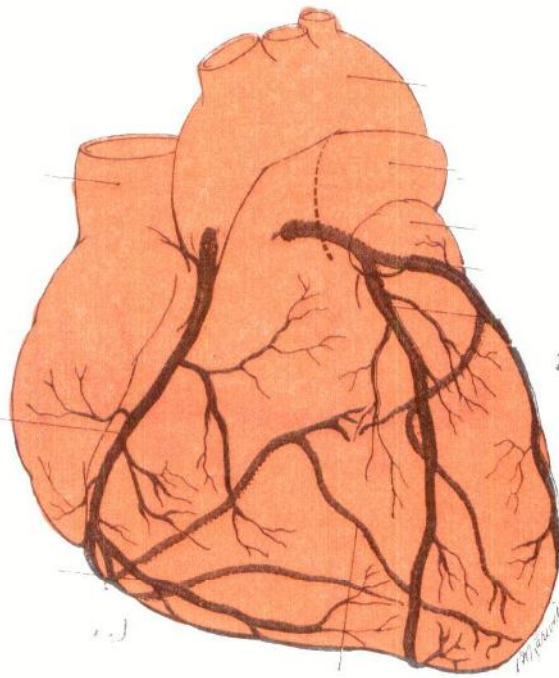
وفي أنفسكم أفلا تبصرون
عبد الله العظيم

القلب

الدكتور/محمد محمد ابو شوك
رئيس قسم الامراض الباطنية
بالمستشفى الاميرى

تباركت ربي خلقت الانسان فأبدعت صنعه — وجعلت من خلقه معجزة تحير الالباب وتبهر العقول — الست القائل : « لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم » . وقولك : « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك . فى أى صورة ما شاء ركبك » . وها نحن معشر الاطباء — ومعشر العلماء فى شتى العلوم والمعرفة نقف فى رحاب علمك حيارى من أمرنا ، نبذل قصارى جهدنا ونخترع الآلات ، ويزداد عدد المكبرات ، وبعد هذا كله نرد مبهوتين ونرى الا نستحق بعد كل هذا الا قولك الحق : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » ..

ها هى الخلية وحده تكوين أعضاء الجسم ، نقول انها تتكون من جدار يجوى بداخله النواة وما حول النواة — ونصف ما فى هذا وذاك حتى نصل الى مادة السيتوبلازم فنقول وهى مادة حية ولا نعرف كنه حياتها ولماذا هى كذلك ؟



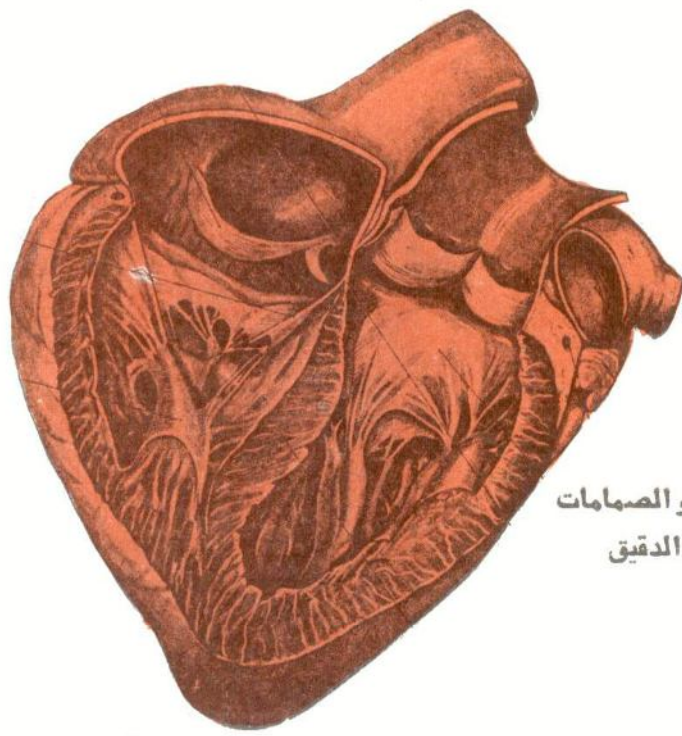
القلب وشرائبه التاجية
وفروعها

فاذا كنا قد عجزنا عن فهم الوحدة المكونة ، فما بالنا أمام ملايين الملايين من الخلايا المكونة لاجزاء الجسم المختلفة .

ولنبداً بالقلب — هذا العضو الهام من الجسم — والمضخة التي لا تتوقف من يوم أن تبدأ العمل الى يوم أن يفارق الانسان منا هذه الحياة .. هذا القلب يتركب من الياف عضلية خاصة لها خصائصها ، فهي ليست كعضلات الحركة وتتميز بأن لها القدرة على الانقباض والارتخاء في حركة منظمة دقيقة تعد بالثوانى وما دونها .. هذه الحركة التي لا تتوقف تغذيها أعصاب تساعد على زيادة نبضات القلب عند الحاجة كما هو الحال عند القيام بأى مجهود عضلى ويقل العدد عند الاسترخاء والنوم — هذا النظام المتناهي في الدقة الذى تتمتع به عضلات القلب — لا فى دقة حساب المسافات بين النبضة والنبضة ولكن فى قوة النبضة ، فنجد النبضات كلها على وتيرة واحدة حوالى 70 — 80 نبضة فى الدقيقة وفى 24 ساعة تكون النبضات $24 \times 60 \times 80 = 116200$ نبضة فكم يكون يا ترى عدد النبضات فى الاسبوع وفى الشهر وفى السنة وفى سنى عمر الانسان — وتستمر هذه المعجزة الخارقة فى هذه النبضات التى يحيى بها الانسان ما شاء الله أن يقضى من العمر وصدق شوقى حين يقول :

دقات قلب المرء قائمة له ان الحياة دقائق وثوان

ويحاول العلماء وما زالوا فى محاولاتهم سنين وسنين يقلدون هذه الدقات بقلب صناعى ليحل محل القلب الطبيعى — وفشلوا المرة بعد المرة — وكم من ملايين الدولارات صرفت فى هذا المجال دون ما فائدة — ولا أقول ذلك ضناً منا على العلم ولكن لابرار هذه القدرة الالهية فى عمل واحد من أعمال القلب . ولو أطلقت فى هذا المجال لوجدت نفسى والقارىء فى متاهات لا حـد لها ولكن لأبسط الامر وليضع الواحد منا يده على شريان من شرايينه ويجس نبضه — أو يسمع دقات قلبه وهو مضطجع بالليل فى هدوء تام ويلاحظ هذا النظام الدقيق — ثم لينظر ماذا يحدث له لو اختل هذا النظام ليضع دقائق أو حتى لثوان — وتأتى دقة ليست فى آوانها — ويجس كأن روحه ذاهبة وجسمه ينهار — وكم من مريض أسهده هذا الخلل الطارىء — وراح مستنجداً بمن يجيره من هذا الذى نسميه عدم انتظام القلب ، يتسأوى فى ذلك من أسرع قلبه أو بطؤ من تخلل نبضات قلبه الطبيعية نبضات زائدة وتجبرى الفحوصات لمعرفة السبب من اضطرابات فى القلب نفسه — أو أسباب خارج القلب — كزيادة افراز الغدة الدرقية أو خمولها —



القلب من الداخل والصمامات
تأمل التركيب الدقيق

أو اضطرابات نفسية — أو اضطرابات في الجهاز الهضمي . وما إلى ذلك من أسباب — يحاول الطبيب التوصل إليها فيعرف الداء ويصف الدواء . ويتخلل عضلات القلب جهاز أكثر تعقيدا ، ألا وهو جهاز التوصيل يبدأ من بؤرة في الاذن اليمنى ويمر ما بين الاذنين ثم يتفرع إلى البطينين ، وهذا الجهاز تسرى فيه الشحنة التي تسير بسرعة مذهشة فتعطى الاوامر للعضلات فتقبض فيدفع الدم إلى الرئتين ويسرى الدم من الاذنين الايمن إلى البطين الايمن الذي ينقبض فيدفع الدم إلى البطين الايسر وهذا الاخير يدفع بالدم إلى الابهر ليوزعه إلى الجسم . هذه الحلقة الكهربائية الباهرة التي تسير في منتهى الدقة لسنين شاء الله أن يحيها الانسان دون ما توقف . أنى لمعامل الدنيا — أن تقلد جزءا منها بهذا النظام السوى المتين . وهل منا من لم يواجه توقف التيار الكهربى فتعطل العمل أو صارت حياته في ظلام دامس إلى أن يعاد مرور التيار — مهما كانت دقة من يقومون على صيانة هذا التيار .

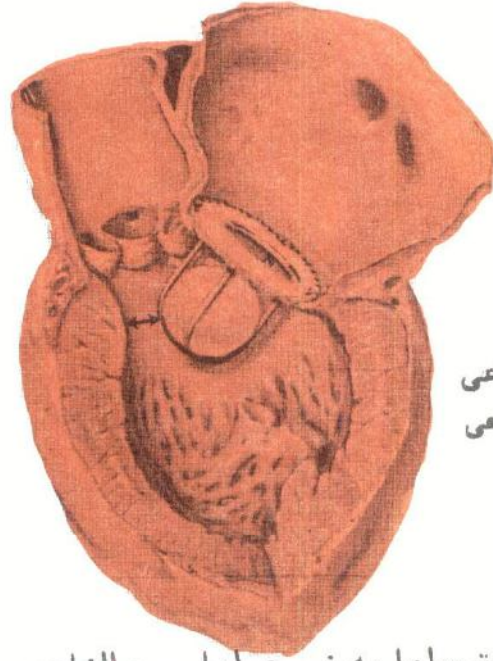
هذا الجهاز ربما يصاب بمرض كذلك فيتوقف مرور التيار وترتبك نبضات القلب أو ربما يحدث به خلل فيموت في القلب ذبذبات ، أو ربما يتوقف مروره ما بين الاذنين والبطين فينقبض كل على حده وفي النهاية يؤدي إلى هبوط في القلب وفي بعض أمراض القلب الحادة الشديدة يتوقف كلية وإذا استمر لفترة طويلة فارق المريض الحياة .

والامثلة واضحة للعيان أمام أعيننا نحن الاطباء ونحاول أن نزيل الذبذبات بالعقاقير أو بالألات — وإذا توقف القلب حاولنا أن نعيد إليه نبضاته بتيارات كهربية وأن نجحنا ولو لبعض الوقت في حالة فاننا نفشل في عشرات بل مئات الحالات — ونعجز أمام القدرة الالهية العظمى ونلتف حول المريض ونشاهد بأعيننا وهو يلفظ أنفاسه الاخيرة ونذكر قول البارى في علاه .

« فلولا اذا بلغت الحلقوم ، وأنتم حينئذ تنظرون ، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون . فلولا ان كنتم غير مدينين . ترجعونها ان كنتم صادقين » وأنى لنا أن نرجعها ورب العزة والجبروت قابضها .

ومن أجزاء القلب الهامة الصمامات ، صمام ما بين الاذنين الايمن والبطين الايمن وصمام في مدخل الشريان الرئوى بين الشريان والبطين الايمن ثم صمام ما بين الاذنين الايسر والبطين الايسر وصمام بين البطين الايسر والابهر وهو صمام الأبهـر .

هذه الصمامات المختلفة تختلف في تركيبها وفي حجمها ، في قوة اتصالها



صمام صناعي
مكان الطبيعي

بالقلب والاورتار التي تربطها به في عملها — والفاحص المدقق فيها يحار في قدرة صانِعها — ويا لها من قدرة التي تجعل الصمام يفتح ويطلق في وقته المحدد لا يؤخر ولا يقدم في جزء بسيط من الثانية — بل كل شيء بمقدار .
ويريد الباري في علاه أن يجعلنا نحس بنعمائه فيبتلى البعض بمرض خلقى لا يمكن أن تستمر معه حياة — وإذا أصيب أحد هذه الصمامات أو أكثر من واحد بمرض — كما هو الحال في مرض روماتيزم القلب — أو تكلس صمامات القلب فاما أن يضيق هذا الصمام أو يتهتك ويتسع — وفي كلتا الحالتين لا يستقيم للقلب عمل — ويتعرض لهبوط ان عاجلا: أو آجلا .

ونحاول نحن الاطباء جاهدين لنصلح خلل الصمامات ، فان كان هذا الخلل طفيفا وخصوصا اذا كان الخلل قد أدى الى ضيق في الصمام ، حاولنا توسيع هذا الصمام حتى نهيبء للمريض حياة تبعده عن نوبات هبوط القلب وربما ننجح لفترة طالت أو قصرت ولكن ربما يعاود الخلل الصمام — أما اذا كان الصمام قد تهتك واتسع فاننا نكون في مأزق أشد — وقد حاول الجراحون أن يقللوا من هذا الاتساع بثتى الطرق — ولكن أتى لهم هذا وباءت كل محاولتهم بالفشل ، ثم توصلوا الى وضع صمام من البلاستيك بدلا من الصمام الطبيعي — ولكن سرعان ما وجدوا أن هذا ربما يعمل فترة ثم تظهر المضاعفات من تجلط الدم حول الصمام — يؤدي الى تجلط في الشرايين الهامة كالتي تذهب الى القلب أو الى المخ أو الى غيرها من الاعضاء .. ثم استعاضوا بالصمام البلاستيكي صماما ينقل من قلب متوفى — وما زالت التجارب تشق طريقها — ومدى صلاحية هذه الصمامات ومنتهى فعاليتها . وفي بعض الحالات التي يكون قد استفحل أمرها وأثرت على معظم الصمامات وأرهقت القلب — بدأوا بزراعة القلب ..

وأعيد القول هنا ، أن الدين يشجع العلم ، ويرفع من قدر العلماء وما من دين حث على العلم كالدين الاسلامي — وآياته الباقية شاهدة بذلك : « فلينظر الانسان مم خلق » .. « أو لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله .. من شيء » . أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج » . وغير ذلك من الآيات التي تحث على العلم والبحث . ولكن أردت أن أبرز القدرة الخارقة وراء هذا الصنع المتناهي في الدقة والذي يستمر السنين العديدة دون ما خلل أو عطب اللهم اذا أصيب الانسان بمرض شاءه الله له ..

وتشاء قدرة القادر العظيم أن تجعل هذه الصمامات وامتداد الفشاء المبطن للقلب من الداخل في حالة ملساء حتى لا تلتصق به الكرات الدموية الحمراء أو صفائح الدم فتساعد على صنع جلطات دموية تذهب في شرايين الجسم المختلفة فتحرم أجزاء من الجسم من الدم الذي هو سبب حياتها .

وللقلب شرايينه الخاصة به والمعروفة باسم الشرايين التاجية والذي يدقق في الصفة التشريحية للقلب يجد العجب في شريان هذه الشرايين — في وضعها وفي تغلفها داخل القلب والأجزاء التي يمدّها كل شريان من الشرايين — وفي كيفية عمل هذه الشرايين حينما تمتلئ وحينما تدفع ما بها من دم في عضلات القلب لتقوم بعملها الذي يلائم هذا العضو الهام من الجسم ، وكيف أنها تحتفظ دائما بفاعليتها حتى لا يتعرض القلب لأي اضطراب وهي في قدرتها هذه كقدرة صاحبها التي تغذى المخ — إذ أن كلا منها من الأعضاء الجوهريّة في الجسم وليس ببعيد على كل قارئ ما يحدث للإنسان عند حدوث خلل سواء أكان طفيفا في الشرايين وما سببه من ذبحة صدرية أو انسداد في الشريان وما يسببه من مرض الجلطة أو السدة القلبية المعروف ، ويساعد على مرض الشرايين التاجية مرض البول السكري — والسمنة ، والتدخين ، ومرض ارتفاع ضغط الدم — وما أولى المرضى بهذه الأمراض أن يعالجوا ما ألم بهم من مرض حتى يحافظوا على سلامة هذه الشرايين التاجية الهامة .

ويبطن القلب من الخارج غشاء أملس رقيق مكون من طبقتين رقيقتين يدعى التامور — ومده الله بأعصاب الحس حتى يكون حارسا أميناً على هذا العضو الجوهري ، فإذا أصاب القلب أذى من الخارج أو من الداخل وامتد إلى التامور حملت أعصاب الحس به نبأ الإصابة وترجمته إلى ألم شديد يحس به المريض فيسمى للعلاج والدواء حتى لا تأتي أي آفة ولا مرض على القلب — ومن عجب أن ناقوس الخطر هذا الذي يحس به المريض يكون مع كل نبضة من نبضات القلب ليحث المريض فلا يتوانى في علاج نفسه ، وما أشده من ألم يحسه كل من اكتوى به . وما التهاب التامور الذي يسببه فيروس — أو يكون نتيجة لروماتيزم القلب أو نتيجة لتدرن به — أو لغير ذلك من الأسباب إلا مثل حي للآلم الشديد الذي يشكو منه المريض فيسمى إلى طبيبه جاهداً في أسرع وقت ليعالجه مما ألم به ..

ويشاء الحكيم الخبير أن يضع القلب في مكان أمين في وسط الصدر خلف عظم قوى هو عظم القص ويغطى معظم الجزء الباقي منه بالرئتين حتى يكون بعيداً عن المخاطر التي يتعرض لها الجسم .

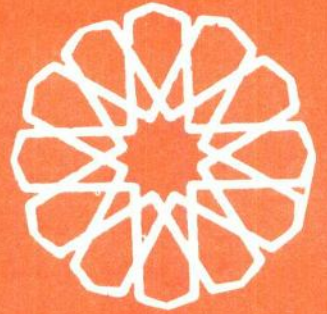
هذا هو قلبك أيها الإنسان الذي كرمك ربك ومن حقه عليك أن تشكره ، وتحافظ على نعمته هذه وتبتعد جاهداً عما يضره من تدخين لا يجدي نفعا ، وتعرض الإفراط في البدانة تجهد — وأمراض مثل الضغط والبول السكري لا بد من معالجتها ، والامسراع في علاج كل مرض يلم به فإن الله قد خلق الدواء .

ولتكن بقلبك هذا مع الله الذي خلقك من عدم وقال وقوله الحق :

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » .

مولد

نبى الحجة



قبل مولد الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم كان العرب فى
حالة من الفوضى والاضطراب ، والتفكك والارتباك ، وسوء الاحوال ، وكانت
الوثنية فائسية فيهم يتخذ اهل كل بيت صنما يعبدونه ، او يتقربون به الى
الله ..

وليس بينهم جامع يجمعهم ، ولا قانون يسودهم ، ولا حاكم يسوسهم ،
سوى العصبية القبلية التى تبني على التحزب الاعمى .
ولم يكن حال الامم الاخرى بافضل من حال العرب ، فى كثير من
النواحي ، خصوصا حال دولة الفرس فى الشرق ، ودولة الرومان فى
الغرب .

ويصور الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده الحالة فى تينك الدولتين بقوله : « كانت الدولتان فى تنازع وتجاد مستمر ، دماء بين العالمين مسفوكة ، وقوى منهوكة ، وأموال هالكة ، وظلم من الاحن حالكة ، ومع ذلك فقد كان الزهو والترف والاسراف والفضخة والتفنن فى الملاذ بالغة جدا لا يوصف ، فى قصور السلاطين والامراء ورؤساء الاديان من كل أمة . وكان شره هذه الطبقة من الامم لا يقف عند حد ، فزادوا فى الضرائب ، وبالغوا فى فرض الاتاوات ، حتى أثقلوا ظهور الرعية بمطالبهم ، وأتوا على ما فى أيديهم من ثمرات أعمالهم ، وانحصر سلطان القوى فى اختطاف ما بيد الضعيف ، وفكر العاقل فى الاحتيال لسلب الغافل ، وتبع ذلك أن استولى على تلك الشعوب من ضروب الفقر والذل والاستكانة والخوف والاضطراب ، لفقد الامن على الأرواح والاموال .. الخ (١) » .

وإذا كان حال العرب وغير العرب بهذا السوء وأكثر منه فقد تهيأت البشرية لتلقى منقذا ينقذها من ضلالتها ، وهاديا يدلها على طريق رشادها وصوابها ، فكانت ولادة الرسول الاعظم محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وكان أن بعثه الله سبحانه للبشرية جمعاء ، وللانسانية عامة ، رحمة وهاديا ومرشدا ومنقدا ..

قال تعالى : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (٣) ، وقال أيضا : « وما أرسلناك الا كافة للناس » (٢) وقال سبحانه : « يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا » (٤) .

ولذلك كانت رسالته الى الناس عامة ، لأن الحاجة للإصلاح والانتقاذ كانت عامة ، وقد قامت دعوته على وحدانية الله وعبادته ، وارتباط الانسان بخالقه ، كما قامت على الرحمة والحرية والعدالة والانصاف ، وقد هيا الله لهذه المهمة الكبرى والرسالة الانسانية العظمى ، نفسا كانت فى ذروة

الصفاء والنقاء ، مجندة لانقاذ الانسان من جهالاته ، وانتشاله من تخبطه وضلالاته ، واحاطته بالرحمة الشاملة ، والعناية الكاملة ، لا تحمل حقدا ولا ضغينة ، هدفها أن يسمو الانسان ليحتل مكانة الكرامة التي اختصه الله بها ..

قال سبحانه : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » (٥) .

فسار المصطفى المختار في سبيله ، وجل همه أن يهتدى أى انسان لطريق السداد ، وان تسلم أية نفس من مهاوى الشر والفساد ، ويعتبر ذلك نصرا عظيما ، ونجاحا كبيرا ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لسهل بن سعد — رضى الله عنه « لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » (٦) .

وذلك لأن هذا الرسول الاعظم لا يقصد الدنيا ومباهجها ، وانما يقصد اصلاح البشر ، وانقاذ الانسانية من سفاهتها وضلالتها ، واحاطتها بالرحمة والرعاية ، ولذلك كان في سيرته رؤوفا رحيفا ، ويعتبر الرحمة من أهدافه ، وأفضل مناهجه ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » (٧) . ويقول أيضا : « ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء » (٨) . وقال أيضا : « والذي نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تراحموا » ، قالوا كلنا رحيم يا رسول الله ، قال « انه ليس برحمة أحدكم — يعنى نفسه وخاصته — ولكنها رحمة العامة » (٩) . وقال أيضا : « لا يرحم الله من عباده الا الرحماء » (١٠) .

وعن أبى بكر الصديق — رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل : « ان كنتم تريدون رحمتى فارحموا خلقى » (١١) .

فهذا الرسول العظيم الذى جنده الله منذ نشأته ليحيط العالم برحمته ، ويشمل الناس برأفته ، ويكون القدوة في مسلكه ، منحه الله سبحانه وسام التقدير الاعظم بقوله سبحانه : « وانك لعلى خلق عظيم » (١٢) .
ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم : « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » (١٣) .

من صفات الرسول ..

قال الحسن بن على — رضى الله عنهما : سألت خالى هند بن أبى هالة التميمى وكان وصافا ، عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا أشتهى أن يصف لى منها شيئا أتعلق به ، فقال فى حديث طويل ، جاء فيه :

« كان صلى الله عليه وسلم فخما فمخما ، يتلأأ وجهه تالأؤ القمر ليلة البدر ، يبدأ من لقيه بالسلام ، ويتكلم بجوامع الكلم ، لا فضول فيه ولا تقصير ، ليس بالجافى ولا بالمهين ، يعظم النعمة وان دقت . وكان اذا أوى الى منزله جزأ نفسه ثلاثة أجزاء ، جزء لله وجزء لأهله وجزء لنفسه ، ثم جزء نفسه بينه وبين الناس ، فيرد ذلك على العامة بالخاصة ، فلا يدخر عنهم شيئا ، فكان من سيرته فى جزء الأمة ايثار أهل الفضل على قدر فضلهم فى الدين ، فمنهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج ، فيتشأغل بهم فيما يصلحهم ويلأئهم ، ويخبرهم بالذى يتبفى لهم ، ويقول :

ليبلغ الشاهد الغائب ، وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغها اياي ، فانه من بلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة .. وكان صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيه ويؤلفهم ولا يفرقهم ، فيكرم كريم كل قوم ، ويوليهم عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم ..

يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما فى الناس ، ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه .. لا يقصر عن الحق ، ولا يجاوزه الذين يلونه من الناس ، خيارهم وأفضلهم عنده أهمهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة ..

من سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول ، قد وسع الناس بسطه وخلقه ، فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء .
مجلسه مجلس حلم وحياء ، وصبر وأمانة ، لا ترفع فيه الاصوات ، ولا تؤين فيه الحرم ، ولا تنثنى فلتاته ، متعادلين متواصين فيه بالتقوى ، متواضعين ، يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ، ويؤثرون ذوى الحاجة ، ويحفظون الغريب .

قد ترك نفسه من ثلاث : المرء والاكثر وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث : كان لا يذم أحدا ولا يعيره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه .. ويصبر للغريب على الجفوة فى منطقته ومسألته ، حتى ان كان أصحابه يستجلبونهم ، ويقول : اذا رأيت طالب الحاجة فأرشدوه .. وجمع له الحذر فى أربع ، أخذه بالحسن ليقضى به ، وتركه القبيح ينتهى عنه ، واجتهاد الرأى فيما أصلح أمته ، والقيام لهم بما جمع لهم الدنيا والآخرة (١٤) .

أسباب انتشار دعوة محمد

بهذا السمو فى مبادئ الرسالة العظمى ، وهذا التجرد لمصلحة الانسانية فى أهداف صاحب الذكرى ، انتشرت بسرعة دعوة الاسلام ، وعم خيرها ، وارتفعت راياتها بصورة لا يعرف لها مثل .

وفى غزوة القادسية ، بعث قائد المسلمين سعد ، رسولا الى رستم ، ربيعى بن عامر ، وقال هذا لرستم فى شرح أهداف الرسالة : ان الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد ، الى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام .

وحينما سأل رستم المغيرة بن شعبه عما جاء بهم ، قال له ، انا لا نطلب الدنيا ، وانما همنا طلب الآخرة ، وقد بعث الله الينا رسولا ، بدين هو دين الحق ، لا يرغب عنه أحد الا ذل ، ولا يعتصم به الا عز ، أما عموده الذى لا يصلح شئ الا به ، فشهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، والاقرار بما جاء به من عند الله ، واخراج العباد من عبادة بعضهم الى عبادة الله ، والناس بنو آدم ، فهم أخوة الأب وأم (١٥) .

قبس من نور المصطفى

روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تحاسدوا

ولا تباعضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله أخوانا ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ها هنا ، ويشير الى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه (١٦) .

وخطط صاحب الرسالة العظمى لشمول المنافع ، وذبوع الخيرات والاكثر من المبرات ، وقال صلى الله عليه وسلم : « السخى قريب من الله ، قريب من الجنة ، قريب من الناس ، بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الجنة ، بعيد من الناس ، قريب من النار ، ولجاهل سخى أحب الى الله من عابد بخيل » (١٧) .

وعن أبي سعيد الخدرى — رضى الله عنه — قال : بينما نحن فى سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ جاء رجل على راحلة له ، قال فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) . قال فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لاحد منا فى فضل (١٨) .

وعن أبى امامة — رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا ابن آدم انك ان تبذل الفضل خير لك ، وان تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفاف ، وابدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى (١٩) .

وعن أنس بن مالك — رضى الله عنه — ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان أحبكم الى الله أحاسنكم أخلاقا ، الموطنون أكثافا ، الذين يألفون ويؤلفون ، وان أبغضكم الى الله المشاعون بالنميمة ، المتتمسون العثرات ، المفرقون بين الاخوان (٢٠) .

التشخصية الإسلامية ..

واذا كان صاحب الذكرى فى رسالته صلى الله عليه وسلم عمد الى هذا السمو الانسانى الرفيع حتى يوحد الصفوف على الخير ، ويؤلف القلوب ، ويكبح النفوس الجامحة ، فانه حافظ على الشخصية الإسلامية ، وحرص على أن لا يذوب المسلمون فى غيرهم ، وجعل شعاره ، الاهتمام بشئون المسلمين ، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، واعتبر المسلمين أمة واحدة ، يتناصرون ويتعاونون على ما فيه خيرهم وخير الانسانية جمعاء ، ويقاوموه الظلم والعدوان ، مهما كان مصدره ، لأن هدف رسالة صاحب الذكرى أن ترتفع راية العدالة ، وأن يأخذ كل ذى حق حقه ، مهما كانت عقيدته ومذهبه ، « ولا يجرمكم شنان قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » (٢١) .

وفى السنة كثير من الاحاديث ترمى الى الاحتفاظ بالقومية (الشخصية) وعدم فناء الامة فى غيرها ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم : (خالفوا سنة المجوس) . ومثل النهى عن التشبه بغير المسلمين ، الى آخر ما يحفظ للأمة كيانها ولا يذيبها فى غيرها (٢٢) .

موقفه من غير المسلمين

كان موقف صاحب الذكرى صلى الله عليه وسلم من غير المسلمين

الذين يعاهدون المسلمين ، الوفاء بعهودهم والحرس على مشاعرهم وعدم ايدائهم ، وشرع من الاحكام فى حسن معاشرتهم ما شرح له صدورهم ، وابعاح البر بهم والاقساط اليهم ، ومصاهرتهم والتزوج بهم ، وأكل ذبائحهم وطعامهم ، وجعل للزوجة غير المسلمة من الحقوق مثل ما للزوجة المسلمة ، وابعاح للمسلم أن يضيفهم ويذهب الى ضيافتهم . ويتبادل معهم التهادى والتصافح . « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن » (٢٢) .

وفى ظل هذه الاحكام السميحة والعدالة والمساواة . عاش غير المسلمين مع المسلمين فى بلاد الاسلام . طوال السنين . لا يشكون ضيما ولا يبخسون حقا . وفى كتاب خالد بن الوليد لأهل الحيرة ، شرط عليهم أن عليهم عهد الله وميثاقه أن لا يخالفوا ولا يعينوا كافرا على مسلم . من العرب ولا من العجم ، ولا يدلوههم على عورات المسلمين . .

وجعل لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله . . الخ .

ولما رأى أهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن سيرتهم فيهم صاروا أشداء على أعداء المسلمين . وعونا للمسلمين على أعدائهم ، فبعث أهل كل مدينة ، ممن جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجالا من قبلهم يتحسسون الأخبار عن الروم وعن ملكهم وعما يريدون أن يصنعوا ، فأتى أهل كل مدينة يخبرون المسلمين بأن الروم قد جمعوا لهم جمعا لم ير مثله . .

ولما تتالت الأخبار على أبى عبيدة بذلك كتب أبو عبيدة الى كل وال ممن خلفه فى المدن التى تصالح أهلها يأمرهم أن يردوا عليهم ما جبن منهم من الجزية والخراج . وكتب اليهم أن يقولوا لهم : انما رددنا عليكم أموالكم لأنه بلغنا ما جمع لنا من الجموع ، وأنكم قد شرطتم علينا أن نمنعكم ، وانا لا نقدر على ذلك . وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ، ونحن لكم على الشرط وما كتب بيننا وبينكم . ان نصرنا الله عليهم . فقالوا ردكم الله علينا . ونصركم عليهم . فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئا وأخذوا كل شيء بقى لنا حتى لا يدعوا لنا شيئا .

وكان أن غلب الروم ونصر الله المسلمين وكتب أبو عبيدة الى عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — بما أفاء الله على المسلمين ، وما أعطى أهل الذمة من الصلح ، فكتب اليه عمر كتابا جاء فيه ، ومنع المسلمين من ظلمهم والاضرار بهم وأكل أموالهم الا بحقها . ووف لهم بشرطهم الذى شرطت لهم فى جميع ما أعطيتهم . ولا يمنع الاسلام أية دولة اسلامية من أن تتبادل مع دولة غير اسلامية علاقات تجارية وسياسية وسفراء لنظر المصالح ، ومعاهدات لضمان حقوق الافراد فى كل من الدولتين واجراء العدل بينهم (٢٤) .

كلمة الختام . .

مع ان دعوة صاحب الذكرى صلى الله عليه وسلم بقيت فى أوج سموها . وذروة انسانيته . الا انها تضمنت ضرورة الحفاظ على مقومات الأمة الاسلامية وكيانها . ودفع العدوان مهما كان مصدره . ولزوم تكاتف المسلمين وتعاونهم لدرء الخطر . عما يصيب أى فريق أو جماعة منهم . أو أى جزء من أراضيهم ومقدساتهم .

فازاء الخطر المتلاحق على ديار الاسلام من كل صوب ، وخصوصا فى الديار المقدسة والمسجد الاقصى المبارك ، يفرض على المسلمين فرضا لا مناص منه ، أن تجند قواهم وتكتل جهودهم وترصد أموالهم وتعبأ كل طاقاتهم ، فى معركة مصيرية ، لحفظ بيضة الاسلام ، واعادة الديار والمقدسات الى أربابها ، حتى يمكن أن يرضى صاحب الذكرى ، ولعلها مناسبة سعيدة أن يتذكر المسلمون ما عليهم من أعباء يجب المبادرة لتحملها ، حتى ترد الكرامة ، ويصان السلام فى هذا العالم ، والحذر ، الحذر من أى تخاذل أو تهاون قد يقضى على البقية الباقية ، ويعرض الأمة الاسلامية لشر مستطير ، قد يهز كيانه ويزلزل عقيدتها وأصولها ، وعندئذ لا ينفع أى احتفاء ولا يجدى أى تظاهر فى مولد الرسول الاعظم صلوات الله وسلامه عليه .

-
- (١) رسالة التوحيد ، الاسلام شريعة الله الخالدة .
 - (٢) آية ١٠٧ من سورة الانبياء .
 - (٣) آية ٢٨ من سورة سبأ .
 - (٤) آيات ٤٥ - ٤٧ من سورة الاحزاب .
 - (٥) آية ١٢٤ من سورة الانعام .
 - (٦) رواه أبو داود .
 - (٧) رواه البخارى ومسلم .
 - (٨) رواه الطبرانى .
 - (٩) مستدرک الحاكم .
 - (١٠) البخارى .
 - (١١) رواه أحمد بن عدى فى الكامل .
 - (١٢) آية ٤ من سورة القلم .
 - (١٣) رواه البخارى فى الادب .
 - (١٤) الطبرانى فى الكبير ومجمع الزوائد .
 - (١٥) البداية والنهاية لابن كثير ، والاسلام شريعة الله الخالدة .
 - (١٦) أخرجه مسلم .
 - (١٧) رواه الترمذى .
 - (١٨) أخرجه مسلم وأبو داود .
 - (١٩) رواه الترمذى .
 - (٢٠) رواه أبو بكر الخطيب فى تاريخ بغداد .
 - (٢١) آية ٣ من سورة المائدة .
 - (٢٢) الدعوة الاسلامية .
 - (٢٣) آية ٤٦ من سورة العنكبوت .
 - (*) ان وقوع بعض هذه الحوادث بعد وفاة الرسول الاعظم لا يمنع من ذكرها فى سيرته ، لأن الخلفاء وقادة المسلمين انما كانوا يتصرفون بهدى الرسول وعلى سنته .
 - (٢٤) الدعوة الاسلامية .



محطّم الأقفال

وقف الاستاذ الكبير أبو الحسن
الندوي وقفة تأمل عند غار حراء .
بمكة المكرمة ، وتحدث الى نفسه
بهذه الكلمات المضيئة :

قصر الإمارة مقفلا أعيا فتحه الشعب
المظلوم والفلاح المجهود والعامل
المنهوك ، وكانت كنوز الاغنياء والامراء
مقفلة أعيا فتحها جوع الفقراء وعري
النساء وعويل الرضعاء ، لقد حاول
المصلحون الكبار والمشرعون العظام
فتح قفل من هذه الاقفال ففشلوا
واخفقوا ، فان القفل لا يفتح بغير
مفتاحه ، وقد ضيعوا المفتاح من
قرون كثيرة ، وجربوا مفاتيح من
صناعتهم ومعادنهم فاذا هي لا توافق
الاقفال ، واذا هي لا تغنى عنهم

كانت الحياة كلها اقفالا معقدة ،
وابوابا مقفلة كان العقل مقفلا أعيا
فتحه الحكماء والفلاسفة كان الضمير
مقفلا أعيا فتحه الوعاظ والمرشدين ،
كانت القلوب مقفلة أعيا فتحها
الحوادث والايام كانت المواهب مقفلة
اعيا فتحها التعليم والتربية والمجتمع
والبيئة ، كانت المدرسة مقفلة أعيا
فتحها العلماء والمعلمين ، كانت
الحكمة مقفلة أعيا فتحها المتظلمين
والمتحاكمين ، كانت الأسرة مقفلة
اعيا فتحها المصلحين والمفكرين ، كان

بالآيات وترق للمظلوم وتحنو على الضعيف .

وضع هذا المفتاح على القوى المخنوقة والمواهب الضائعة فاشعلت كاللهيب وتدفقت كالسيل ، واتجهت الاتجاه الصحيح فكان راعى الأبل راعى الأمم ، وخليفة يحكم العالم . وأصبح فارس قبيلة وبلد قاهر الدول وفتح الشعوب العريقة فى القوة والمجد وضع المفتاح على المدرسة المقفلة وقد هجرها المعلمون وزهد فيها المتعلمون وسقطت قيمة العلم فذكر من شرف العلم وفضل العالم والمتعلم والمربي والمعلم وقرن الدين بالعلم حتى كانت له دولة وأصبح كل مسجد وكل بيت من بيوت المسلمين مدرسة . وأصبح كل مسلم متعلما لنفسه معلما لغيره . ووجد أكبر دافع الى طلب العلم وهو الدين . وضعه على المحكمة المقفلة فأصبح كل عالم قاضيا عادلا . وكل حاكم مسلم حكما مقسطا . وأصبح المسلمون قوامين لله شهداء بالقسط ووجد الإيمان بالله وبيوم الدين فكثرت العدل وقل الجدل ونفذت شهادة الزور والحكم بالجور .

وضعه على الأسرة المقفلة وقد فشا فيها التطفيف بين الوالد وولده والإخ وأخوته والرجل وزوجته وتعدي من الأسرة الى المجتمع فظهور بين السيد وخادمه والرئيس والمرؤوس والكبير والصغير ، كل يريد أن يأخذ ما له ولا يدفع ما عليه وأصبحوا مطفيين اذا أكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، فغرس فى الأسرة الإيمان وحذرنا من عقاب الله وقرأ عليها قول الله (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به

شيئا ، وحاول بعضهم كسر هذه الاقفال فجرحوا أيديهم وكسروا آلتهم .

فى هذا المكان المتواضع المنقطع عن العالم المتمدن على جبل ليس بمخصب ولا بشامخ تم ما لم يتم فى عواصم العالم الكبيرة ومدارسه الفخمة ومكتباته الضخمة . هنا من الله على العالم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وفى رسالته عاد هذا المفتاح المفقود الى الانسانية ذلك المفتاح هو (الإيمان بالله والرسول واليوم الآخر) ففتح به هذه الاقفال المعقدة قفلا قفلا . وفتح به هذه الابواب المقفلة بابا بابا ، وضع هذا المفتاح النبوى على العقل المتوى فتفتح ونشط واستطاع أن ينتفع بآيات الله فى الآفاق والانفس ويتوصل مع العالم الى فاطره ومن الكثرة الى الوحدة . ويعرف شناعة الشرك والوثنية والخرافات والاهام .

وكان قبل ذلك محاميا ماجورا يدافع عن كل قضية حقا وباطلا . وضع هذا المفتاح على الضمير الانسانى النائم فانتبه ، وعلى الشعور الميت فانتعش وعاش ، وتحولت النفس الامارة بالسوء مطمئنة لا تسيف الباطل ولا تتحمل الاثم حتى يعترف الجانى أمام الرسول بجريمته ويلج على العقاب الاليم الشديد . وترجع المرأة المذنبه الى البادية حيث لا رقابة عليها ثم تحضر المدينة وتعرض نفسها للعقوبة التى هى أشد من القتل . ويحمل الجندى الفقير تاج كسرى ويخفيه فى لباسه ليستر صلاحه وأمانته عن أعين الناس ويدفعه الى الأمير لانه مال الله الذى لا تجوز الخيانة فيه .

كانت القلوب مقفلة لا تعتبر ولا تزدجر ولا ترق ولا تلين فاصبحت خائسة واعية تعتبر بالحوادث وتنتفع

والارحام ان الله كان عليكم رقيبا ،
وقسم المسؤولية على الاسرة والمجتمع
كله فقال (كلكم راع وكلكم مسؤول
عن رعيته) وهكذا أوجد أسرة عادلة
متحابة مستقيمة ومجتمعا عادلا ،
وأوجد في أعضائه شعورا عميقا
بالامانة وخوفا شديدا من الآخرة حتى
تورع الامراء وولاة الامور وتقتشفوا
وأصبح سيد القوم خادمهم ووالى
الامة كولى اليتيم : فزهدهم في الدنيا
ورغبتهم في الآخرة وأضاف الاموال
لله وقرأ عليهم « وانفقوا مما جعلكم
مستخلفين فيه » . « وآتوهم من مال
الله الذى آتاكم » .

وحذرهم من اكتناز وادخار الاموال
وعدم الانفاق فى سبيل الله فقرا
عليهم (والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم
بعذاب اليم يوم يحمى عليها فى نار
جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم
وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم
فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

أبرز رسول الله صلى الله عليه
وسلم برسالته ودعوته الفرد الصالح
المؤمن بالله الخائف من عقاب الله
الخاشع الامين المؤثر للآخرة على
الدنيا المستهين بالمادة المتغلب عليها
بايمانه وقوته الروحية يؤمن بان الدنيا
خلقت له وانه خلق للآخرة فاذا كان
هذا الفرد تاجرا فهو التاجر الصدوق
الامين ، واذا كان فقيرا فهو
الرجل الشريف الكادح ، واذا كان
عاملا فهو العامل المجتهد الناصح ،
واذا كان غنيا فهو الغنى السخى
المواسى ، واذا كان قاضيا فهو
القاضى العادل الفهم ، واذا كان
واليا فهو الوالى المخلص الامين ،
واذا كان سيذا رئيسا فهو الرئيس
المتواضع الرحيم ، واذا كان خادما
أو اجيرا فهو الرجل القوى الامين ،
واذا كان امينا للاموال العامة فهو
الخازن الحفيظ العليم وعلى هذه

اللبنات قام المجتمع الاسلامى
وتأسست الحكومة الاسلامية ولم
يكن المجتمع والحكومة بطبيعة الحال
الا صورة مكبرة لاخلاق الافراد
ونفسياتهم فكان المجتمع صالحا امينا
مؤثرا للآخرة على الدنيا . متغلبا على
المادة غير محكوم لها انتقل اليه صدق
التاجر وأمانته وتعفف الفقير وكدحه
واجتهاد العامل ونصحه وسخاوة
الغنى ومواساته وعدل القاضى
وحكمته واخلاص الوالى وأمانته
وتواضع الرئيس ورحمته وقوة
الخادم وحراسة الخازن ، وكانت
هذه الحكومة حكومة راشدة . مؤثرة
للمبادئ على المنافع والهداية على
الجباية وبتأثير هذا المجتمع وبنفوذ
هذه الحكومة وجدت حياة عامة كلها
ايمان وعمل صالح وصدق واخلاص
وجد واجتهاد وعدل فى الاخذ والعطاء
وانصاف النفس مع الغير .

وقد ذهلت فى حديثى لنفسي
وتمثلت الى الجماعات الاسلامية
الاولى بجمالها وتفصيلها كانى
أشاهدها واتنفس فى جوها وانقطعت
الصلة بينى وبين العالم المعاصر .
وحانت منى التفاته الى هذا
العصر الذى نعيش فيه فقلت انى
لارى أقفالا جديدة على أبواب الحياة
الانسانية وقد قطعت الحياة مراحل
طويلة ، وخطت خطوات واسعة ،
وتعقدت الحياة والتوت ، وتطورت
المسائل وتنوعت ، وتساءلت هل
يمكن فتح هذه الاقفال الجديدة بذلك
المفتاح الضيق ؟ وأبيت أن أحكم بشيء
هل أختبر هذه الاقفال وأضع عليها
المفتاح ، ولمست هذه
الاقفال بالبنان فاذا هى الاقفال
القديمة بتلوين جديد واذا المشاكل
نفس مشاكل العصر القديم ، واذا
المشكلة الكبرى وأساس الازمة هو
الفرد الذى لا يزال لبنة المجتمع
وأساس الحكومة ، ووجدت أن هذا
الفرد قد أصبح لا يؤمن الا بالمادة

والقوة ولا يعنى الا بذاته وشهواته
وانه يببالغ فى تقدير هذه الحياة
ويسرف فى عبادة الذات وأرضاء
الشهوات وقد انقطعت الصلة بينه
وبين ربه ورسالة الانبياء وعقيدة
الآخرة فكان هذا الفرد هو مصدر
شقاء هذه المدنية فاذا كان تاجرا
فهو التاجر المحتر النهم الذى
يحجب السلع أيام رخصها ويبرزها
عند غلائها ويسبب المجاعات والازمات
واذا كان فقيرا فهو الفقير التائر الذى
يريد أن يتغلب على جهود الآخرين
بغير تعب ، واذا كان عاملا فهو
العامل المطف الذى يريد أن يأخذ
ماله ولا يدفع ما عليه ، واذا كان
غنيا فهو الغنى الشحيح القاسى
الذى لا رحمة فيه ولا عطف ، واذا
كان واليا فهو الوالى الغاشى الناهب
للاموال واذا كان سيدا فهو الرجل
المستبد المستأثر الذى لا ينظر الا
الى فائدته وراحته . واذا كان
خادما فهو الضعيف الخائن واذا كان
خازنا فهو السارق المختلس للاموال ،
واذا كان أكبر من ذلك فهو المادى
المستأثر الذى لا يخدم الا نفسه
وحزبه ، ولا يعرف غيره واذا كان
زعيمًا أو قائدا فهو الوطنى أو الجندى
الذى يقدر وطنه ويعبّد عنصره
ويدوس كرامة البلاد الأخرى
والشعوب الأخرى واذا كان مشرعا
فهو الذى يسن القوانين الجائرة
والضرائب الفادحة واذا كان مخترعا
اخترع المدمرات والناسفات واذا كان
مكتشفا اكتشف الغازات المبيدة
للشعوب والمخربة للبلاد والقنبلة
الذرية التى تهلك الحرث والنسل
واذا كان فيه قوة التطبيق والتنفيذ
لم ير بأسا بالقاء هذه القنابل على
الامم والبلاد .

وبهؤلاء الافراد تكون المجتمع
وتأسست الحكومة فكان مجتمعا
ماديا اجتمع فيه احتكار التاجر
وثورة الفقير وتطيف العامل وشح

الغنى وغش الوالى واستبداد السيد
وخيانة الخادم وسرقة الخازن
ونفعية الوزراء ووطنية الزعماء
واجحاف المشرع وأسراف المخترع
وقسوة المنفذ ، وبهذه النفسيات
المادية تولدت أزمات طريفة ومشاكل
معقدة تشكو منها الانسانية بثها
وحزنها كالسوق السوداء وغش
الرشوة والغلاء الفاحش واختفاء
الاشياء والتضخم النقدى وأصبح
المفكرون والمشرعون لا يجدون حلا
لهذه المشاكل وأصبحوا اذا خرجوا
من أزمة وأجهوا أزمة أخرى بل أن
حلولهم القاصرة ومعالجتهم المؤقتة
هى التى تسبب أزمات جديدة وتنقلوا
من حكومة شخصية الى ديمقراطية
الى دكتاتورية ثم الى ديمقراطية ومن
نظام رأسمالى الى نظام اشتراكى
الى شيوعى واذا الوضع لا يتغير لان
الفرد الذى هو الاساس لا يتغير ،
ويجهلون أو يتجاهلون فى كل ذلك
أن الفرد هو الفاسد المعوج ولو
عرفوا أن الفرد هو الاساس وأنه
فاسد معوج لما استطاعوا اصلاحه
وتقويمه لانهم على كثرة مؤسساتهم
العلمية ودور التعليم والتربية والنشر
لا يملكون ما يصلحون به الفرد
ويقومون اعوجاجه ويحولون اتجاهه
من الشر الى الخير ومن الهدم الى
البناء لانهم أفلسوا فى الروح وتخلوا
عن الايمان وفقدوا كل ما يغذى القلب
ويغرس الايمان ويعيد الصلة بين
العبد وربّه وبين هذه الحياة والحياة
الأخرى وبين المادة والروح وبين العلم
والاخلاق وفى الاخير أدى بهم أفلاسهم
الروحى وماديتهم العمياء واستكبارهم
الى استعمال آخر ما عندهم من
آلات التدمير التى تبعد شعبا بأسره
وتخرب قطرا بطوله حتى استهدفت
الحضارة والحياة البشرية اذا تبادلت
الدول المتحاربة استعمال هذه
الآلات للنهية الأليمة .

الفتاوى

ميراث ووصية واجبة

قرأت فى آخر العدد الخاص من الوعى الاسلامى ذى الرقم (٨٥) المؤرخ فى غرة المحرم لعام ١٣٩٢ هـ فى الصفحة (١٢١) منه فى حقل الفتاوى ، فتوى تقدم بها السيد وهبه على من القاهرة يسأل فيها عن رجل توفى عن زوجته ، وأربعة أبناء ، وثلاث بنات ، وعن ولدى بنت توفيت فى حياته ، فما نصيب كل من هؤلاء فى التركة ؟

حيث كان الجواب هو تقسيم التركة الى خمسة وتسعين سهما ، منها سبعة أسهم لولدى البنت المتوفاة وصية واجبة بالسوية بينهما ..

وأنا قبل أن أعطى رأى فى الجواب هذا أريد أن أوضح أن هذا الحكم (وهو استحقاق أبناء البنات حصة فى تركة جدتهم مع وجود أخوالهم بطريق الوصية الواجبة) خاص بقانون الوصية المصرى دون غيره من قوانين وتشريعات الدول العربية والاسلامية الاخرى ، ذلك أن قانون الاحوال الشخصية السورى النافذ فى سورية يقضى بحرمان ولدى البنت هذين من التركة ، فلا يستحقان شيئا فيها ، لا عن طريق الارث ، ولا عن طريق الوصية الواجبة ، لانهما من ذوى الارحام ، وذوو الارحام مؤخرون عن أصحاب الفروض والمصوبات فى الارث ، وما دام هنالك أبناء وبنات وهم من المصوبات فلا يستحق أبناء البنت شيئا معهم ، وكذلك الوصية الواجبة فانه لا حصة لهم فيها لأنها فى القانون السورى المشار اليه خاصة بأولاد الابن دون أولاد البنت ، وفقا للمادة / ٢٥٧ / منه ..

وكذلك الحال فى جميع البلدان الاسلامية التى تسيّر فى نظام الموارث على وفق المذاهب الفقهية المعتمدة من غير أن تصدر تشريعات خاصة له ، فانها لا تعطى ابنى البنت هذين من التركة شيئا لا ارثا لأنها من ذوى الارحام كما تقدم ، ولا وصية واجبة لأن الفقه الاسلامى فى مذاهبه المشهورة المعتمدة - وفيها المذاهب الاربعة - لا يعرف الوصية الواجبة على النهج الذى جاء به القانون المصرى ..

وأغلب الظن أن السائل انما يطلب اجابته وفقا للفقه الاسلامى .

لا وفقا للقانون المصرى فان ذلك هو المتبادر للذهن عند الاطلاق ، ولولاه لطلب السائل اجابته وفقا للقانون المصرى دون غيره ..

وعليه فان التركة هذه تقسم فقها الى ثمان وثمانين سهما تعطى الزوجة منها أحد عشر سهما ، وهو ثمن التركة فرضا ، ويعطى كل من الذكر من الاولاد اربعة عشر سهما ، والانثى منهم سبعة أسهم تعصيبا ، ولا شيء لولدى البنت ، لانها من ذوى الارحام ..

هذا الى جانب أننا اذا رجعنا الى قانون الوصية المصرى الذى اعتمده الاستاذ المفتى فى فتواه هذه ، وطبقناه على هذه المسألة لوجدناها غير منطبقة عليه ، ولا أعلم كيف قسمت التركة الى خمسة وتسعين سهما ..

والحل الصحيح لهذه المسألة وفقا لما جاء فى قانون الوصية المصرى هو أن تقسم المسألة الى - ٨٤٤٨ - سهما يكون للزوجة منها - ٩٧٩ - سهما فرضا ، ولكل واحد من الابناء الذكور - ١٢٤٦ - سهما ، ولكل واحد من البنات - ٦٢٢ - سهما تعصيبا ، ويعطى ولدى البنت - ٦١٦ - سهما مناصفة بينهما ، لكل منهما - ٣٠٨ - وصية واجبة ولا تصح على خلاف ذلك ..

د : أحمد الحجى الكردى
جامعة دمشق



ان ما ذكره المعقب صحيح بجميع تفصيلاته ونحن معه فى أن الفقه الاسلامى فى مذاهبه المشهورة المعتمدة لا يعرف الوصية الواجبة على النهج الذى اعتمده القانون ..
وان الذى أصدر الفتوى المذكورة اعتمد فى اخراج مقدار الوصية الواجبة على رأى بعض العلماء المحدثين فى أن طريقة تطبيق قانون الوصية الواجبة فى مثل الحالة المسؤول عنها تكون باعطاء فرع الولد الذى مات فى حياة والده من تركة الجد مثل نصيب واحد من الاحياء من الورثة ممن يماثلون الولد الميت فى الذكورة أو الانوثة . وعلى هذا استخرج نصيب بنتى البنت فقسم المسألة ٨٨ سهما ، ولما كان نصيب كل من البنيتين الوارثتين ٧ أسهم ، رأى اعطاء بنتى البنت المتوفاة ٧ أسهم كذلك وصية واجبة ، ثم أضاف أسهم الوصية الواجبة هذه الى أصل المسألة فكانت (٩٥) الا أن هذه الطريقة لا تنطبق على نص القانون الذى يصرح بأنه (يجب لفرع ولد الموروث وصية بمثل ما كان يستحقه أبوه لو كان حيا) ..

فلو كانت أم هاتين البنيتين حية لما كان نصيبها ٧ / ٩٥ وانما يكون نصيبها ٧ / ٩٦ وقد بين العلماء ومنهم الشيخ محمد أبو زهرة فى كتابه (أحكام التركات) ص ٢٩٢ وما بعدها وجه الخطأ فى الطريقة السابقة ، وان وجه الصواب فى القسمة أن يفرض الابن او البنت الذى مات أولا حيا ، ويعرف نصيبه وهو فى مسألتنا هذه ٧ من ٩٦ فيكون هو الوصية الواجبة وما بقى بعد ذلك وهو (٨٩) سهما يعمل له مسألة جديدة هى هنا (٨٨) سهما ، فيقسم على الورثة بموجبها ..

محمد سليمان الأشقر

برير الوعى الإسلامى

مخيمات اسلامية

ورد فى مجلة الوعى الإسلامى التى تصدر عن وزارتكم الموقرة فى عددها رقم ٨٤ الصادر فى غرة ذى الحجة سنة ١٣٩١ الموافق ١٧ يناير سنة ١٩٧٢ فى الصفحة رقم ١٠٨ فى باب « قالت صحف العالم » تحت عنوان « مؤتمر المسلمين » حديث عن مؤتمر اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا ، جاء فيه « ان شباب المسلمين فى جمهورية مصر العربية وغيرها من الدول الإسلامية لى حاجة ماسة الى مثل هذه المؤتمرات الجامعة وخاصة فى فصل الصيف .. ويا حبذا لو أقيمت الى جانب هذه المؤتمرات الدراسية مخيمات صيفية إسلامية يمارس فيها الشباب الحياة الإسلامية ويصقلون فيها عقولهم وأرواحهم واجسادهم .

وأود أن أحيطكم علما أن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بجمهورية مصر العربية ، يقيم منذ نشأته فى عام ١٩٦٠ معسكرا صيفيا بمدينة أبى بكر الصديق لأبناء العالم الإسلامى (بالاسكندرية) على هيئة مؤتمر لشباب وشابات العالم الإسلامى الذين يتلقون العلم فى مصر يستمر طوال شهرى يوليو وأغسطس من كل عام يلتقى فيه أكثر من ألفى طالب وطالبة من جميع الجنسيات ضيوفا على المجلس ويشمل البرنامج اليومى لهذا المعسكر ، الى جانب أداء فرائض الصلاة بجامع المدينة وممارسة أنواع الرياضة المختلفة وزيارة معالم الاسكندرية والاستمتاع بصيفها ، ندوات ومحاضرات يحضرها أساتذة متخصصون من الجامعات وعلماء الأزهر ورجال الفكر والأدب وزعماء وسفراء الدول الإسلامية ، هذا بالإضافة الى اجتماع الطلاب والطالبات فى حلقات للمناقشة بنادى المدينة لدراسة شئون دينهم وكل ما يهم العالم الإسلامى .

مدير

ادارة الابحاث

محمد جمال الدين خليل

اتقوا الله

لاحظت وجود مصاحف ، يوجد التحريف على غلافها الخلفى ، حيث كتب المحرفون المتاجرون الآية الكريمة (لا يمسه الا المطهرون) - خطأ .. والصواب (لا يمسه الا المطهرون) .

وذلك بزيادة تاء ، حارب الله تعالى أمثال هؤلاء الذين اتخذوا آيات الله هزوا ، وغرثهم الحياة الدنيا ، ولم يتورعوا عن تحريف آيات الله الكريمات حتى على غلاف المصاحف .

ورغم أننى لم أتمكن بعد من مراجعة المصحف كله للتأكد من عدم التحريف إلا أننى أناشدكم التدخل لصيانة كتاب الله من التحريف واقتراح :

- ١ - سحب المصاحف المحرفة من السوق .
- ٢ - عدم السماح ببيع المصحف الشريف الا فى أماكن شريفة وتحت اشراف الدولة .
- ٣ - مراجعة المصحف ، ومراجعة غلافه .
- ٤ - العقاب الرادع والحاسم والفاصل لكل من حرف ، ويحرف القرآن الكريم على عيون الأئمة ليكون ذلك رادعا لهم وعبرة لغيرهم .
- ٥ - ارسال هذا الخطاب لأعلى سلطة اسلامية بالأزهر الشريف ومجمع البحوث الاسلامية ، وكافة الهيئات الدينية فى مصر والبلاد الاسلامية لاتخاذ اللازم .

أنور محمود وصفى عبد الوهاب
كلية الهندسة / جامعة عين شمس

الوعى الاسلامى

يسعدنى أن أنوه بالجهود المضاعفة التى تبذلونها للنهوض بمجلتكم الاسلامية الراقية (**الوعى الاسلامى**) التى تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية فحفظكم الله ورعاكم ، وزاد فى معنائكم ، وآجاركم على ما تبذلونه من حب صادق وتضحية وايتار فى سبيل نشر كلمة الله ، والدفاع عن عقيدته الطاهرة ومبداه الصالح .

محمد بنعبد الله

رئيس تحرير دعوة الحق - الرباط

التراث المفقود والموجود

جاء فى المقال المنشور فى العدد (٨٣) تحت هذا العنوان : أن تاريخ الاسلام الذهبى يقع فى خمسين مجلدا لم يطبع منه الا خمسة فقط ، مع أن المطبوع منه ستة أجزاء لا خمسة ، ويحتوى الجزء السادس على تاريخ عشرين سنة من ١٤١ - ١٦٠ وهو فى ٣٤٤ صفحة ، وهو مذكور فى قوائم المكتبات منذ بضع سنين .

محمد زاهر أبو اليمن

بأقلام القراء

نصيحة ..

تحت هذا العنوان يقول : الاستاذ / عبد الرحمن احمد شادى :

تحاول الدول النامية المسكينة أن تعيش فى العصر الحديث فتستورد الأدوات ، والآلات اللازمة لها ، من الدول الغنية المتقدمة .. لأنها لا تملك المصانع التى تزودها بما تحتاجه من هذه الأدوات ، والآلات ، والسلع ، وتضطر (والمضطر يركب الصعب) أن تدفع ثمنها باهظا ، وتنزف دمائها لكى تشتري هذه الآلات .. وعلى سبيل المثال فالطائرة الالمانية (البوينج ٧٤٧) التى خطفها الفدائيون ، كما ورد فى صحف ١٩٧٢/٢/٢٧ ، تساوى ثمانية ملايين جنيه تقريبا ، وقد ألحت على فكرة عقد مقارنة بين ثمن طائرة من هذا الطراز وبين انتاج الأفدنة الزراعية ، وفرض السؤال التالى نفسه .. كم عدد الأفدنة التى تنتج محصولات يشتريها ثمن طائرة واحدة ، ومتوسط انتاج الفدان الواحد يقدر بمائة جنيه فى العام : $80000 \div 100 = 800$ فدان . فثمن طائرة واحدة يشتري انتاج ثمانين ألف فدان من المصنوعات الزراعية ، فمن المغبون فى هذه الصفقة ، ومن الخاسر فى هذه البيعة ؟ الدول النامية التى اشترت أو الدول الغنية التى باعت .. ؟

وإذا افترضنا أن المصنع ينتج طائرة واحدة فى الاسبوع ، وخمسين طائرة فى العام ، فماذا يشتري انتاج مصنع واحد : $50 \times 80000 = 4000000$ ، انتهت المسألة الحسابية البسيطة الى أن انتاج المصنع الواحد فى العام يشتري محصولات أربعة ملايين فدان .

والمصانع هناك بالمئات لعشرات ومئات وآلاف السلع ، والأدوات ، والآلات ، والأجهزة التى تستوردها الدول النامية المسكينة التى تظن أنها باستعمالها لهذه الآلات قد عاشت فى العصر الحديث ، وبدلت ظهر الناقة بجوف الطائرة ، إذا أرادوا أن يتحضروا فلا بد أن يضعوا هذه الآلات بدلا من الاكتفاء باستعمالها فقط ، وأن يكونوا كما قال الزهاوى :

طاروا بأجنحة الصناعة فامتطوا ظهر الرياح مكان ظهر النوق وهم فى معظم الأحوال لا يملكون الا المصنوعات الزراعية ، والمواد الخام ، التى تقدم لهذه الدول الغنية بثمن بخس بدلا لهذه الآلات المستوردة .

ان هذه الدول تنزف دمائها ، وستظل كذلك الى أن يغنيها الاستقلال الاقتصادى بالمصانع الكثيرة عن أن تنزف دمائها ، وينقل هذا الدم المنزوف الى الدول الغنية .. هل تستطيع الدول النامية أن تحارب الفقر وهى تعصر عصرا ،

نعيم الدول الغنية فى بؤس الدول الفقيرة ، ومصائب قوم عند قوم فوائد .
جربت هذه الدول انشاء القليل من المصانع فجمدت التجربة ، وأدت كثيرا من
الغايات الاجتماعية والاقتصادية بوجود هذه المصانع ، وأهمها أن تحفظ ثروتها
لأهلها ، وأن لا تنزف دماءها .

قد يقول قائل : وأين الاموال التى تكفى لانشاء الصناعات الهامة التى
يكلفنا استيرادها ثمنا غاليا ؟ والجواب هو توجيه النظر الى الاموال التى تنفق
على الزينة ، والزخرف ، والنعيم ، والمظاهر ، والترف ، والاسراف ، ألا تستطيع
هذه الاموال أن تقيم المصانع المطلوبة .. !

قد يقول قائل آخر : وأين الخبرة والعلم ؟ والجواب أن بعض الدول الفتية
التي لا تتجاوز عمر الطفولة فى الحضارة والنهضة قد بدأت حياتها وحضارتها من
نقطة الصفر ، ومع هذا فقد سبقت الدول والأمم العريقة فى الحضارة .

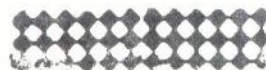
ولكن الدول النامية المسكينة مصابة فى همم أهلها ، وعزائم بنيتها ، فهم
يريدون أن يتحضرروا بهمم وأموال وعقول وأيدي غيرهم ، فهل يتسق هذا المنطق
أم لا بد أن ننهض ونتحضر ونفعل ما يفعله غيرنا بهممنا وأموالنا وعقولنا
وأيدينا .. !!

المادية الملحدة ..

تحت هذا العنوان يقول الأخ تاج السر محمد حمزة من السودان :

بين المادية والدين عداوة وحرب لا هوادة فيها ، ولا مهادنة ، فالمادية
نظام مادي يستمد فكرته من نظرية فلسفية ملحدة ، تزعم أن كل ما يقع فى
التاريخ من حركات فان مرجعه الى الاسباب الاقتصادية ، وما دامت الاسباب
الاقتصادية هى التى تملى على التاريخ حركته ، فلا مجال للاعتراف باله خالق
أو قوة وراء الغيب توجه البشر الى مصائرهم بقوة وإرادة .
وليس الدين عند الماديين الا تفسير خاطيء للظواهر الاجتماعية ، وبقية
من بقايا النظم الاستغلالية البالية فهو عندهم مظهر جهل ، ووسيلة استغلال ،
ومن واجبهم أن ينبذوه ويتحللوا من قيوده . فالمادى هو الذى ينبذ دينه ،
ولا يكتفى بأن يتبرأ من الدين بقلبه بل يعمل ما وسعه لرد المؤمنين بالله عن
دينهم .

ويفيض الماديون فى تبرير انكارهم للدين ، ومحاربتهم له ، فيزعمون أن
الدين خرافة ، وجهل ، ويعلمون انتشار الاديان بالظروف المادية التى عاش
فيها الانسان الاول ، ويقولون : ان الانسان الفطرى يقف عاجزا أمام ظواهر
الطبيعة كالرعد والبرق مما جعله يرددها الى ارادة عليا ، فسعى لكسب عطفها
واصطناع ألوان العبادات ، ومن ثم نشأ الايمان بالقوى غير المنظورة .
فالمادية الملحدة تعادى الاديان ، ومن ثم فهى مخالفة لمبادئ الاسلام
الاساسية ، وأساس العقيدة الاسلامية شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا
رسول الله . واعتبار القرآن وحى الله للنبي محمد ، والايمان بالحياة بعد الموت
والجزاء ، والثوبة ، والعقاب ، وهذه جميعا ينكرها الملحدون .





كتبت مجلة (المسلم) تحت هذا العنوان تقول :

يظهر أن صمت المسلمين على ما يحدث في الفلبين قد شجع الآخرين في مناطق أخرى ، فقد جاء من جنوب أفريقيا .. ان علماء المسلمين في بورت اليزابيث بجنوب أفريقيا دعوا رئيس حكومة جنوب أفريقيا الى ضمان سلامة المساجد الاسلامية من الحريق وأعمال الفوضى ، وقد جاءت هذه الدعوة بعد أن تعرضت المساجد في كل من (سيمولزاون وكليرون مونت وكيب تاون) وغيرها لحرائق وأعمال تحقير واهانة على يد عصايات مجهولة .. هذا الخبر وهو نتيجة طبيعية لموقف المسلمين ازاء مشاكلهم ولا أظن أن كثيرا من مؤسساتنا الاسلامية في العالم لديها علم به ولا أظن أنها ستتحرك بالصورة المطلوبة التي توقف هذه التصرفات وتمنعها من الظهور مرة أخرى و .. يا مسلمو العالم .. ان اليهود في أي بلد اذا تعرضوا لمقوبات مشروعة وقانونية فالمؤسسات اليهودية في العالم والافراد منهم يتحركون فما بالكم اذا تعرضوا لاي اهانة السنة خيرا منهم وأكثر عددا .. اني أرجو وأنا أنشر هذا الخبر أن يكون لنا موقف آخر مع فعله هذه الاحداث ومثيلها سواء في الفلبين أو في جنوب أفريقيا أو ..

ونشرت مجلة (المجتمع) الكويتية تحت هذا العنوان :

ان عيوبها بدأت تزحف على أسرنا مع زحف الافكار والمذاهب المختلفة وان هذه العيوب اذا لم تعالج بالاسلام انتشرت واستتبت واصبحت آفة من الآفات التي تهدم مجتمعنا وتقوض كيان أمتنا وان مظاهر هذه العيوب بدأت تظهر واضحة في أبنائنا وبناتنا المتسكمين هنا وهناك واللاهين في هذا المكان أو ذاك ..

في المشوارع حيث تطير بهم مراكبهم الامريكية الطائشة فيزعجون المارة ويشيرون اعصاب الناس ويودون بانفسهم الى الهلاك وفي الاسواق حيث يسيحون لاهئين بحثا عن لحم آدمي يرسلون اليه نظراتهم الجائعة وفي المنتزهات وعلى شواطئ البحار حيث لا يتركون أسرة تشتم بجمال الطبيعة في هدوء واطمئنان .

هذه كلها ظواهر مرض عضال ينخر في الاسرة كالسوس ولا نرى من هذا المرض باعينا الا هذا الجيل النائر المتمرد والرافض في كل مكان، ان أسرنا وقد أعماها حب المظهر ، وفنت في عضدها طفيان المادة لم تعد تعبا بالرقابة على الابناء وحسن تربيتهم وتوجيههم بل ان الزوجين في الاسرة فقدوا الرابطة الاصيلية التي تجمعهم على المودة والرحمة فانشغل الزوج بسهراته ورحلاته ولم تجد الزوجة فيه ما كانت تؤمله فلم تعد تبالى باحترامه أو تقديره أو حتى حفظه في غيبته وتسربت الى الاسرة في مجتمعنا مظاهر التفسخ الاخلاقي فكثرت السهرات والحفلات المختلطة وخفت الملابس

وقصرت وكشفت المفاتن وأتاحت الفرصة للشهوات وبدأ الاهتمام بالمظهر من ملابس ورياش وأثاث وقصور وحدائق يطفى على كل شيء وتفلتت الاسرة من عاداتها الاسلامية الاصيلة وتقاليدھا الدينية العريقة وكان الاولاد نتاج هذا الجو وثمره هذا التفكك .

صحيح أن الاسرة لا بد من بنائها بناء جديدا ليس أساسه استبداد الرجل وطفيانه وضياع حقوق المرأة واضطهادها وكبت الاولاد وقهرهم فلئن كانت هذه بعض ظواهر الاسرة في عهود تخلت عن الاسلام فنحن لسنا ملزمين بها كأسس تقوم عليها أسرنا الاسلامية الحديثة والتي تقف في وجه هذه التيارات الحضارية المتلاطمة والمستوردة .

ان الثقافة مفتاح الحياة في هذا العصر الذي لم يعد للأمة مكان فيه وان هذه الثقافة من حق ربة الاسرة ومديرة شؤونها قبل أي انسان آخر لكن هذه الثقافة يجب أن تكون خادمة لهذا الدين موطدة لدعائمه مركزة لاركانه .

فلتتعلم الفتاة ولتتسع مداركها ولتحط بكل ما تستطيع الاحاطة به من علم وخبرة ولتشارك بعد ذلك في حياة أمتها بكل منحي من مناحيها ولتكن في بيتها أما تصنع الاجيال مصلحة ترشد من يضل عالمة تثبت فكرها ومبادئها سياسية تقول رأيها وما تؤمن به اجتماعية تقبل العثرة وترأب الصدع وفي اسلامها مجال يتسع لكل ذلك شرط أن تعمل في أطاره وبوحي منه .

ان الاسرة مصنع الرجال ومولد الابطال ولقد آن لنا أن نبدأ رحلتنا من داخلها فننير جوانبها ونبدد الظلمات من حولها ونوثق رابطنها ونديم ودها فان الخير منها ينبعث اذا أردنا وفيها يندفن اذا رغبتنا ..

ماذا في أمريكا .. ؟

نشرت احدى المجلات المسيحية حديثا على لسان طبيب أمريكي قالت فيه :

ان المثل الهزلي يتقاضى مليوناً من الدولارات في السنة بينما يتقاضى المدرس في مدرسة عاليه الفين من الدولارات بلغ عدد القتلى في حرب فيتنام في مدة التسع سنوات ٤٣.٠٠٠ قتيل ولكن السائق المخمور في بلادنا قتل في طرقات أمريكا في هذه المدة عينها ٢٤.٠٠٠ قتيل وقد كشفت الاحصاءات الاخيرة عن أن ٢.٠٠٠ شخص على الاقل يقتلون سنويا باطلاق النار عليهم .. يضاف الى هذا جرائم هناك العرض والفساد والاباحية التي تهدد نظامنا الاجتماعي كله ثم ينبغي أن نعترف في ألم وأسى أن الرجل الاسود في بلادنا لم يحظ بكامل حريته انما هو (نصف عبد) بالامس أصدرت محكمتنا العليا قرارا يصم بغير الدستورية أي تعليم ديني يقدم للاطفال في مدارسنا وأنه مما يناقض روح الدستور أن ندمج في برنامج التعليم أية معرفة عن الله وانك لترى اليوم ٨٥.٠٠٠.٠٠٠ من الامريكيين أو ٦٣٪ من السكان لا ينتمون لاية كنيسة بصفة اسمية وبالامس أصدرت احدى الولايات قرارا بتحريم اعطاء موانع الحمل للفتيات غير المتزوجات وطالبات الجامعة وعلى أثر ذلك انعقدت المحكمة العليا بالولاية وأصدرت حكما بعدم شرعية قرار الحاكم ومخالفته لروح الدستور .



الاستاذ : عبد المعطى بيومى

- الكويت :** زار البلاد وفد من السفراء المسلمين فى لندن خلال جولة فى بعض الدول الاسلامية للدعوة لجمع تبرعات لانشاء المركز الاسلامى ، ومسجد فى لندن .
- اتفق على أن يمول الصندوق الكويتى للتنمية العربية مشروعات فى الاردن ، وفى السودان ، فى اطار التعاون بين الكويت والدول العربية .
 - قررت وزارة الاوقاف تخصيص ايجار البيوت التى انشأتها الوزارة لموظفى المساجد .
 - اقيم فى الشهر الماضى بقاعة المعهد الدينى احتفال حضره الاستاذ عبد الرحمن عبد الله المحجم وكيل الوزارة حيث سلم سيادته الشهادات لخريجي معهد الامامة والخطابة .
- مصر :** قام الرئيس انور السادات بالتشاور مع المسئولين فى المملكة العربية السعودية ، والكويت ، فى اطار خطة لتوطيد دعائم الاخوة العربية .
- أعلن الرئيس السادات أن مصر ماضية فى تطوير اسلحتها ، وتصنيع هذه الاسلحة محليا ، لمواجهة تصنيع اسرائيل لاسلحتها .
 - تحدد يوم ٩ سبتمبر القادم موعدا لانعقاد مؤتمر علماء المسلمين بالقاهرة بعد أن كان محددًا له آخر مايو القادم ..
 - بعث الازهر وفدا من علماء المسلمين للاتصال بالمسئولين وبالمسلمين فى الفلبين لاختتام الفتنة ، ووقف المذابح ضد المسلمين .
- السعودية :** أكد جلالة الملك فيصل لأكثر من مائتى صحفى بأن معظم فساد العالم انما كان نتيجة للصهيونية والماذاهب الالحادية .
- اتخذ مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى الثالث عدة قرارات بالموافقة على قيام الامانة العامة ، وميزانيتها ، وادانة اسرائيل .
 - خصصت السعودية اذاعة خاصة للقرآن الكريم ابتداء من صفر الماضى فى كل من الرياض وجدة ..
- الاردن :** أعلن الملك حسين عزمه على تنفيذ قراره بانشاء المملكة العربية المتحدة ، من قطر أردنى وقطر فلسطينى ، يتمتع كل منهما بالحكم الذاتى ، رغم اعلان الدول العربية عن رفضه .
- العراق :** أبلغ العراق حكومة الاردن بانها وافقت على اعادة التبادل التجارى والاقتصادى بين البلدين .
- دعت العراق الى وحدة فورية مع مصر وسوريا وتجرى اتصالات على مختلف المستويات لتحقيق هذا الهدف ..
 - اقترح العراق على جامعة الدول العربية انشاء صندوق عربى لمساعدة عائلات شهداء المقاومة ..
- لبنان :** أعلن الرئيس اللبناني أن لبنان لن تغير موقفها من الفدائيين ، رغم العمليات الاسرائيلية فى الجنوب فى الشهر الماضى .

● تلقت لبنان مساعدات من الكويت ، مصر ، والسعودية ، لاعادة بناء القرى التي هدمتها القوات الاسرائيلية المعتدية فى الشهر الماضى .

● وافقت الحكومة اللبنانية على انشاء المجمع العربى الاسلامى ، ومهمته احياء التراث العربى الاسلامى بالتعاون مع بعض الدول العربية .

قطر : تبرعت قطر بمبلغ (٢٠٠) ألف جنيه استرلينى لبناء المسجد والمركز الاسلامى فى لندن (يتكلف بناؤه حوالى مليون ونصف مليون جنيه استرلينى) .

السودان : توصل فى السودان الى اتفاق يمنع الجنوب الحكم الذاتى فى اطار السودان الواحد .

● سيجرى قريبا استفتاء شعبى للانضمام الى دولة اتحاد الجمهوريات العربية .

ليبيا : سيقوم الرئيس معمر القذافى بزيارة لباكستان فى شهر ابريل الحالى ، والجدير بالذكر ان ليبيا كانت قد بذلت جهدا مركزا لادانة الهند ونصرة باكستان .

● استشهد خمسة ليبيين فى معارك بين الاسرائيليين والفدائين الفلسطينيين فى منطقة جنوب لبنان .

● صدر قرار بمنع دخول المجلات التى تنشر صوراً نسائية عارية أو مثيرة .

الجزائر : قام مساعد وزير الخارجية الامريكى للشئون الافريقية بزيارة الجزائر فى الشهر الماضى فى اطار التعامل الاقتصادى بين البلدين .

● دعت الجزائر الى استمرار النضال العربى ضد اسرائيل .

موريتانيا : أكد الرئيس الموريتانى أن موريتانيا تسنلهم الشريعة الاسلامية أساسا لحياتها وتقدمها .

باكستان : أعلن الرئيس الباكستانى أن حالة الحرب مستمرة بين باكستان وبين الهند ، وأنه يحمل الهند مسئولية اعتقال أسرى الحرب الباكستانيين .

● رفض المسئولون عن الحكم فى داكا استقبال بعض أعضاء وفد المؤتمر الاسلامى لوزراء الخارجية ..

الهند : طردت الهند (٤٠٠) مسلم من المناطق التى تحتلها من باكستان الغربية كما أقامت الهند عدة تحصينات على خط وقف اطلاق النار بينها وبين باكستان .

● أعلنت رئيسة وزراء الهند أنها لن تطلق سراح أسرى الحرب الباكستانيين الا اذا اعترف الرئيس الباكستانى بادارة ما يسمى بينجالاديش .

أخبار متفرقة :

أوغندا : قرر الرئيس عيى أمين طرد جميع الاسرائيليين من أوغندا .
لندن : أنشئ أخيرا اتحاد يضم الجمعيات الاسلامية ال ٥٩ التى تمثل الجالية الاسلامية فى بريطانيا (نصف مليون مسلم) .

● قام وفد من السفراء المسلمين بجولة فى السعودية ، والكويت ، وقطر ، والإمارات العربية بهدف الاستعانة على بناء مسجد ومركز اسلامى فى لندن .

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامور عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول اشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع ممتهد النشر عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

- القاهرة : شركة توزيع الأخبار - ٧ شارع حافرة .
- جدة : الدار السعودية للنشر - ص.ب ٢٠٤٣ .
- الرياض : مكتبة مكة - شارع الملك عبد العزيز .
- الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة - ص.ب ٢٢ .
- مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة - ص.ب ٤٦ .
- المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
- عدن : وكالة الأهرام التجارية - السيد محمد قائد محمد .
- المكلا : مكتبة الشعب - ص.ب ٢٨ .
- مسقط : المكتبة الحديثة - السيد يوسف فاضل .
- صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية - السيد عاصم ثابت .
- دمشق : الشركة العامة للمطبوعات - ص.ب ٢٣٦٦ .
- الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع - ص.ب ٢٤٧٣ .
- الابيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية - ص.ب ٦٧ .
- عمان : الشركة الاردنية لتوزيع المطبوعات - ص.ب ٢١٥ .
- طرابلس الغرب : مكتبة الفرغانى - ص.ب ١٣٢ .
- بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية - ص.ب ٢٨٠ .
- تونس : الشركة التونسية للتوزيع .
- بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - كورنيش المزرعة .
- دبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .
- ابوظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - السيد غازى بساط .
- الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - ص.ب ١٧١٩ .
- الدوحة : سالم الانصارى - الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

- حديث الشهر ... مدير ادارة الدعوة والارشاد ... ٤
- خاتم النبيين ... للشيخ أحمد حسن الباقورى ... ٨
- النبي الامى ... للدكتور محمد البهى ... ١٤
- من هدى السنة ... للدكتور على عبد المنعم عبد الحميد ... ١٩
- الطلاق ... للشيخ محمد أبو زهرة ... ٢٣
- مولد آخر رسول ورسالة ... للدكتور محمد سلام مذكور ... ٣٢
- المكتبة ... اعداد الاستاذ عبد الستار فيض ... ٤١
- الله اعلم حيث يجعل رسالته ... للدكتور وهبة الزهيلي ... ٤٢
- يا للرجال بغير دين ... للشيخ محمد الفزالى ... ٤٨
- الأسوة الحسنة ... للاستاذ محمد المجذوب ... ٥٥
- انت انت الله ٦٣
- الطريقة الحديثة للهجوم على الاسلام ... للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى ... ٦٤
- محمد عليه الصلاة والسلام فى
ابحاث المستشرقين ... للشيخ طه الولى ... ٧١
- المائدة ٧٦
- مولد محمد انسان الانسانية ... للاستاذ عبد الكريم الخطيب ... ٧٨
- القلب ... للدكتور محمد أبو شكوك ... ٧٩
- مولد نبى الرحمة ... للشيخ عبد الحميد السائح ... ٩٤
- محطم الاقفال ١٠١
- الفتاوى ... التحرير ... ١٠٥
- البريد ... التحرير ... ١٠٧
- باقلام القراء ... التحرير ... ١٠٩
- قالت الصحف ... التحرير ... ١١١
- الاخبار ... اعداد الاستاذ عبد المعطى بيومى ... ١١٢